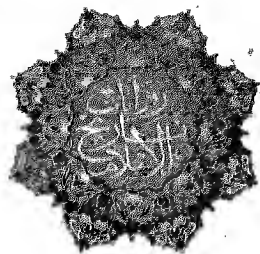
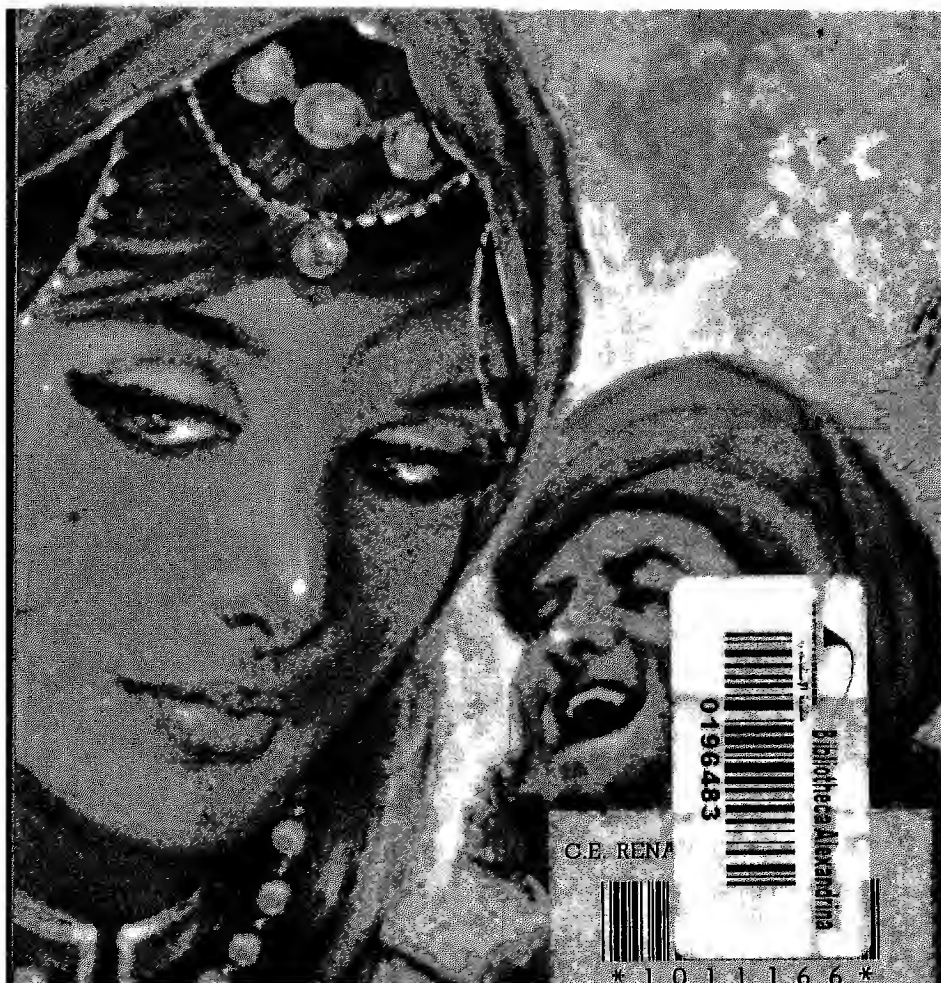


١٧ رَمَضَانُ



جُزْءٌ زَيْدَان



* 1 0 1 1 1 6 6 *

GIFTS OF 1996
BIBLIOTHEQUE
INTERUNIVERSITAIRE DES
LANGES ORIENTALS
PARIS

١٧ رمضان

تتضمن تفصيل مقتل الامام علي وبسط حال الخوارج
تنمة الفتنة التي حدثت بسبب مقتل الخليفة عثمان ،
مقتلار بنى أمية بالخلافة وأخرجها من أهل البيت

COMITÉ D'ÉTABLISSEMENT

R.N.U.R. FLINS

Bibliothèque

78410 AUBERGENVILLE

N° Inventaire Z..8..6..6..6.....

Cote Z.A.X.R.....855.4..

المكتبة الادبية - بيروت

أبطال الرواية

علي بن أبي طالب *	: رابع اجتماع الراشدين
معاوية بن أبي سفيان *	: أول ملوك الدولة الاموية
عمرو بن العاص *	: والى مصر
قطام بنت عدى *	: غادة الكوفة
العجوز لبابة *	: مربية قطام
سعيد الاموى *	: عاشق قطام
عبد الرحمن بن ملجم *	: قاتل الامام على
الحسن والحسين *	: ابنا على
عمرو بن بكر *	: المتآمر لقتل عمرو بن العاص
البركة بن عبد الله التميمي *	: المتآمر لقتل معاوية

مراجع هذه الرواية

تاريخ ابن الأثير *	هذه المراجع هي التي اعتمد عليها المؤلف في تأليف الرواية ووثاقها التاريخية
العقرب المام *	* أسد الغابة
تاريخ الحميس *	* مروج الذهب للمسعودي
السيرة الحلبية *	* تاريخ القرطبي
	* ابن دقاق

فذلكة تاريخية

الخوارج جماعة من رجال الامام على بن ابي طالب نعموا عليه قبوله التحكيم على اثر وقعة صفين ، وكانوا قبل ذلك في مقدمة الدين حرضه على قبوله . لكنهم لما راوا التحكيم ادى الى خروج الخلافة من يده الى يد معاوية بن ابي سفيان نقضوا بيعته ونبذوا طاعته ، وظلموا فيها لانفسهم فبايعوا واحدا منهم يدعى عبد الله بن وهب ، وحاربوا تحت رايته زمنا

ولما صدر حكم الحكيمين بخلع على وتثبيت معاوية اشتد ازر معاوية ، وبويع بالخلافة في الشام

وكان الخوارج ما زالوا في بدء امرهم ، فأخذ على يتجهز لحرب معاوية . وفيما هو في ذلك جاءه الخبير بتألب الخوارج ونمردهم ، فنصح لهم بالطاعة وبين لهم انه لم يخطيء بقبول التحكيم وانه لم يقبله الا اجابة لطلبهم ، واكنهم لم يرتدعوا . فرأى ان يستاصل شأفتهم قبل خروجه الى معاوية ، فحاربهم في مواقع عدة أشهرها موقعة النهروان وراء دجلة بالقرب من بغداد ، وقد انتصر فيها عليهم نصرامينا وثبتت شملهم . على انهم عادوا الى الاجتماع في الخفاء

وفي سنة ٣٨ هـ فتح عمرو بن العاص مصر ، وقتل محمد بن ابي بكر عاملها . وتولاها باسم معاوية . فأصبح معاوية خليفة في مصر والشام ، وجعل مقامه دمشق . وبقي على بن ابي طالب خليفة في العراق والجزيرة والحجاز واليمن ، وجعل مقامه الكوفة .

ثم احد معاوية يبعث سراياه الى بلاد الامام على يبغي فتحها ليستأثر بالخلافة . فأنفذ جندا الى مكة . واخر الى اليمن . وتالتا الى الجزيرة ، وظلوا يحاربون ويناولون واسكنهم لم يبلغوا اربا حتى دخلت سنة اربعين للهجرة . فتأهب الامام على للخروج الى قتال معاوية ، في جيش قوامه اربعون الفا من انصاره بايعوه على الفور او الموت . وفيما هو في ذلك فاجاه القدر فمات مقتولا كما سترى تفصيل ذلك في هذه الرواية

غادة الكوفة

الكوفة مدينة اسلامية ، مصرها سعد بن أبي وقاص أحد كبار الصحابة ، في السنة السابعة عشرة للهجرة على عهد الخليفة عمر بن الخطاب بعد فتح العراق ، وكان عمر قد أشار عليه « بأن يقيم في مكان لا يحول بينه وبين المدينة بحر ولا جسر حتى اذا أراد ان يقدم اليه على راحلته قدم » . فبنى الكوفة غربى الفرات على شاطئ بحيرة كانت هناك بقرب مكان الحيرة ، بينها وبين الفرات بضعة وعشرون ميلا

وكان بناؤها في أول أمرها بالقصب ، فأصابها حريق فاستأذنوا الخليفة في بنائها باللبن فقال : « افعلوا ، ولا يزيدن احدكم على ثلاثة أبيات ، ولا تعاولوا في البنيان ، والزمو السنة يلزمكم الدولة » . ففعلوا وجعلوا طرقها نوعين : المناهج وعرض كل منها عشرون ذراعا ، والأزقة وعرض كل منها سبع أذرع . وما بين المناهج أماكن البناء وقدرها أربعون ذراعا ، والقطائع وقدرها ستون ذراعا

وكان المسجد أول شيء خطوه فيها ، فوقف في وسط المدينة رجل شديد النزع رمى الى كل جهة بسهم ، ثم أقيمت المبانى فيما وراء السهام ، وترك ما دونها للمسجد وساحته . وبنوا في مقدمة المسجد ظلة أو رواقا أقاموه على أساطين من رخام كان الأكاسرة قد جلبوها من أروبة الحيرة . وجعلوا على الصحن خندقا ثلثا يفتححه أحد بنيان ، وبنوا لسعد بن أبي وقاص قصرا بجانب المسجد نقلوا حجارته من أجر بنيان الأكاسرة وسموه قصر سعد

وقد زاد عمران الكوفة حين اتخذها الإمام على مقرا له بعد وقعة الجمل سنة ٣٦ هـ اذ تقاطر اليها المسلمون من جميع الأنحاء ، وتكاثرت فيها الأبنية وعمرت الأسواق وأنشئت حولها الحدائق والبساتين مما يلي بحيراتها وكان في ضاحية الكوفة على شاطئ البحيرة حديقة من نخيل ، حولها سور من جدوع النخل يحيط بها الا من جهة البحيرة . وفي وسط الحديقة بيت مبنى من اللبن ، يدل جلال بنائه على أن سكانه من أهل اليسار ، وقد بخيل اليك اذا دخلت حديقته انه مسكن بعض الأمراء ذوى الخدم والحشم ، لما يرى بين نخيلها من آثار المعالف والأوتاد والسلاسل والقيود ، ولتناكل

جلود بعض النخيل من كثرة شد الأمراس اليها وتعود الخيل تقشيرها وهي مشدودة اليها

ففى ليلة من اوائل السنة الأربعين للهجرة ، والوقت خريف ، وقد نضج الثمر على نخيله وليس من يقطعه ، فتساقط بعضه على الأرض وليس من يلتقطه . كان القمر بدراً وقد اطل من وراء الأكام فأرسل ظلال النخيل مستطيلة متقاطعة ، وكان الجو هادئاً والسكوت سائداً لبعدها عن المكان عن المدينة وضواؤها ، فلم يكن يسمع غير تقيق الضفادع على شاطئ البحيرة يتخلله صرير الصراصير وقرقرة القر . وربما هب النسيم فأسمعك حفيف سعف النخل هنيهة ثم انقطع . ولقد تعجب لوحشة ذلك المكان مع ما تراه من آثار الانس ودلائل الأبهة

وهناك فى المنزل المؤلف من ثلاث غرف متصل بعضها ببعض ، وقد فرشت أرضها بحصر من سعف النخل فوقها جلود الماعز ، وضعت فى احداها طنفسة جيلة عليها وسائد من الخز ، ووضع فى بعض جوانبها مصباح ضعيف النور ، وجلست على احدى الوسائد فتاة فى مقتبل العمر اشرق وجهها بماء الشباب ، وقد حلت شعرها الاسود فأرسلته على كتفها فحجب بعض جبينها ، وغطى عذارها فحجب قرطها وسالفيها ولكنه زاد عينها كحلا وأشارا . ولكن عينها الدعاوين اليراقطين قد غشيها الدمع فأخذ ينحدر على وجنتين محمرتين بينهما أنف دقيق مستقيم تحته فم صغير . فاذا ازداد انسكاب الدمع تلقته باطراف جدائلها أو بأحد كعبيها . وكانت لاسية جليها أسود زادها جالا وفتنة . وكان هذه الغادة استأنست بوحدتها فأطلقت نفسها هنان البكاء حيث لا رقيب ولا حسيب فأخذت تندب فقيدى عزيزين قتلا فى يوم واحد

تلك هى « قطام بنت شحنة بن عدى » من قبيلة الرباب ، فتاة الكوفة الفتاة التى ذاع صيتها فى الأفاق ، وسمع بجمالها القاصى والدانى حتى أصبحت فتنة الكوفيين ومضرب أمثالهم ، وشخصت اليها الأبصار وحامت حولها القلوب ، فباتت معجبة بجمالها لا تعرف هما ولم تدق غما حتى بليت بقتل أبيها وأخيها معا فى وقعة النهروان ، اذ كانا من جلة الخوارج الذين تقموا على الامام على لقبوله التحكيم فأنضموا الى من نقض بيعته وحاربوا فى جلة من حاربه

وكانت قطام ثابتة الجأش شديدة الميل الى الانتقام ذات حيلة ودهاء ، ما انفكت منذ قتل أبيها وأخيها وهي تندبهما وتلمس الانتقام لهما . ولكنها لم تكن تستطيع المجاهرة بذلك والكوفة مقر الامام على ومجتمع أنصاره وشيعته . فاقلمت بمنزلها هذا فى ضاحية الكوفة وحيدة ليس معها سوى عبد كهل ربى فى أهلها منذ صباه ، وقد هجرها بعد أن بليت بمصبتها جميع

الخدم والاعوان ما عداه . وكانت ترتاح الى بث شكواها له ، وكان هو يخفف منها ويعدها بنيل المرام

وفي اصيل ذلك اليوم كانت قد انفذته ليستقدم لها عجوزا من مولدات الكوفة ، كانت قد رببت بين ذراعيها منذ نعومة اظفارها وهي تحن اليها حينها الى امها ، فلما طال غيابها وسدل الليل نقابا ولم يعد ، شغلت بذلك من احزانها وهو اجسها وهي وحيدة في هذا البيت . ولكنها كانت اذا سكنت هنية تذكرت اباهما واخاها ومن كان يقيم في تلك الدار من الخدم والعبيد فتعود الى البكاء والنحيب



وفيما هي في ذلك سمعت وقع اقدام مسرعة عرفت انها خطوات عبدها ربحان ، فاجفلت ولكنها استأنست به فوقفت واسرعت لاستقباله . وكان ربحان طويل القامة ، شديد السواد ، خفيف العضل ، سريع الحركة ، جاحظ العينين ، افسط الأنف ، عظيم الوجنتين ، بلرز الأسنان يزيد بها بروزا تدلى شفته السفلى وانحسار شفته العليا . وكان يتفاني في خدمة سيده فابتدعها بالسلام . فقالت : « ما الذي أورك يا ربحان وأنت تعلم اني وحيدة هنا . أين العجوز لبابة ؟ »

قال : « انها قادمة على اثرى »

قالت : « وما سبب غيابك حتى الآن ؟ »

قال : « كنت في انتظارها وهي تخاطب شابا وتجادله ... »

قالت : « ومن هو هذا الشاب ؟ »

قال : « لا ادري . . وهذه هي قد اقبلت وستقص عليك الخبر مفصلا » وما اتم كلامه حتى دخلت العجوز تتوكأ على عكازها وقد احدثت بظهورها ونال منها الكبر فزادها قصرا ولكنها ما زالت سريعة الحركة شديدة المصيب ، وكانت عمصاء العينين غائرة الفم لخلوه من الأسنان ، مجمدة الخدين غائرتهما . فتقدمت الى قطام وقد غطت شعرها الشائب بنقاب أسود تجره وراءها لطوله وقصرها . وحالما دنت منها قبلتها واخذت تخفف عنها وتقول : « لا بأس عليك يا ابنتى ، اعدرينى لايطائى في الحضور »

فلم تزد الفتاة الا بكاء وهي تقول : « ما الذى يشغلك عنى يا خالة وأنت تعلمين أن ليس لى معز فى أحزائى سواك »

قالت : « هونى عليك يا قطام واستريحى ، فقد جئتك بالفرج باذن الله »

قالت : « من أين ياتينى الفرج ولا يفرج كربتى الا الانتقام ؟ »

قالت ذلك وحرقت اسنانها وهي تتشافل بجميع شعرها وارساله وراء ظهرها . ثم مسحت عينيها بكما الطويل وأرسلته على كتفيها فبانت اساورها ودمالجها حول معصمها الممتلىء ونظرت الى العجوز كأنها تسالها الايضاح

فضحكت العجوز وهي تنظر اليها ، ثم كفت عن ضحكها فجأة وكأنها تذكرت امرا محزنا فاستاءت قطام من ضحكها وهي تبكي وقالت : « ما بالك تبضحكين ؟ اتهزئين بكلامى . انى والله لا اقنع بما دون الانتقام »

فامسكتها العجوز بيدها وأقعدتها على الوسادة وجلست الى جانبها ، ونظرت الى ريحان نظرة فهم منها أنها تريد خروجه لتخلو الى قطام . فخرج فليث قطام تنتظر ما تقوله العجوز . فاذا بها تظل كأنها تنهيا لحديث طويل ثم قالت : « وماذا تريد يا قطام ؟ »

فالت : « أريد أن أثار لأبى وأخى اللذين قتلها على ظلما ، ولا بد لى من الانتقام »

قالت العجوز : « ما قولك فى انى وجدت لك من يأخذ لك بشارك ؟ »

قالت : « من هو ؟ قولى »

قالت : « اصبرى ولا تكونى لجوجة . اتمررين سعيدا ؟ »

قالت : « واى سعيد ؟ » . قالت : « سعيد الاموى الشاب الجميل الواقع فى هوالك »

قالت : « دعينا من الحب والغرام وحدثينى عن الانتقام »

قالت : « سبحان الله ! احبيبنى عن سؤالى . الا تعرفين هذا الشاب المفرم بك ، المفتون بسواد عينيك ؟ »

فتململت وقالت : « نعم أعرفه ، وماذا فى معرفته ؟ . بالله عليك لاتذكرى الغرام ، انى لا اشعر بماطفة الحب ، ولا يهمنى احبنى الناس ام ابغضونى »

فابتسمت العجوز ابتسامة الاستخفاف وقالت : « يا للعجب ! . ما أكثر لجأجتك - اذا كنت تعرفين سعيدا هذا فهل تحبينه ؟ »

فاجابت على الفور : « لا . لا . لا احبه ، ولا احب احدا ان قلبى فى شاغل من الحب بالبغض . انى ابغض بعض الناس ولا احب احدا »

قالت : « اذا كان لابد من الانتقام فيجب أن تحبى سعيدا »

قالت : « كيف احبه وليس فى قلبى موضع لغير البغض والحقد . انى حاقدة ناقمة »

قالت : « أنا أعلم ذلك ، ولكن احبى سعيدا ولو الى حين وهو ينتقم لك »

فبغنت قطام ، ونظرت الى العجوز وجعلت تتفرس فيها لتتحقق أنها تجد

ولا تهزل ، فلما آنست الجد في لهجتها قالت : « هل تقولين حقا ؟ . وهل سعيد
يرضى أن يركب هذا المركب الخشن ؟ »
قالت : « انى أجعله يركبه ، فان لم يكن أهلا له فهو ليس أهلا لحبك .
ما رأيك ؟ »

فصمتت هنيهة ثم قالت : « أحبه ؟ . نعم أحبه اذا كان الامر كذلك ولو
الى اجل قريب . ولكننى لا اظنه أهلا لهذا العمل ، بل لا أحسبه يقدم عليه .
ولكن قولى لى هل تتكلمين من عند نفسك ام سمعت ذلك منه ؟ »

فاعتدلت العجوز في مجلسها ، ونظرت الى قطام وقالت : « اعلمى يا حبيبتى
ان سعيدا هذا قد علق بك وأحبك منذ بضعة اعوام ، ولكنه لم يكن يتجرأ على
مخاطبة أبيك في الامر ، لان أباك كان يومئذ في جلة القائمين بنصرة على .
وسعيد كما تعلمين أموى . اى انه ممن تقموا على (على) وقاموا للمطالبة بدم
عثمان . فكان يعلم انه اذا خطبك من أبيك يومئذ فلن ينال غير الفشل . أما
بعد ان خرج أبوك على خلافة على ، ونبذ طاعته في جلة من خرجوا عليه بعد
التحكيم ، فقد حدثت سعيدا نفسه بان يخطبك ، فكلمنى في شأنك مرارا .
ولكن أباك كان مشغولا بمحاربة على وشيعته فلم اتمكن من التوسط له . فلما
علم بقتله وقتل أخيك . واحسرتاه عليهما (وتنهدت وهى تتظاهر بمسح
دموعها) عاد الى مخاطبتى في ذلك . وقد كنت اسوفه لعلمى بحزنك الشديد ،
ولكنه لم يزل يتردد على ويستنهضنى واعدا بان يبدل كل مرتخص وغال في
سبيل التمتع بهذا الوجه الجميل ، الى ان جاءنى اليوم وأعاد الكرة والحق كثيرا ،
فلمحت له الى انه اذا طمع في رضاك ، فلا سبيل الى ذلك سوى الانتقام لأبيك
وأخيك ، وقد آنست منه ارتياحا فاطلت الكلام معه وريحان في انتظارى ،
وهذا هو سبب غيابى عنك . فما قولك ؟ »

فلما سمعت قطام كلامها استبشرت بنيل مرامها فقالت : « وهل تريه
بنى بالمهد ، أو يستطيع قتل على بن أبى طالب . انى لا أقبل مهرا اقل من
ذلك »

قالت : « اظنه يقبل ، وأرى أن أستقدمه اليك ، ونظرا الى ما أعهده فيك
من المهارة لا أشك في انه يأخذ على نفسه العهد أن يقوم بكل ما تريدينه ، ولا
سيما اذا أظهرت له ميلا ، وذكرت له أنك تحبينه ، وتغننت في أساليب الدلال
والتمنع ، مشرطة أنك لا تتزوجين منه الا بعد قتل على . فاذا عاهدك على
هذا صبرنا حتى يقتله ، فاذا لم يفعل ، أو لقي حتفه ، كان دمه على رأسه
والسلام . ما قولك ؟ »

فاثرق وجه قطام وانزاحت الى هذا الراى وقالت : « لآبأس بما أشرت
به . أستقدميه لنرى ما يكون . ولكن لا تنسى أن تذكرى له انى لم أقبل بعد ،
وبالغى في وصف تمنى ، وعلى بعدئذ أن اكمل الحيلة »

فأغرقت المجوز في ضحكها وقالت : « ساعحك الله يا قطام ، إلا تزالين تحسبيني ساذجة ، وهل تجهلين أين قضيت هذه الشبية ؟ انى قضيت عمرى فى مثل هذه الشؤون ، فكم زوجت من رجال ، وكم أقنعت بالزواج نساء كان قبولهن اياه ضربا من المحال . لأتخافى على ، كما انى لا أخاف عليك . » قالت ذلك ونادت ربحان فأسرع اليها . فقالت له : « هل تعرف الشاب الذى كان عندى الليلة ؟ »

قال : « نعم أعرفه » . قالت : « سر اليه ، انه ما زال فى المنزل حيث رايتنا الليلة ، وقل له : (ان خالتك لبابة تدعوك اليها) . . » قال : « واذا أبى ، فماذا أقول له ؟ »

قالت : « لا أخاله أبى ، بل سيسبقك فى المجيئ ، فاذهب وادعه » . قال : « سمعا وطاعة » . وخرج



كان سعيد شابا أمويا فى حوالى الثلاثين من عمره ، توفى أبوه وهو طفل فكلفه جده وقضى صباه وشبابه مع جده فى منزل الخليفة عثمان وكانا من أخلص مريديه . فلما قتل عثمان كان سعيد وجده فى مقدمة الناقمين لعثمان والمطالبين بدمه . فلما كانت موقعة الجمل كان سعيد فى جلة رجال أم المؤمنين ، وظل جده مقيما بمكة لشيخوخته . فلما فشل جند أم المؤمنين وعادت الى مكة عاد هو معها وظل عند جده ولم يخرج لموقعة صفين

ولكنه كان يتردد على الكوفة ، وكان يسمع بقطام هذه وجالها ، وقد رآها مرارا وهى بالخمير فوقعت من نفسه موقعا عظيما ولكنه لم يجرؤ على التقدم لخطبتها ، لأن أباه كان قبل تحكيم الحكمين من شيعة الإمام على ، فلم يكن لزوج ابنته بأموى يطالب بدم عثمان . فلما خرج الخوارج عن طاعة الإمام على بعد التحكيم ، استبشر سعيد وأمل نيل مرامه ، ولكنه لم يتمكن من السعى فى طلبها إلا بعد مقتل أبيها وأخيها . فجاء الى لبابة ووسطها فى الأمر ، فاستخدمت هذه كل دهائها فى أغرائه بقتل على ، وتركته بقية الحيلة لقطام لعلمها انها لا تنقل عنها دهاء ومكرا

وكان سعيد حسن الطوية قليل الاختبار ، وبخاصة فيما يتعلق بدهاء العجائز . ولكنه كان جميل الصورة ممجبا بجماله وقد أعمى غرامه بصيرته فلم يحد يرى غير قطام أو يحلم إلا بها . فلما جاء المجوز فى تلك الليلة وخطبها فى شأها وأظهرت ما أظهرته من التمتع ازداد رغبة فيها وبدل كل ما فى وسعه من الوعود فى سبيل إرضائها ، وأغرى المجوز بكل ما يرضيها من المال والحلى فوعدته أن تسمى فى ترضيها . ومضت وتركته يتقلب على جزر الانتظار

فلما جاءه العبد يدعو إليها خفق قلبه وهول سرعا يتعثر بأذياله
فاخترق أسواق الكوفة وهو لا يرى شيئاً مما فيها لاضطرابه وتهيبه اجتماعه
بقطام منى قلبه وغاية مرامه ، فكان إذا تصور رضاها أشرق وجهه وطار
فرحاً . ثم يعترض تصويره ما آتسه في حديث العجوز من أن الفتاة تمنع ،
ويتذكر ما بدر منه من الوعد بالانتقام ، فتنبض نفسه ويضطرب لهول الموقف .
على أن هيامه كان يهون عليه كل عسر ويصور له المحال ممكناً . فخيّل إليه
أن قطام إذا رأت جلاله وتحققت ما هو فيه من الوجد لاتبث أن تقع في هواه
وتغضى عن أمر الانتقام

وفي ذلك ومثله قطع طريقه ، وريحان يخطو أمامه خطواته المتباعدة لطول
سابقه ويحاول الإبطاء في مسيره لئلا يسبق سعيداً ولكنه ينسى ويعود إلى
الأسراع ، فاذا تنبه إلى أنه قد سبقه عاد يمشى الهوينى حتى يلحق به . كل
هذا وسعيد في شغل بأحلامه وأمانيه

ولما جاوزا المدينة ، آتسا سكوتا لا يسمع فيه إلا صوت الحصى تحت أقدامهما ،
والكوفة كثيرة الحصى والرمال ، حتى وصلا إلى باب البستان ودخلا بين
النخيل ، فقال ريحان : « أمهلنى يا مولاي ريثما أدخل المنزل ثم أعود اليك »
فظل سعيد يتمشى بين النخيل ، وهو يتشاغل برؤية ظلالها ، وبلاستماع
لنقيق الضفادع على شاطئ البحيرة ، بينما يهيم نفسه لمقابلة قطام ، فيصلح
عمامته ويمشط شاربيه ولحيته ، وينفض جيبته . ويصلح وضعها

ولما طال انتظاره قلق وحدثته نفسه بأن يستأذن في الدخول إلى الدار .
وفيما هو بهم بذلك سمع حركة ومشيا ، وبعد هنيهة ظهر له نور عند الباب
وسمع ريحان يناديه ، فهورول وقلبه يخفق وربكته ترمشان رعشة الحب
والبغته ، فعثرت رجله بحبل من الياف النخيل كان مشدودا إلى جذع نخلة ،
فكاد يقع ، ثم تقدم نحو باب الدار فاستقبلته لبابة مرحجة ، ومشت أمامه
وريحان يتقدمها بالمصباح . فدخلت به حجرة قطام ، ودعته للجلوس على
وسادة وجلست هي على وسادة أخرى ، وترك ريحان المصباح هناك وخرج
وكان سعيد يتوقع أن يرى قطام هناك ، فلما لم يرها قلق ، وزاد في قلقه
سكوت لبابة عن الحديث وجودها . فقال : « مالى أراك ساكنة يا خالة ، ألم
ترسلى إلى بالمجىء ؟ » . قالت : « بلى »

قال : « وأين قطام ؟ » . فتنهدت وقالت : « هي هنا في الغرفة الأخرى ،
وسنذهب إليها بعد قليل »

قال : « أراك في قلق . ما الذى جرى . قولى »

قالت : « لم يحدث شيء » . وتظاهرت بأنها تكتم خبراً ، فقال : « ولكنى
أراك كئيبة ، أخبرينى ، لقد نفدت صبرى »

قالت : « لا تقلق يا ولدى ، ليس هناك ما يدعو إلى القلق . غير أنى مللت من

استعطف هذه الفتاة وترغيبها وتشويقها ، فلم أر منها الا البكاء والنحيب ولم اسمع الا قولها : (الانتقام . الانتقام) . وكل من يخاطبها في غير هذا الموضوع لا يسمع منها جوابا »

قال : « ألم تذكرى لها شيئا من حديثى معك ؟ »

قالت : « كيف لا ، اننى لو لم اذكر لها اسمك مشفوعا بوعدك بالانتقام لما أجابتنى » . ثم ادنت فمها من أذنه وقالت : « ولكننى آنست من خلال تمنعها أنها ترتاح الى ذكر اسمك ، وأظنها تحبك ولكنها مأخوذة شغلها الانتقام عن الحب ، ولذلك سرت لما أخبرتها بوعدك وان لم تصدق قولى كأنها تحسبني أعيت بها ، أولعها استبعدت ذلك منك أو خشيت رجوعك فيه لجهلها ما أنت مفطور عليه من الحمية وكرم الاخلاق »

قالت المعجوز ذلك بنعمة تدل على ثقتها التامة بشرف نفس سعيد وصدق وعده . ثم شغلت نفسها بالسعال ومسح آماقها مما يتحلب فيها من الدمع المتواصل من اثر الشيخوخة ، وصبرت لترى ما يبدو منه قبل اتمام الحديث اما هو فاثرة قولها فيه وهاج ما في قلبه فقال لها : « أننى لا الوم قطام فانها لاتعرفنى بعد ، فهي معذورة اذا أساءت الظن بى . ولكن أين هي ؟ أرىنى اياها فأؤكد لها وعدى فتعلم من هو سعيد » . قالت : « هي هنا »



واخذت لبابة المصباح بيدها ومشيت امام سعيد الى حجرة تجلس فيها قطام على اريكة وهى تبكى وشعرها مخلول . فلما رأت النور يقترب منها اسرعت فضمت شعرها وارسلته الى ظهرها وغطت رأسها بنقاب أسود . ولم تك تدفع ذلك حتى دخلت المعجوز وهى تقول : « خففى عنك يا قطام وارفقى بنفسك واشفقى على شبابك كفك بكاء ونحيبا . انهضى فسلمى على محبك سعيد . . »

فقطعت قطام كلامها قائلة : « ألم اقل لك لاتذكرى الحب والغرام بل اذكرى القتل والانتقام . انى لا احب الا الانتقام ، ومن ينتقم لى فهو الخليق بأن اعطيه قلبى . ولكن . . . »

فتقدم سعيد وقد اصبح بعد رؤية قطام على تلك الحال لا يرى شيئا غيرها ولا يبنى الا رضاها وقد شق عليه قولها : (ولكن) لما ينطوى عليه من ضعف ثقتها به ، فقال لها : « الا ترضين يا قطام ان اكون أنا المنتقم لك ؟ »

قالت وهى تظهر عدم الاكتراث : « لا . لا ارضى ان تعرض نفسك لهذا الامر من اجلى ، فانى أولى منك بركوب هذا المركب الخشن » . ثم رفعت يدها وأشارت بسبابتها الى صدرها وقالت بصوت تتخلله غصة البكاء : « أنا

أقتل قتلة أبى وأخى بيدي . أنا أقتلهم . أنا أقتل عليا وإن كنت فتاة . ان حب الانتقام يقوينى ويشجعنى . ولا حاجة بى الى تعريض سواى لخطر القتل . انك شاب لا يهكم من أمر على شيء فكيف تتصدى لقتله من أجل غيرك ، ذلك لا يكون »

فانخدع سعيد بكلامها وحسبه صادرا عن شهامة وغيره حقيقتين، فازداد رغبة فى الأقدام على ذلك العمل . وقال لها : « كيف تقدمين بأمليحة على هذا الأمر وأنا بين يديك . لعلك لا ترين فى الكفاءة . وكيف حسبت أننى لا يعينى قتل على ، ألا تعلمين ان بنى أمية يطالبونه جميعا بدم عثمان ؟ فإذا قتلتها فأنى ارضى قومى فضلا عن ارضاء قطام . ان بذل النفس يسير فى سبيل ارضائك . وإذا أذنت لى أن ادعوك حبيبتى فكل شيء هين »

فلما تحققت قطام وقوعه فى الشرك ، أرادت أن تتمكن من عهده بصك تستكتبه آياه ، فامسكت ثقابها بيدها وتظاهرت باصلاحه ، فانكشف معصمها عن الاساور والدمالج ، وبانت عيناها وقد ذبلتا من البكاء فازدادتا جلا ، ورنت اليه وتاملته كأنها تزن مقدرته على ما وعد به . أما هو فلا تسئل عن حاله بعد تلك النظرة ، فنارت عواطفه ونظر الى العجوز كأنه يحرضها على التوسط فى الامر . فتظاهرت لبابة بأنها تساعد فى غرضه وقالت لها : « ألم يكفك ما قاله هذا الشهم ؟ ألم اقل لك ان وعده صدق ، وفضلا عن ارضائك بقتل على فهو يرضى عشيرته وأهله أيضا ؟ . اعلمى يا قطام أنه لا بد من رجل يقتل هذا الخليفة ، ومن يسبق الى قتله يكن صاحب النصيب الاوفر والاجر الاعظم »

فقطعت قطام كلام العجوز قائلة : « أنا أعلم انه مقتول لاحالة ، فان لم ييؤ من الرجال من يفعل ذلك فعلته أنا بيدي . انظرى الى هذه الحلى فى معصم وأذنى ، انى لم أنزعها ليس لأنى لم أحزن على أبى وأخى ، بل لأنى واثقة من الانتقام لهما ، ومتى أخذت بالثار فقد أحييت القتيلين فكيف أحزن ؟ . ام ما قاله سعيد فمروءة منه ، ولكن الانسان ياخالة عرضة للتردد فلعل سعيدا اذا خرج من عندنا يرى رأيا آخر ، أو يتهيب الامر فيرجع عن الوعد . فانا لا أريد أن أقيده بعهد أرى أنه ربما عاد فندم عليه . ولست أقول هذا استهانة بجرأته ومروءته ، ولا استصعابا لقتل على ، فان قتله من أيسر الامور ، ولكنى أخشى أن يكون تقييد سعيد بهذا العهد على غير رغبته »



هم سعيد بان يجيب قطام ليؤكد لها صدق وعده ، فأوقفته العجوز عن الكلام وتظاهرت بالدفاع عنه وقالت : « اسمحى لى يا قطام بكلمة أقولها لك . انت لا تعرفين سعيدا بعد ، ولكننى اعرفه واعرف صدقه ، وأنا أسالك بالنيابة عنه : هل تريدان أن يكتب لك عهدا بأنه يفعل كل ما قاله لك ؟ »

فلما سمع سعيد ذكر كتابة العهد تهيب وعظم الامر عليه ، وكأنه صباحا من سكره لحظة تبين فيها خطر الامر ، على انه ما لبث ان عاد الى سكرة القرام ، ولا سيما بعد ما سمعه من كلام العجوز الدال على ثقته به

اما قطام فكانت تنظر الى كل حركة تبدو من سعيد ، فلم يفتها ماجال في خاطره ساعته من الندم وهو يحاول التظاهر بغير ذلك . وأرادت ان تحمله على كتابة العهد فقالت للعجوز : « اراك اقميت نفسك نائبة عنه في امر لا تصح النيابة فيه ، ولعله غير راض به ، وفي سكرته دليل على ذلك . فدعينا من هذا الموضوع ، ولا تمرضى سعيدا للخطر وانت تعلمين ما له من المنزلة في قلبي ، وان اكن قلما رأيته ، فافضل ان اعرض نفسي للخطر ولا اعرضه »

فعمم ذلك القول على سعيد واثارت الحمية في راسه ، فنهض وقال لها : « اتحسبين سكوتي يا قطام عن تردد او خوف ؟ لا وجبك ، فما انا ممن يضمنون بالنفس في سبيل الحب ، وقد اكون ترددت في بادىء الراى . واما بعد ان علمت يما لى عندك من المنزلة فانى اكتب العهد ولا ارضى الا بكتابته . هاتوا رقا ومدادا » . فنهضت للعجوز مسرعة لاحضار الرق والقلم ، وكانت قد اعدت كل شيء قبل مجيئه

وانتهز سعيد فرصة غيابها واتزاح مقعده وأصلحه بحيث يواجه قطام . اما هي فنظرت اليه وابتمت وقالت بصوت يتخلله الدلال : « لا تعرض نفسك للقتل يا حبيبى ، ما لنا وللصكوك الا يكفينا القول ؟ »

فما آتس سعيد منها هذا التقرب وسمع قولها : « حبيبى » حتى اخذ يبشها حبه وغرامه وتغانيه في سبيلها ، وطابت له تلك الخطوة القصيرة وانتشى بمبادلتها اياه عواطف الحب ، واعتقد انه أسعد انسان على وجه الارض بفوزه بحبها له . غير عالم بان قصدها لم يكن سوى اغرائه بقتل على ، وقد اضممرت انه اذا فشل في مهمته فلن تأسف عليه اذا قتل . وأرادت ان يكتب الصك حتى لا يرجع عن وعده

وادركت العجوز ان في ابطائها وسيلة لاتاحة الفرصة لقطام كي تتمكن من اغرائه ، فابططت لغير داع ، ثم عادت ويبيذها رق من جلد الماعز وقلم من القصب وقرن ايل فيه مداد اسود . فلما رآها سعيد ، ورأى الصك في يدها عاوده الخوف ، وحدثته نفسه بالرجوع عن الوعد ، ولكن الحياء والحب منعاه . ولم يخف تردده على قطام فتلافت ذلك بابتسامة ونظرة وهو يرنو اليها ويقول في نفسه : « ما أسعدنى بهذا اللقاء ، وما أجل هذا الحب لولا هذه الشروط » . ولم تترك له قطام فرصة للتردد فقالت للعجوز : « لمن اتيت بهذه الادوات يا خالة ؟ اما زلت تصرين على ان يكتب سعيد عهده ؟ لا . لا اظنه يكتبه » . وابتمت وهي ترنو اليه ، ثم قالت : « وكأنى به ندم على ما فرط منه لا عن جبن أو خوف لا سمح الله ، ولكنه رأى قطام

لا تستحق هذه العناية ، وأراه يقول في سره : (أمن أجل امرأة اقتحم مثل هذا الخطر) . » . قالت ذلك ونظرت إليه نظر المحب العاتب

فلما سمع سعيد كلامها ورأى دلالها نسي كل خطر ، ولم ير له مخرجاً من من خجله إلا بالمبادرة الى تناول الرق ، فتناوله من يد لبابة وامسك القلم وقد أخذ منه الهيام مأخذاً عظيماً حتى توردت وجنتاه واحمرت عيناه . فوقفت العجوز الى جانبه والمصباح في يدها ، فكتب ويده ترتعش ولكنه يتجلد لئلا يبدو ذلك لقطام فتظنه خائفاً واليك نص كتابه :

« أنا سعيد بن . . الأموى اعاهد قطام بنت شحنة على قتل على بن أبى طالب مهراً لزوجى بها ، فإذا لم أفعل لم أكن كفواً لها ، وعلى عهد الله وميثاقه

كتبه سعيد الأموى »



وما فرغ سعيد من كتابة العهد حتى دفعه الى قطام وهو فخور بما فعل ، ليرى انه ليس جباناً كما ظنته ، ولكنه لم يكذ يدفعه اليها حتى شعر بالخطر الذى عرض نفسه له . على انه لم يتبين الخطر جيداً لما حال بينه وبين عقله من غيابة الوجد والهيام

أما قطام فتناولات الرق وقراته المسام ، ثم نظرت الى سعيد وقالت : « يظهر أنك كتبت العهد حقيقة ، اليس عارا على قطام أن تأخذ منك صكا على عهد عاهدتها عليه فى مثل هذا الموقف ، كأنك حلت كلامى على محمل الجد ، وقد قلت لك الآن : (انى لا أبالى من يقتل عينا ، وأنه اذا لم يقتله احد فسأقتله أنا) . أما وقد كتبت فانى أحفظه عندي تذكرا لهذه الليلة التى أعدها أحسن ليالى العمر . . وأرجو أن نجتمع قريباً لنيل المرام » . قالت ذلك وفى صوتها رنة الدلال

فصدق سعيد كلامها واطمان قلبه ، ولكنه علم بأنه لا ينال قطام إلا بعد قتل الإمام على بن أبى طالب فعاد الأمر الى خطورته ، فانقبضت نفسه وأراد أن ينفرد بنفسه فاستأذن بالخروج . فقالت له قطام : « أمكث عندنا . . أو اذهب لعلك تهتدى الى سبيل يقرب جمعنا الدائم » . قالت ذلك وابتسمت ورنّت اليه ، ثم تاوحت وودعته ، فخرج سعيد ولبابة تسيعه ، فرأيا ريحانا لا يزال ساهرا فى الحديقة يطوف حول المنزل خوفاً من الرقباء والعيون

ولما خرجت لبابة بسعيد قالت له : « انى أهنتك برضاء هذه القادة فقد نلت الليلة ما طالما تلتهف عليه أهل الكوفة بل سائر أهل العراق ، ومن الغريب انها كانت مع فرط حزنها لاتنظر اليك الا وهى تبتسم . . فما أجل الحب اذا كان متبادلاً . وأما العهد الذى كتبت فليس من الأهمية فى شيء . فهب أنك

صادفت خطرا فان قطام لا ترضى ان تتعرض له . فودعها ومشى يتعثر بأذياله ، وكأنه غادر قلبه عند قطام . فلما انفرد عادت اليه هواجسه فتصور خطورة الامر الذي أقدم عليه . ولما لم يبق له حيلة في الرجوع عن عهده جعل ينتحل لنفسه أعذارا تخفف قلقه وتحسن له ارتكاب ذلك المنكر . فخبيل اليه أنه اذا قتل عليا فانه ينتقم لسائر بنى أمية ويفاخرهم جميعا بما لم يستطعه أحد منهم . فينال حظوة في عيني معاوية فضلا عن تمتعه بقطام . ولما تصور قربه منها اختلج قلبه في صدره وهان عليه كل عسير

فمشى وهو في هذه الخيالات الكاذبة حتى دخل الكوفة ومر بجامعة القائم في وسط الساحة الكبرى . وكان الجو هادئا والقمر منيرا فرأى ما يحرق بمنزل الامام على من الأبنية والغيام بمن فيها من كبار بنى هاشم من شيعته . وهو يعرف منهم جماعة صناديد لا يهابون الموت . فخارت قواه وكبر عليه الامر وظل في طريقه الى منزله يفكر في حيلة ينال بها ما يريد



وكان منزله في سوق من أسواق الكوفة فوصل اليه وهو يظن نفسه بعيدا عنه ، وانما نبهه جمعية جل رابض في فئانه فظننه جله وقدمهده في مأواه قبل ان يغادر المنزل . فدخل الفناء فرأى جلالا واناسا كانهم قادمون من سفر فبغت . فتقدم اليه واحد منهم ولم يكذب يلقى عليه السلام حتى عرف انه من رجال جده ابي رحاب فذهل ولم يرد التحية وقال له : « ما وراءك يا عبد الله ما الذي جاء بك ؟ »

قال : « اننا قادمون من عند جدك مولانا ابي رحاب »

قال : « وما الذي حملكم على المجيء ؟ »

قال : « جئناك في مهمة عاجلة »

قال : « وما هي ؟ »

قال : « ان ابا رحاب وقد شاخ ووهن عظمه بعثنا يستقدمك اليه »

فذهل وصاح قائلا : « وما الذي اصابه . امريض هو ؟ »

قال : « مرض الشيخوخة فقط ولكنه مشتاق لرؤيتك وقد امرنا ان نسرع بالمجيء بك اليه »

قال : « واين يكون هو الآن ؟ »

قال : « في مكة »

قال : « اذهب الى مكة ، »

قال : « ذلك ما امرنا به فافعل مابدا لك »

فلبث مدة صامتا يفكر ثم مشى وهو يقول : « لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم » . وصار عبد الله فى اثره حتى دخلا المنزل . ثم التفت سعيد وهو ينزع عبايته وقال : « لابد من امر ذى بال اقلق جدى فدعاني اليه فهل تعرفه ؟ »

قال : « لا اخاله دعاك الا ليراك قبل حلول اجله لانه شاخ وضعف وانت تعلم حبه لك وأن ليس له سواك »

قال : « لاحيلة لنا فى الامر فلنبث الليلة ونصبح مسافرين » . وقضى ليلته يفكر فى قطام وسفره

ولما اصبحوا ركب سعيد ناقته وركب عبد الله ورفاقه جالهم وهموا بالمسير ، فرأى سعيد أن يودع قطام قبل السفر فاستمهل رفاقه وسار يلتمس منزلها وهو فى لباس السفر . فلما اشرف على المنزل تذكر ليلته أمس فلم يضطرب لقلقه على جده وقد خاف عليه الموت قبل وصوله اليه . فدخل المنزل فلقى ريحانا فسأله عن قطام . فقال : « انها خرجت فى أمر وسوف تعود »

فقال : « الى اين ذهبت ؟ »

قال : « لا ادرى »

فشغل بال سعيد لخروجها فى الصباح ، وهو لا يرى ما يدعو فتاة مثلها الى الخروج ، فدبت الغيرة فى قلبه وقال : « وهل ذهبت وحدها ؟ »

قال : « مع لباية »

قال : « اتظنها تبطىء كثيرا ؟ »

قال : « لا ادرى وربما بقيت الى المساء أو الى الغد اذ يخيل الى انها ذهبت الى بعض اهلها خارج الكوفة »

دار الحديث بينهما وسعيد يتردد بين أن ينتظر عودتها وبين أن يسير . وتمنى لو يعلم مكانها ليذهب اليها فيودعها ويزيل شيئا من غيرة عليها . ولو تحقق مجيئها بعد ساعة أو بضع ساعات لانتظر ولكنه خاف أن يطول غيابها اياما . فنوى المسير وقال لريحان : « اقرئ قطام السلام عند رجوعها ، وأذكر لها انى شاخص الى مكة لأمر عاجل وقد جئت لوداعها فلم أجدها . وسأعود قريبا باذن الله »

وخرج الى رفاقه وساروا قاصدين الى مكة وقلبه فى الكوفة . ولم يكد يخرج منها حتى ندم على خروجه دون أن يرى قطام . ولكنه التمس عذرا لنفسه ما شغله من أمر جده

أبو رحاب

وكان أبو رحاب جد سعيد شيخا طاعنا في السن . ربي سعيدا في حجره بعد موت أبيه ، وكلاهما على دعوة بني أمية في المطالبة بدم عثمان . وكان غرضهما الانتقام لعثمان لانهما أقاما زمنا طويلا في منزله . وكان أبو رحاب على حبه لعثمان غير غافل عن أخطائه التي دعت الناس الى اضطهاده ، وكثيرا ما حثه على الإصلاح ومصالحة المسلمين فلم يصغ له الا قليلا . وعلم أبو رحاب بعد ذلك ان جماعة من ذوى الأغراض كانوا يثنونه عن الإصغاء وبحرضونه على العداة . حتى اذا قتل عثمان كان أبو رحاب وسعيد في جلة المطالبين بدمه ، ولكنهما عندما عادا من وقعة الجمل قعد أبو رحاب عن المطالبة ، لانه تحقق ان أصحاب تلك الوقعة انما جاربوا عليا طمعا في الملك لا غيرة على عثمان

واقام لأجليس له بمكة الاسعيد . وكان سعيد ينوى الانضمام الى جند معاوية في وقعة صفين فمنعه جده . وكان أبو رحاب يعلم ان سعيدا يجب قطام حيا شديدا وانه سباع للزواج بها . ولذا كان يأذن له في الذهاب الى الكوفة لتلك الغاية . وطال غياب سعيد هذه المرة واحس أبو رحاب بضعفه يتزايد ، فأراد استقدامه ليتزود من رؤيته قبل موته ويوصي له بوصية لها علاقة كبرى بشؤون حياته وربما غيرت مجارى أعماله وحولته عن مقاصده وآماله . فبعث رجلا من خاصته اسمه عبد الله في وفد الى الكوفة لهذه الغاية . ولبت ينتظر رجوعهم وهو يتقلب على فراش الضعف والهزم كأنه يستمهل ملاك الموت ريثما يصل حفيده لئلا يذهب ما في نفسه ادراج الرياح وتضيع حياة سعيد عبثا

اما سعيد فانه قضى مسافة الطريق بين الكوفة ومكة وهو بين شوق الى قطام وقلق على أبي رحاب . وكان من شدة حبه لقطام يود بقاء جده حيا ليبشره برضاها وقبولها لانه طالما صرح له برغبته فيها . وكان أبو رحاب يتعناها له . وكان سعيد اذا فكر في ذلك فرح ثم يعترض فرحه امر العهد وقتل الامام فيضطرب فيعلل نفسه بما يناله من الفخر اذا قتل عليا علاوة على استرضاء جده لانه يطفىء ما يجيش في نفسه من نار الانتقام لعثمان فيفرحه قبل موته

قضى اكثر ايام الطريق في مثل هذه الافكار لايبالي بمن حوله من الرفاق كانه سائر وحده . ولم يكن يشغله عن ذلك ما يلاقيه في طريقه من الجبال

والأودية والصحارى ، وما يمر به من الربوع والأحياء والخيام ، حتى أشرف على مكة من أكمة . فإذا هي في منبسط من الأرض تحيط بها الجبال والكعبة قائمة بين أنبيتها قيام الملك بين الأعوان . وكانت الشمس قد مالَت إلى الغروب فأسرع في مسيره يلتمس منزل جده وقلبه يخفق خوفاً عليه من بأس يصيبه قبل وصوله

ولم يكد يدخل مكة حتى أسدل الليل نقابه فساق ناقته يلتمس المنزل قبل اشتداد الظلام ، وترك رفاقه يهتمون بشؤونهم . وكانت عادته إذا دخل مكة أن يطوف بالكعبة قبل الذهاب إلى البيت ، ولكنه سار هذه المرة توا إلى المنزل وهو مضطرب خوفاً على حياة جده

فخرج على منعطف يؤدي إلى البيت رأى فيه أناساً عرف انهم من الأهل والأصدقاء فحياهم وسألهم عن حال أبي رحاب . فلما عرفوه طمانوه وسبقه بعضهم لبشر المريض بقدم حفيده . فلما اطمان قلب سعيد على جده هذا روعه وترجل عن ناقته وسلمها إلى الخادم ومشى وهو بالعباءة والكوفية والسيف . فأنتهى إلى باب كبير مقفل دخل من خوخته ولم ينتظر أن يفتحه له . ومر في فناء لم ير فيه أحداً وسار توا إلى الحجرة التي يقيم بها جده عادة وفيها مضباح منير دون سائر الحجرات . وقبل الوصول إلى الباب استقبله رجل خارج من عنده يمشى الهوينى على أصابع قدميه مخافة أن يوقظ المريض من نومه العميق . فمرقه سعيد أنه من بعض ذوى قرباه فسأله عن جده

فأجابته : « انه نائم نوما عميقا وقد مضى عليه بضعة أيام لابنام فلما احس بالنعاس أخرج الناس من غرفته ولم يبق سواى وأوصانى ألا أوقظه إلا اذا جئت أنت »

قال : « دعنى أدخل عليه وهو نائم » : قال ذلك ونزع حذاءه ودخل الحجرة يسترق الخطى . فاجتاز العتبة وأطل على حجرة مضيئة بسراج على مسرجة قصيرة من الخشب الصلب فوق حافة بارزة من الحائط بجانب فراش . وكانت فتيلة السراج ثخينة تنصاعد من لهيبها سناج يتطاير فيترك في صعوده آثارا سوداء على الحائط قرب السراج ، ولو كان لون الحائط نقي البياض لظهرت آثار السناج أكثر جلاء ولكنه كان مدهونا بطين أسمر

تقدم سعيد نحو الفراش وقلبه يخفق اشتقاقا من أن يكون جده قد رقد وقادا ابديا . فمشى على حصى من سعف النخل يكسو أرض الغرفة ، عليه غطاء كالسباط مصنوع من جلد مصقول . وكانوا لما اشتد به الضعف رفعوه عن الأرض إلى مقعد مستطيل ، ظهره شبكة من نسيج الجلد ، وهى قد دمن جلد يشدونها بين جوانب المقعد كالشبكة يجلسون عليها مباشرة أو يجعلون فوقها الفرش ، وقد توسد أبو رحاب فراشا رقيقا والتحف ببرد من صوف أسود يغطيه إلى أعلى الصدر ، واستلقى على ظهره ويده مضمومتان تحت

الغطاء وعيناه مغمضتان يظللهما شعر حاجبيه فيزيدهما غورا

فلما اقترب سعيد من جده نظر الى صدره فرآه يتنفس تنفسا هادئا فهذا اضطرابه وسكن بلباله ولبث واقفا يتأمل في مظاهر الهرم . فذكر ان جده كان من كبار الهامة طولا وعرضا ، ولكنه أصبح هيكلا من عظام مكسوا بالجلد . اما وجهه فلم يكن ظاهرا منه الا الانف والجبهة وما بقى منه كان مغطى بالشعر الابيض الناصع . وازداد منظره رهبة حينئذ لضعف النور حتى خيل الى سعيد لما اشرف على فراش جده ان رأسه كتلة من القطن المندوف يتخللها نيات مظلمة هي الانف والوجنتان والجبهة ، واما ما خلا ذلك فقد غطته اللحية والشاربان والحاجبان ، واستطالت لحيته وانبطت حتى غطت عنقه وصدره ولكنها كانت قليلة الشعر تشف عن عنق دقيق مستطيل بانث عضلاته وفي مقدمتها القصبة وقد برزت بروزا عظيما اما الرأس فقد كان حليقا او لعله اصلع

وكان شيخنا الراقد قد دله قلبه على مجيء حفيده فتحرك وتلملم ثم فتح عينيه البراقنتين وأجال نظره في جوانب الغرفة فوقع على سعيد فتبسم . فلما رآه سعيد قد استيقظ جثا أمام فراشه وهم بتقبيل يديه . فرفع أبو رحاب ذراعيه وضم سعيدا الى صدره وطفق يستنشق رائحة عنقه وخديه بلهفة وسعيد يطاوعه على كل حركة يريدها . فأطال أبو رحاب عناقه وسعيد صابر حتى أحس بماء ساخن يتحدر على خده علم انها دموع سخينة ولكنه لم يدر أدموع الحزن هي أم دموع الفرح . على انه خاف عليه فاستأذنه ونهض عن صدره فرآه يحاول الجلوس فأعانه بيديه ونظر اليه وهو جالس فذهل لشدة ضعفه حتى تخيله قفصا من عظام

وأخذ أبو رحاب يصلح لحيته وشاربيه ويمسح عينيه . ثم مد يده الى سعيد فعلم هذا انه يريد يده فأعطاه إياها ، فأمسكها بيديه فأحس سعيد كأنها أصابع من حديد ليبس أنامله وجفاف جلدها وبرودتها ، وشعر برعشة رعشا متواصلا مما أنتابه من الضعف الشديد



وما زال سعيد يشاهد في جده الضعف الشديد حتى سمع صوته فاذا هو كما بهمهده جهوري رنان . فاستأنس به واطمان لسماعه . وأول كلمة سمعها منه قوله : « الحمد لله على مجيئك سالما . لقد أطلت القبية يا ولدي » قال : « لقد جئتكم مسرعا حالما علمت برغبتك في ذلك ؟ كيف أنت الآن وبماذا تشعر يا جدي ؟ »

قال : « كنت أحسبني على شفا الموت ولكنني لما رأيته وأمسكت يدك شعرت برجع قواي . فانا الآن كما تعرفني من عشر سنوات وكان الله شدد عزيمتي ليتمكنني من تزويدك بنصيحة هي آخر ما أتلظ به في الحياة »
قال : « اني اشتاق لنصحك كل حين وارجو ان يمد الله في أجلك لتشهد زواجي بقطام » . ثم التفت يمنة ويسرة لئلا يسمعه أحد فرأى المكان خاليا فقال بصوت منخفض : « وتفرح بما يسبق ذلك من الانتقام الذي طالما تأقت نفسك اليه »

فنظر الشيخ اليه بعينين رأى سعيد بريقهما من خلال الحاجبين ، وكان قوس الشيوخة واضحا حولهما ، ثم سمع جده يقول : « أما زواجك بقطام فقد فهمته وسرني بلوغك مرامك وأما الانتقام فلم أفهم علاقته بها »

فتبسم وقال : « الا تذكر يا جداه ما قمنا به منذ اعوام وقام به كل بنى أمية من المطالبة بدم الخليفة المقتول ظلما . وهل جرؤ أحد على الانتقام بقتل القاتل ليخلو لنا الجو ؟ »

فقطب النسيخ جبينه كأنه غضب وقال : « من هو القاتل ومن سيقتله ؟ »
فأدنى سعيد شفثيه من أذن جده وقال : « ان القاتل على بن ابي طالب وأنا سأقاتله ، وفي ذلك ما فيه من الفخر والفضل ، وأقنى أن يمد الله في بقائك ليتم الامر تحت جناحك »

ولم يصبر الشيخ على سماع بقية الحديث لعظم اضطرابه وحنقه ، وعرف سعيد حنقه مما رآه من ارتعاش يديه واختلاج شفثيه واهتزاز لحيته . ولا تسلم عن دهشة سعيد لما سمع جده يقطع عليه الكلام قائلا بصوت عنيف : « لا لا لا يا سعيد ... لا تقتلوا البريء »

فذهل وظن ان جده لم يفهم كلامه فقال له : « تمهل يا جداه ، اى برىء تعنى ؟ انى سأنتقم من على بن ابي طالب ، فكيف تقول انه برىء وأنت أول من دعا الى مطالبته بدم عثمان . يظهر أنك أخطأت مرادى »

قال : « كلا انى لم اخطىء مرادك فلا تخطىء أنت مرادى . ان عليا برىء ... انه برىء مما اتهمناه به . انه لم يقتل عثمان ولا مالا على قتله ولا أراد سوءا بالمسلمين ، ولا ارتكب امرا يستوجب نعمة »

فوقف سعيد وهو يحسب نفسه في منام لعلمه أن جده كان من أوائل الناقمين على على فكيف انقلب الى الضد . فتبادر الى ذهنه أن جده قد خرف

وأدرك أبو رحاب ماجال في خاطره فقال له : « لا يخالج ذهنك شك في صحة

عقلي فاني انما اقول ما اقله عن روية وصدق نظر، ولم استقدمك من العراق
الا لهذه الغاية . ولا اقول ذلك جزافا بل اثبته بالبرهان »

ولبت سعيد مذهولا مستغربا لكنه صبر وقال : « وما الذي دعاك الى هذا
التغير العظيم . كيف يكون ذلك ؟ وكيف يكون على بريثا من دم عثمان ؟ بل
كيف تعترف انت ببراءته . وقد كنت من أوائل متهميه ؟ »

فأشار الشيخ بيده الى سعيد أن يجلس ويهدى روعه ويصبر ثم قال :
« اما ما دعاني الى ذلك فهاتف سمعته يقول ويكرر القول : (ان عليا برىء
وانما يتهمه اهل المطامع وذوو الاغراض) . وكنت كيفما توجهت اسمع هذا
الصوت يرن في اذني حتى اقلق راحتي . فبحثت عن الامر بنفسى وتدبرت
ما أعلمه من تاريخ علي وعثمان وغيرهما من القائمين بهذه الفتنة ، فوجدت
معاوية وسائر بني امية على ضلال ، بل هم اهل اغراض اتخذوا مقتل الخليفة
المظلوم ذريعة للحصول عليها »

وقطب حاجبيه وقد ابرقت عيناه من خلال قوس الاشياخ حول حديقته
وبان الجد في لهجته ، فظل سعيد صامتا لا يبدى حراكا لما استولى عليه من
الدهشة



على خير من معاوية

ثم أجال الشيخ يده في لحيته وأصلح شعر حاجبيه وشاربيه والتفت الى سعيد وقال : « يزعم معاوية وأصحابه أنهم انما جردوا السيوف وسفكوا الدماء للمطالبة بدم عثمان كأنهم لم يكونوا يستطيعون اللب عنه قبل قتله . ولقد يضحكني مطالبة عمرو بن العاص بدم عثمان ، وهو أول من أراد قتله وسعى في ذلك حتى افتخر بأنه قتله وهو في فلسطين . فقد علمت انه لما بلغه مقتل عثمان وهو في وادي السباع قال : (أنا قتلته وأنا في وادي السباع) يعنى انه سعى في قتله عن بعد . فلا يفرنك بعد ذلك مجيئه هو وأبنؤه ماشين الى دمشق ليكون ويقولون : (واعثماناه !) ننعى الحياء والدين) . انهم انما فعلوا ذلك حيلة للانضمام الى معاوية ...

« واما معاوية وسائر بنى أمية ، فهل تحسبهم شرعوا الاسنة وايقظوا الفتنة مطالبة بدم ذلك الخليفة المقتول ؟ . اذا كانوا فعلوا ذلك غيرة وحنانا فما بالهم لم يداؤموا عنه وهو منحصور يستنجدهم من المدينة الى الشام ؟ وهب أنهم تأخروا عن نجده كرها كما يزعمون فما بالهم نسوه ونسوا اولاده . واذا كانوا يؤمنون بأنه قتل ظلما وانهم انما قاموا للمطالبة بدمه ، فلماذا لم يولوا الخلافة ولدا من اولاده ؟ أرايت كيف اتخذوا اسم هذا الخليفة ودمه ذريعة الى السلطان ؟

« وهكذا فعل أيضا طلحة والزبير ، فقد قتل عثمان وهما في المدينة على قيد أذرع منه، فلو أرادا بقاءه لم يعجزهما الدفاع ولكنهم سكتوا عن قتله حتى اذا راوا الخلافة افضت الى على ، تظاهروا بالدفاع عن عثمان وقالوا : (انه قتل ظلما) .. »

وكان الشيخ يتكلم محاولا خفض صوته فلا يطاوعه التهيج فلا يلبث حتى يرتفع صوته تتخلله غصات وارتجاج . واما سعيد فكان يسمع كلام جده وهو مطرق لا يستطيع النظر الى وجهه تهيبا واحتراما . فلما وصل أبو رحاب الى هذا الحد سكت برهة تشاغل فيها بمسح فمه وشاربيه من نفثات ريقه لأن الهرم أخلى فكيه من الأسنان ، فانتهاز سعيد تلك الفرصة وقال له : « كيف تحسب عمل هؤلاء طمعا في الخلافة ولا تحسب عمل على مثل عملهم . وقد كانوا جميعا في المدينة ؟ وكيف اذا قتل الخليفة تكون البيعة لواحد منهم

والباقيون ينتظرون ؟ . لماذا لا تحسب ذلك طمعا من على ؟ »

فضحك الشيخ ضحكة اغتصابية أو هي قهقهة تشبه الضحك لعظم ما قام في نفسه وهو في آخر يوم من أيام الدنيا ، وأول يوم من أيام الآخرة . وقبل أن يتم قهقهته حول وجهه الى سعيد وقال : « اتسألني عن خلافة على وقد كان الأولى بي أن أسألك نفسي ما الذي أعماني عن حقه فيها من أول الامر ؟ صدق القائل أن الغرض يعنى ويصم . . . ان الخلافة لم تكن لأحد من الصحابة قبل هذا وهو ابن عم الرسول (صلعم) وصهره زوج ابنته فاطمة سيدة نساء العالمين . وهو أول الناس اسلاما بعد خديجة ، وزد على ذلك ان الرسول (صلعم) ربي في حجر ابي طالب والد على . وقد كفله ودافع عنه في بدء الدعوة . وكانت قريش تكره دعوته حتى كثيرا ما هموا بايذائه وابوطالب يمنعهم بماله من المنزلة الرفيعة عندهم . فلما ولد على وربي في حجر الرسول (صلعم) وأسلم وهو في العاشرة من عمره وذبح عن الاسلام بقلبه ويده ولسانه . ولا أنسى يوم الهجرة يوم تأمرت قريش على ابداء الرسول (صلعم) في مكة فاعتزم الهجرة ، وكيف إن عليا أقام مقامه في منزله فتسجى ببرده ويات على فراشه وعرض نفسه لخطر القتل ونجاه الله . هذا عدا حروبه في الفزوات والسرابا ، فقد شهد معظم المواقع وأشهرها ، وبذل نفسه في الذب عن الاسلام يوم كان معاوية وابوه واخوته في مكة من الداء اعداء الاسلام . ولم يسلموا الا بعد فتح مكة أى بعد قنوطهم من النصر »



كان أبو رحاب يتكلم والعمق يتصبب من جبينه كأنه أتى عملا شاقا يجهد نفسه فيه ، وسعيد صامت مطرق لا يزل في دهشته واستغرابه حتى كاد يغيب عن صوابه . ولم يجرؤ على كلام . وطال سكوت جده فهم بسؤاله فراه يتحفز للكلام فسكت وأصغى . فقال أبو رحاب : « أراك دهشت لما سمعته كأنك لم تعلمه قبلا ، ولا الوملك اذا علمته وتجاهلته فاني اكبر منك سنا وأعلم منك في هذه الشؤون وقد أعماني الغرض ، وكأنني بعد ذاك الهاتف قد فتحت عيناي وصرت أنظر الى الحقيقة كما هي . . . »

« نعم ان عليا أولى منهم جميعا بالخلافة ، والرسول (صلعم) فضله عليهم جميعا وأخاه دون سواه فقال له على مسمع من الصحابة : (أنت أخى في الدنيا والآخرة) . وخاطبه مرة وقال : (لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا كافر) . ولقد تستغرب ما سألكه عليك وتعجب كيف لم يتول الخلافة قبل الآن . ولا سيما بعد قول الرسول : (ان عليا مني وأنا من علي وهو ولي كل مؤمن بعدى) وقوله (صلعم) : (من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاد من

عاداه) . فمن يعلم ذلك ويعجب لخلافته ؟ بل كيف لا يعجب لتقاعدته عن الخلافة الى الآن ؟ »

وكان سعيد مطرقا وقد تغيرت سحنته وتولته الدهشة حتى ظن نفسه في منام ، وندم على محبته لانه أصبح بعد سماع ذلك الكلام حجرا بين مطرقتين لا يدري ايقوم بعهد لقطام التي ملكت له ام يعمل بوصية جده وهو في آخر ايام الدنيا . فظل صامتا لا يبدي حراكا . وادرك جده ارتياكه ولكنه تجاهل ما يجول في خاطره وعمد الى اتمام الحديث فقال :

« فأنت ترى يا ولدي ان عليا اولى بالخلافة من سائر الصحابة لقربته وصهره ووصية الرسول له ، ثم هو يمتاز عن سائر الناس بفضائل تكفي وحدها لتوليته امور المسلمين ، ولا أرى في معاوية شيئا منها . ان عليا رجل متقشف زاهد في الدنيا ، رايته مرة انزل سيفه في السورق فباعه ، فسئل لماذا فعل ذلك ، فقال : (لو كان عندي اربعة دراهم ثمن ازار لم ابعه) . ويكفي قوله في وصف المؤمنين : (ومن سبماهم ان يكونوا خصم البطون من الطوى . ببس الشفاه من الظما . عمش العيون من البكا) . ولو فتشت بيته اليوم ما وجدت فيه صفراء ولا بيضاء . وقد قضى عمره في اعزاز الاسلام وفتح الفتوحات ، ولم يلبس ثوبا جديدا ولا اقتنى ضيعة ولا ربا . ومن كان في مقامه يقدر على حشد الاموال واقتناء العبيد والاماء والضياع كما فعل غيره من الصحابة كطلحة والزبير وعثمان ، وصاحبنا وابن عمنا معاوية . . . »



ثم سكت الشيخ وتنهد تنهدا عميقا وقال وصوته يعلو بالرغم منه : « ان معاوية خدعنا بتظاهره بنصرة الخليفة المقتول حتى كرهنا الامام عليا ، وقد كنا في ظلمات من الغرض لا نرى الحق ، واما الآن وقد انقشع الغشاء من عيني فقد اصبحت ناقما على معاوية ، واذا فكرت في اعماله واعماله على كدت اتميز غيظا ويتفطر قلبي اسفا على ما نال هذا الامام من الاذى . كيف لا وهو رجل عرفناه يوم انتصر علينا في وقعة الجمل ، فقد اشفق على عدوه اشفاقه على اولاده فأوصى اصحابه بالا يلحقوا مدبرا ولا يجهزوا على جريح ولا يمسوا النساء ولا الاولاد بسوء . وكم اوصى عماله ان يقسطوا في احكامهم وقد اخبرني رجل انه سمعه يوصي احد عماله ويقول : (لاتضرب رجلا في جباية درهم ، ولا تبيعن رزقا ولا كسوة شتاء ولا صيف ، ولا ذابة يعتمدون عليها . ولا تقيم رجلا قائما في طلب درهم) . ولو اردت ان اسرد لك من هذه الامثلة لضاق بي المقام وقد ينقضي اجلي قبل الفراغ منها وانا انما استمهل ملاك الموت ريثما اتم وصيتي . . فاصغ لي نا ولدي ، تأمل عدل الامام على وحلمه

وما ارتكبه معاوية وعماله من الاعتداء على المسلمين . وخوفا من التطويل وقد تعبت من الكلام ، أذكر لك حادثة قريبة العهد لا يزال صداها يرن في الأذان .. آه .. آه من القساة أهل المطامع . . اتعرف عبيد الله بن عباس؟
قال : « كيف لا أعرفه وهو ابن عم الرسول (صلعم) وابن عم على بن أبي طالب . نعم أعرفه »

قال : « اصغ لما أقصه عليك واعتبر . لما فرغ معاوية من وقعة صفين وتحكيم الحكيم وظفر بالخلافة بحيلة عمرو بن العاص المعلومة ، بايعه أهل الشام وظل على في العراق . ولم يقنع معاوية بما أوتيته من الحكم فبعث سراياه إلى الحجاز والعراق للفتح يدعون إلى بيعته وتقضبيعة على . وكان رسوله إلى الحجاز واليمن بسر بن أرطاة ، فجاء المدينة وتولاها لأن عاملها فر من وجهه . ثم جاء مكة هذه منذ شهرين ولا يزال الناس يتحدثون بفراصاحبها أبي موسى الأشعري من وجهه . فأكفه أهلها على البيعة فبايعه أهل مكة مكرهين ، وقد كنت مريضا ولم أر وجهه . على أن عمله هذا لا يستوجب ملاما . ولكنه سار إلى اليمن وعاملها عبيد الله بن عبد المدان ، فلم يكن من بسر بعد دخوله اليمن الكوفة واستخلف عبد الله بن عبد المدان ، فلم يكن من بسر بعد دخوله اليمن إلا أنه أمر بعبد الله هذا فقتله وقتل ابنه صبوا . وسمع بابنين صغيرين لعبيد الله بن عباس قد أودعهما عند رجل من كنانة بالبادية ، فأراد قتلها وبعث في طلبهما فجاء الكناني ومعه الطفلان فلما علم أن بسرا يريد قتلها دعر وصناح قائلا : لم تقتل هذين ولا ذنب لهما فإن كنت قاتلها فاقتلني معهما . فلم يكن من ذلك الظالم إلا أنه قتل الطفلين والكناني . وعلمت أن الكناني دافع عنهما حتى قتل . ولقد أعجبني قول امرأة من كنانة رأت ابن أرطاة مارا بعد تلك الفاجعة فقالت له : (يا هذا قتل الرجال فعلام تقتل هذين . والله ما كانوا يقتلون الأطفال في الجاهلية ولا في الإسلام . والله يا ابن أرطاة ان سلطانا لا يقوم إلا بقتل الصبي الصغير والشيخ الكبير ، ونزع الرحمة وعقوق الأرحام ، لسلطان سوء)

« هذه يا ولدي أعمال معاوية وعماله ، فأين هي من أعمال الإمام علي؟ وكيف تنقم عليه بعد ذلك ، وتقول أنه قتل عثمان وأنه يستوجب القتل ؟ »



ولم يتم الشيخ كلامه حتى خارت قواه وعجز عن اتمام الكلام ومل القعود فاستلقى على ظهره وهو يلهث والعرق يتصبب من جبينه ، فخاف سعيد عليه فأسرع إلى منديل مسح به عرقه وأتاه بلبن كانوا أعدوه له فسر به واستلقى بلمس الراحة ، وسعيد جالس إلى جانبه وقد وقع في حيرة في حيرة . فذكر

عهده لقطاع ولبت صامتا . وكان جده الشيخ ملتفت اليه مخلصا يرقب حركاته وسكناته . فأدرك ارتباطه وعلم انه يفكر في قطاع وأهلها فحول وجهه اليه وهو مستلق وقال : « أفنك تفكر في قطاع وأهلها الخوارج ، وقد يخيل اليك ان يخرجوهم من طاعة علي قد يطعن في صدق ماقلته لك ، ولكنهم لم يخرجوا الا طمعا في الدنيا فانتهلوا سببا لا يسمعه عاقل الا هزا بهم وأيقن جورهم . خلعوا طاعة علي لانه قبل التحكيم ، وما ذنبه وهم الذين أجبروه على قبوله ؟ وهب انه اخطأ فهل يخرجون عليه ويحاربونه ؟ ولكنهم رأوا معاوية قام في الشام وكاد يفوز بالخلافة فطمعوا هم في الحكومة لأنفسهم فاجمعوا على نقض البيعة ، ويؤيد ذلك أنهم ولوا عليهم رئيسا منهم وبإيعوه ولكنهم فشلوا في حروبهم وعادت العائدة عليهم

» وليس فشلهم بالدليل الوحيد على سوء نياتهم ، ولكنني اتلو عليك حكاية سمعتها من رجل اثق بصديق روايته هي أن الخوارج عند أول خروجهم على علي بعد رجوعهم من صفين ، نزلوا عند النهروان فرأوا رجلا يسوق حمارا عليه امرأة ، فدعوه فانتهروه فافزعوه وقالوا له : (من انت ؟) . قال : أنا عبدالله بن خباب صاحب رسول الله (صلم) . فقالوا له : أفزعناك ؟ قال : نعم . قالوا لاروع عليك حدثنا عن ابيك حديثا سمعه من رسول الله . فحدثهم بحديث (انه تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيه بدنه يمسي فيها مؤمنا ويصبح كافرا ويمسي مؤمنا) . قالوا مال هذا الحديث سالناك فما تقول في ابني بكر وعمرو خائني عليهما خيرا . قالوا : فما تقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها . قال انه محق في أولها وفي آخرها . قالوا : فما تقول في علي قبل التحكيم وبعده قال انه أعلم بالله منكم واشد توقيا على دينه وانفذ بصيرة . فقالوا : انك تتبع الهوى وتوالي الرجال على أسمائهم لاعلى أفعالها ، والله لنقتلنك قتلة ماقتلناها احدا . فأخذوه وكشفوه ثم اقبلوا به وبأمراته وهي حبل ، حتى نزلوا تحت نخل مواقع فسقطت منه رطبة فأخذها احدهم فتركمها في فيه ، فقال آخر : اخذتها بغير حلها وبغير ثمن فآلقها ، ثم مر بهم خنزير لأهل الدمة فضربه احدهم بسيفه فقالوا هذا فساد في الارض ، فلقى صاحب الخنزير فأرضاه . فلما رأى ذلك منهم ابن خباب قال : لئن كنتم صادقين فيما ارى فمأ على منكم من بأس اني مسلم ما أحدثت في الاسلام حدثا ولقد أمنتوني وقتلتم لا روع عليك . فاضجعوه فذبحوه فسال دمه في الماء واقبلوا الى المرأة فقالت : اني امرأة الا تتقون الله ؟ . فمقروا بطنها . هذه أعمال اعداء علي وهذا هو علي فكيف تنقم عليه وكيف تقتله او تسعى في قتله ؟ بل كيف نسكت عن قتله ولا تدفع عنه ؟ »



فلما رأى سعيد نهاية حديث جده لم يعد يذكر العهد الذي كتبه على نفسه

بقتل على لئلا يزيد غضبه . فظل ساكتا يفكر في حيلة ينجو بها من وعده بالتي هي احسن ، فلم يسعه ذهنه واحس بالتعب الشديد ، وراى ابا رحاب قد تعب ايضا . فقال له : « لقد اتعبت نفسك باجداه وانت توصيني فشكرا على رعايتك ، واني ارى قولك للصواب واطلب اليه تعالى ان يقدرني على العمل به ، فاسترح الليلة وغدا نصبح ان شاء الله وقد ارتحنا فنستأنف الكلام » . قال ذلك واكب على يده فقبلها فراها قد بردت وييست . فقال له جده : « نم هنيئا يا ولدي فاني اخشى الا يصبح علي الصباح فلا بد من كلمة اقولها وهي ختام ما اوصيك به » . قال ذلك ومد يده فدنا سعيد اليه فعانقه وبكى ثم قال والدمع ملء عينيه وشفتاه ترتجفان وذقنه تهتز : « اذا شئت يا ولدي ان يفارق جددك الدنيا آمننا مطمئنا فعاهده بان تعمل بما اوصاك . لا تبغ سوءا للإمام على واذا رايت سبيلا للدفاع فادفع عنه بكل قوتك . هل تعاهدني على ذلك ؟ .. عاهدني عليه . واجبر قلبي واذكر اني جددك وكافلك ووصيك واني ربيتك وتعهدتك واني لا اريد لك الا الخير . هل تعاهدني على ذلك ؟ قل نعم واجبر قلبي اني قلق عليك .. »

فتأثر سعيد من كلام جده حتى اغرورقت عيناه بالدموع وتذكر حسوه وعطفه عليه فلم يسعه الا الايجاب فعاهده

ولكنه لم يكده عاهده حتى ذكر عهده لقطام على عكس ذلك فعظم عليه الامر . وراى جده يميل الى الرقاد فدعا الرجل الموكل به وامره ان يتعهده في اثناء رقادده وخرج الى غرفة اخرى ونزع ثيابه والتمس الراحة . اما الرقاد فلم يكن له فيه مطعم بعد ما انتابه من شتى الهواجس

لم يهدأ لسعيد بال ، وازداد الامر خطورة لديه ، وهاله انه رمى نفسه بين عهدين متناقضين . فكان كلما تصور نكوله عن قتل الامام على شعر براحة بال واطمئنان ، ثم يعاوده طيف قطام وبعدها فترتعد فرائضه ويحار في امره



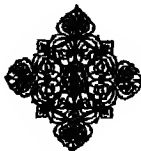
وبقى على هذه الحال حتى انتصف الليل لا يغمض له جفن ولا يستقر له قرار . فنهض من فراشه وتزمل ببرده وعباءته وتعمم وخرج الى الخلاء . وكان الظلام نجما ورقد الناس وليس في طرق مكة سائر فخفف السكون من اضطرابه ، وسار على غير هدى يفكر فيما هو فيه الى ان شعر بالبرد فالتفت بالعباءة وظل ماشيا يبطيء تارة ويسرع اخرى حتى راى نفسه على باب المسجد الحرام فسرى عنه . فقال في نفسه : « لا ادخل المسجد اصرى ركعتين لعل الله يوحى الي بما يخفف اضطرابي » . وكان الباب مفتوحا وصحن المسجد خاليا فتباطئ عليه ودخل حتى دنا من الكعبة فصلى وسجد فاحس لساعته

براحة فطاف حول الكعبة ثم التمس مكانا وراءها فاتكا وعادت اليه هو اجنه .
 فأجال بصره يراقب النجوم السابحة في الفضاء واخذ بجمل القبة الزرقاء
 وافكاره تائهة واشتد البرد عليه فأدخل رأسه في العباءة يجعلها خارا . وكان
 التعب والبرد تغلبا عليه فخذل واستولى عليه النعاس . ولكنه لم يكد يغمض
 لحظة حتى ابتدرته الاحلام فرأى قطام بجلباب أسود وقد أسفرت عن محياها
 فبدت عينها المكحولتان وأخذت تمشي نحوه حافية القدمين على بساط من
 ريش النعام الابيض . فخفق قلبه لرؤيتها وهم بالسلام عليها فرأها أعرضت
 أعراض العائب وعينها تتلألأ بالدموع ، فتفطر قلبه لرؤيتها على هذه الحال
 وساء أعراضها ، فهم بالاقبال عليها فلم تسعه رجلاه لما تولاهما من الرعدة
 فناداه فلم تجبه وظلت معرضة وقد تحولت عنه ومشت تنظر اليه شذرا
 ولسان حالها يقول : « لقد خنت عهدي فما أنت أهل لي »

وحاول سعيد اللحاق بها ليخبرها ببقائه على العزم فلم يستطع ، ولما
 ابتعدت عنه هم بان يسادها فافاق من رقادها فاذا هو وحده بجانب جدار
 الكعبة والظلام محقق به

فمسح عينيه ليتبين إني يقظة هو أم في منام ، ولما تحقق انه كان حالما حد
 الله ولكنه أيقن انه اذا لقي قطام فلن يرى منها غير الاعراض

فمكث صامتا تتقاذفه الهوم وهو لا يهتدى الى حل مقنع ، فنهض راجعا
 الى المنزل ليرى ماذا حدث لجده . واشتاق ان يأوى الى فراشه بعدما أضناه
 التعب والبرد . ولم يكد يتلو سورة الفاتحة عندعودته حتى سمع لفظا خافنا
 كان اناسا يتسارون . وكان قد وصل الى مقام ابراهيم امام الكعبة فوقف
 واصاخ بسمعه فسمع خطوات بطيئة تقترب من الكعبة وهمسا يتكرر كان
 القادمين يتسلطون في أمر خطير . فانزوى وراء المقام في مكان لا ينتبه اليه
 احد في الظلام ، وكان لا يرى الا الكعبة وما حولها



١٧ رمضان

وبينما كان سعيد واقفا في مكانه اذ رأى ثلاثة رجال لم يعرف احدا منهم ولكنه عرف من قيافتهم انهم غرباء ولم يتمكن من تمييز ألوانهم ولا سحنهم وقد لفوا رؤوسهم بالمعائم لفا كالخمار أما اتقاء للبرد وأما تنكرا

فمجب لأمهم وخفق قلبه خوفا من انكشاف مخبئه وخذرا من ان يكونوا قد استخفوا ليكيدوا لاحد فاذا علموا به وبافتضح سره قتلوه ، فبالغ في انزوائه لا يأتى بحركة وخشى ان يداهم العطس فيفضح أمره . أما هم فوصلوا الى باب الكعبة واقتربوا من سعيد بحيث يراهم جميعا فلو كان القمر طالعا او كان هناك مصباح لتبين سحنهم جيدا ولكنه لم يستطع أن يتبينهم لسواد الليل . على أنه لمح من بادي أحوالهم وحركاتهم أنهم في أمر ذى بال ، وكان احدهم طويل القامة وهو اكثرهم حركة فجلس رفقا به الاربعاء وظل هو واقفا ثم جلس القرفصاء وقال : « مالنا ولهؤلاء أنهم جبناء ، تعالوا نبدا نحن بالامر فيكون لنا الفخر »

قال الثانى وكان قصير القامة ممثلىء الجسم : « انا على رأيك فانه لم ينلنا من الائمة الا الضرر . يتنازعون على الخلافة فيقتتل المسلمون في نصرتهم فاذا قتلناهم رقدت الفتنة . نعم نقتلهم جميعا » . قال ذلك بصوت خافت وفى نطقه الجلجة وكان يلتفت يمنة ويسرة لئلا يسمعه احد

فقال الرفيق الثالث وكان لا يزال ساكتا : « انى لا اذكر يوم النهروان ومن قتل فيه من الابطال حتى يقطر قلبى دما . ان علينا قتلهم لانهم لم يرضوا بالتحكيم »

فابتدريه طويلهم وكان اجزاهم كلاما واعلاهم صوتا على عكس رفيقيه فقال : « لا يجدنا التدمير والتضجر ونحن سكوت نرى ابناءنا واخوتنا يقتلون في نصرة هؤلاء الائمة ولا نبدي حراكا . هلم تكف المسلمين شرهم »

فلما سمع سعيد حديثهم علم أنهم يتآمرون على قتل جماعة من الائمة ، وان الامام عليا واحد منهم ، ولم يعلم من هم الآخرون . فجعل يرتعد فرقا وخوفا من أن يتكشف مكانه ولكن حب الاستطلاع جعله يقدم على علم ما هم فيه ، فبينما هو ينزوى ليختبئ ويتمنى على السحب أن تشتبك مع الظلام في حجبها عن العيون اذا به راغب في كشف ما يبيتون

وسكت صاحباً الرجل الطويل الجريء بعد أن انتهى من كلامه . فلما رأى صمتهما ابتدرهما قائلاً : « وماذا علينا لومتنا ؟ حبسنا الموت في سبيل انتقاذ المسلمين من فتنة يقتتلون فيها . وأصل الفتنة ثلاثة يتنازعون على الخلافة وسلطان الدنيا وهم علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص . هلم بنا نقتلهم نرح الناس منهم »

فقال الثاني : « انى على رايك من أول الامر فكيف السبيل الى قتلهم وهم محاطون بالجند والاعوان فلنفكر في وسيلة تضمن لنا الفوز ونأمن بها الخطر »

فأسرع الأول في جوابه وقال : « أراك تتردد كأنك تخاف هول الموقف أو كأنك تمنى أن يكون نصيبك قتل امام يرهبك . تعالوا نقسم العمل فيما بيننا . تعالوا نقسم ليقتل كل واحدنا واحداً من أولئك الثلاثة ، ونعين يوماً نباشر العمل فيه معا ، فيكون أحدنا في الكوفة لقتل علي ، وآخر في مصر لقتل عمرو ، والثالث في الشام لقتل معاوية . وهكذا يقتل كل منا صاحبه في ذلك اليوم فيصبح المسلمون وقد نجوا من اسباب الفتنة ، فيختارون خليفة يولونه أمورهم وترجع الخلافة الى بساطتها »

فلما سمع سعيد ذلك نهيب الامر واستعظمه ولم يصدق أنهم يستطيعونه وبدا له أن قتل علي يمهّد له رضاء قطام وإن لم يكن قتله على يده ، ولكنه تذكر كلام جده وما أوصاه به من الدفاع عن علي لبراءته مما ينسبونه اليه فانقضت نفسه ولكنه أفاق من اضطرابه عندما عاد المتآمرون الى الكلام . فلما فرغ أولهم من كلامه ولم ير اقبالا عليه من رفيقيه لم يصبر حتى يسمع ما يقولان وانطلق يقول : « لا ترددوا ولا يهولنكما الامر فهو أسهل ما يكون على ذي جراءة . وكأني بكما تفكران في قسمة العمل وتخافان أن يكون نصيب أحدنا أصعب مراسا من نصيب الآخر ، فلا تخافا فاني أخذ على عاتقي قتل أكبر هؤلاء الثلاثة وأشجعهم . أنا أقتل عليا بن أبي طالب ، فاني وإن يكن مقامي بالفسطاط فاني آتى الكوفة فاقتله » . قال ذلك وأقبل حتى دنا من باب الكعبة وامسك بحلقته وقال : « ها انذا امسكت بحلقة الكعبة واقسم بالله وبهذا البيت الحرام لاقتلن عليا بن أبي طالب وأبذل في هذا السبيل ما في وسعي وأشهد الله على ذلك »

فلما فعل ذلك نهض رفيقاه متحمسين فامسك كل منهما بحلقة الباب واقسم أحدهما ليقتلن معاوية بن أبي سفيان ، والآخر ليقتلن عمرا بن العاص ولا تسئل عن سعيد عندما شهد هذا العهد الخطير وقد تمنى لو عرف المتآمرين ولكنه لم ير سبيلا الى ذلك . ولكنه فهم من سياق الحديث أن الذي آلى على قتل الامام على من أهل فسطاط مصر

ثم عاد الثلاثة الى مجلسهم فقال أحدهم وهو السخين القصير : « لقد تعاهدنا

على قتل هؤلاء الأئمة ولكننا لم نعين اليوم الذى نفعل فيه ذلك فان لم نعينه فشلنا جميعا »

فقال الثالث : « وهذا ما أراه أنا أيضا لأننا ان لم نعين اليوم كان الحال واسعا ، ونخشى ان سبق احدنا الآخر ولم ينجح او قتل او قبض عليه ان يخاف الباقين وينكلا . فلنعين اليوم والساعة »

فقال الاول : « ان الساعة يصعب تعيينها فلنعين الليلة ليتم عملنا في ليلة واحدة . في أى الشهور نحن الآن ؟ »

قالا : « في جادى »

قال : « فليكن موعدنا رمضان المبارك لنشهد عيد الفطر والمسلمون قد اطعمونا ، واذا قتلنا لقينا ربنا وقد فعلنا ما علينا . فاختاروا ليلة من ليالى رمضان »

قال الثانى : « أنا أختار الليلة السابعة عشرة من رمضان فما قولكما ؟ »

قالوا : « انها خير ليلة » . ونهضوا وسعيد يخاف ان يمروا به ويروه ، ولكنهم داروا حول الكعبة كأنهم يطوفون بها ولبت هو ينتظر عودتهم فلم يعودوا . فلما استبطأهم علم انهم خرجوا من باب آخر أو داروا وتحولوا الى الباب الذى دخلوا منه . فرفع رأسه ونظر حوله فلم ير احدا ولا سمع صوتا فنهض وطاف حول الكعبة فتحقق انهم خرجوا . فجلس هنيهة يفكر فيما مر به وهو يحسب نفسه في حلم لغرابة ما رآه واتفاق حدوثه في الليلة التى أوصاه جده فيها بالآب يقتل عليا . ونظر الى الأفق فاستقبلته الزهرة تتلألا كأنها تبشره بأقبال الفجر . وتذكر جده فرأى ان يعود الى المنزل قبل ان يطلع النهار ويخرج الناس . ومشى



ولما اقترب من المنزل خفق قلبه مخافة ان يكون جده قد اصاب حتفه في غيابه فدخل الدار فرأى السكون مخيما عليها فاستبشر وقصد الحجرة التى كان جده نائما فيها فرأى المصباح مضيئا فاطل من الباب فرأى عبد الله جالسا بجانب الفراش وجده نائم . فنظر الى عبد الله كأنه يستطلع الخال فنهض لاستقباله ووجهه باش فاطمان قلبه وقبل ان يلقى التحية ابتدره عبد الله قائلا : « لقد شغلنا بغيابك فان جددك افاق من نومه مرارا وطلب ان يراك ونحن لا نعرف مكانك وقد الح كثيرا في طلبك »

قال : « وكيف هو الآن ؟ »

قال : « في خير وقد رايناه في راحة لم يدقها منذ ايام ».

ولم يتم عبد الله كلامه حتى رأى ابا رحاب يتحرك في فراشه فتقدم سعيد اليه ففتح عينيه وأشار اليه فدنا منه وجثا أمامه

فقال أبو رحاب : « أين كنت يا ولدي فقد طلبناك فلم تقف لك على أثر ! »
قال : « خرجت في حاجة الى الكعبة واتفق لى حادث شغلنى عن المجيء
حتى الآن »

فمد الشيخ يده وقبض على يد سعيد وضغط عليها كأنه لا يريد ان
يفارقه وسعيد صامت لا يبدى خراجا لشدة تأثره من منظر جده الشيخ
وقد شعر أنه انما ضغط على يده بغية الوداع

فترقرقت الدموع فى عينيه والتفت الى عيني جده فرأهما غارقتين بالدمع
وهما شاخصتان اليه فتفطر قلبه وهم بأن يتكلم فابتدره جده قائلا : « انى
لا أزال فى قلق على مستقبلك وأخشى ألا تكون قد استوعبت نصيحتى فقد
نصحتك وأنا فى آخر أيام الدنيا نصيحة أوحى الى أن ألقها اليك . وقد
تركنتى الليلة غارقا فى بحار الأحلام وكان هاتفنا خوفنى من غيابك . هل أنت
باق على عهدى ياسعيد ؟ »

قال : « لقد عاهدتك يا جدها عهدا وثيقا انى لا أسعى بضر للإمام على
ماحييت ، وأنا باق على عهدى ، وأزيدك علما اننى صادفت فى الكعبة عصابة
يتآمرون على قتله . وقتل صاحبيه معاوية وعمرو فى يوم عينوه وتعاهدوا
عليه فلم يبق ثمة حاجة الى سعيى »

فبغت الشيخ وحلق وصاح : « ومن هؤلاء ؟ »

فقص سعيد خبره مختصرا وختم كلامه قائلا : « انى لم أعرفهم وما
استطعت اللحاق بهم خوفا منهم لانى أعزل »

قال : « ألم تعرف الذى حلف على قتل الامام على »

قال : « كلا ولكننى علمت من كلامه أنه من مصر ، ويغلب على ظنى أنه
من الخوارج »

فصمت الشيخ برهة كأنه يفكر فى امر مهم ، ولحظ سعيد من شخوص
عينيه وذبول أجفانه وانقلاب سحنته أنه تعب . واما أبو رحاب فتجلد وقال
وهو يرتجف ولا يستطيع التلفظ بكل مقطع من مقاطع الكلام كان لسانه شد
برباط : « يا ليتنى كنت بينهم لاقتنهم بالكف عن ذلك . . . فلو استطعت
استمهال أجلي لسعيت فى البحث عنهم فاذا عرفت الساعى فى قتل الامام
على أرجعته عن غيه بالبرهان . . . انهم والله ظالموه » . ثم سكت هنيهة
ليستريح وعاد الى الكلام وهو يتلجلج ويقف عن الكلام عند كل شهيق من
تنفسه وقد أسرع تنفسه وظهر الاضطراب عليه ، فعلم سعيد ان جده فى
النزع فارتعدت فرائصه وتخشع قلبه وحزن ، ولكنه أصفى لتتمة حديثه
فاذا هو يقول : « واما أنت يا سعيد فاصغ لقولى واعمل بنصيحتى . . ولا

اقبل منك السكوت عن هذا الأمر... وانما أنت... مكلف بالبحث عنه...
 أنك مكلف بالبحث عن هذا... الرجل في مصر... والشام... والعراق
 حتى تعلم مقره... فاما أن تقتنه... واما أن تنبئ... الإمام بأمره...
 اني... القى... هذا الامر على عاتقك... فاحذر... أن تتقاعد عنه...
 والا فانك... قاتل عليا بيدك... هذه وصيتي لك، احتفظ بها ولا تتمهل
 أو تتكاسل... والله شاهد... على ما أقول... هذه... وصيتي
 الأخيرة بل... هذه... آخر كلمة أفوه بها في هذه... الحياة الدنيا...
 وكنت مستغنيا تأخير أجلى الى... الساعة... وكنت احسبني... ميتا
 منذ أيام ولكن الله... انما اراد بذلك... أن اكل اليك... هذا الأمر...
 هذه آخر وصيتي لك، ابحت... عن هذا الرجل وارجمه... عن غيه...
 كما ارجعتك... ولو اوتيت... عمرا ثانيا لقميت في بني أمية... وفي
 الخوارج خطيبا أصرح ببراءة... الإمام علي، على رؤوس الأشهاد، ولكن
 آه... ان الساعة آتية... لا ريب... فيها... وها أنذا استودعك...
 الله وآخر ك... لم... آتية أقو... لها لك... على... على...
 اد... فع... عن علي بيدك... وقلبك... ولسا... ن... ك»

ولم تخرج هذه الكلمات الأخيرة من فيه حتى اختنق صوته ثم شفق شهقة
 دوى صوتها في اطراف المنزل وارتخت مفاصله، فأفلتت يد سعيد من يده
 ونظر سعيد الى جده، فإذا هو قد أغمض جفنيه ووقف تنفسه... فحس
 يده فإذا هي باردة فلمس جبينه فإذا هو كالثليج وقد فتح فاه وأرسل نفسه
 الأخير وبطلت حركة الحياة فيه فأصبح جسما بلا روح... فاقشعر بدن
 سعيد وذق يدا بيد وصاح: « واجداه واجداه... ويلاه كلمني وزدني نصيحة
 أخرى... ». وما من مجيب... وكان عبد الله قد خرج فعاد ولما رأى أبا رحاب
 قد مات أخبر أهل المنزل فاجتمعوا وعلا النحيب والبكاء

ولم يكن الحزن على موت أبي رحاب شديدا لتوقعهم ذلك منذ أيام... اما
 حزن سعيد فكان مضاعفا لامتزاجه بالهواجس والاضطراب ولما سمعه من
 جده وما هو مقيد به من العهود المضادة



وبعد الدفن عاد سعيد الى صحوه وفكر في حاله فرأى نفسه في مشكلة
 لا يدري كيف يتخلص منها، وبعد التأمل الطويل رأى انه قد سهل حلها اذا
 استطاع اقناع قطام ببراءة على فتنزل عن حقدها وتقمعتها، فلما فتح عليه
 بذلك توسم خيرا واحس بانفراج الازمة، فأعمل فكره كيف يستولي على
 عواطفها ويغير اعتقادها في الإمام حتى تسكت عن طلب ثأر أبيها وأخيها
 فخيّل اليه أن اقناعها سهل فهذا روعه

واسرع في تدبير شؤون ذويه وكان فيهم شاب اسمه عبد الله ربه
أبو رحاب كما ربي سعيدا ، وكان يتمزى به ويحبه ، وهو الذي أنفذه الى
الكوفة لاستقدام سعيد ، فلما مات أبو رحاب تقدم عبد الله الى سعيد بأن
يأذن له في مصاحبته والحق في ذلك كثيرا . فتعجب سعيد لتلك الرغبة في السفر
ولم يكن يعمد عبد الله ميلا الى ذلك

والسبب في تلك الرغبة ان ابا رحاب كان من الدراية والفراصة بحيث لم
يخف عليه ضعف سعيد ، فأرسل أنفاسه الاخيرة وهو يخاف عليه غدر الناس
وخداعهم . ولكنه استدرك قبل موته فأوصى عبد الله هذا بأن يكون له عونا
فيصحبه حيثما سار فينجده ويرشده فانه وان يكن شابا مثله ولكنه اعراف
بالدهر وبالناس

وبعد أيام ودع سعيد اهله ، واصطحب عبد الله وسارا يطويان الصحراء
الى الكوفة ، وعبد الله لا يعرف شيئا من علاقة سعيد بقطام ولا ماتامر عليه
الثلاثة في المسجد الحرام ، ولكنه فهم من حديث ابي رحاب معه ان سعيدا كان
عازما على قتل الامام فأرجعه أبو رحاب عن عزمه . وسمع حديث سعيد
عن المؤامرة ولكنه لم يتفهمها جيدا . فلما أوغلا في الصحراء بدأ عبد الله
حديثا تطرقا منه الى ذكر قتل الامام على ، واستأنس سعيد بعبد الله وهو
مخلص بفطرته ففتح له قلبه وكشف له من سره وأرتاح لمشورته . ولم يصل
الى الكوفة حتى أصبح عبد الله عارفا بكل مكونات قلبه فشاركه في شعوره
بشأن عهده مع قطام ورجوعه عنه ، فثبتته على اتباع وصية جده وهون عليه
اقتناع قطام الى ان قال : « فاذا لم تقنع فاتركها والنساء كثيرات وأنا أختار
لك فتاة من أجل الفتيات خلقا . وخلقاً وارفعهن نسباً لا تقاس بها قطام » .
وكانا يتحدثان وهما على ناقتيهما يطويان البيد طيا

فقال سعيد : « لا لا تقل هذا فليس في النساء أجل من قطام ولا صبر لي
على فراقها بله اغضابها فانك على ما يلوح لي لم تعان الحب ولا عرفت
سلطانها » . قال ذلك وتنهى . . . وتوقف هنيهة ثم قال : « وهب اني لا أحبها
ولست عالق القلب بها فان في يدها عهدا مكتوبا أخاف اذا اغضبتها ان تشي
بي الى على او . . . ولكنني واثق بصدق مودتها فهي لا تريد بي سوءا بل
تبغى رضاي »

فقال عبد الله : « اذا كانت تحبك كما تقول فليس أسهل من اقتناعها
بالرجوع عن قتل الامام فيتباح لك البحث عن السامى في قتله وتردعه عن غيه
فاذا لم يرتدع قتلته او نقلت خبره الى الامام ليرى رايه فيه »
فارتاح سعيد الى هذا الرأي

أقبلا على الكوفة والشمس مائلة الى المغرب وكان سعيد قد قضى ذلك النهار يستحث ناقته لعله يدرك المدينة قبل الغروب ليتمكن من الذهاب الى بيت قطام اذ لا صبر له على تأجيل زيارتها. وهو على مقربة منها ، فلما دنا الغروب وهو لم يدخل الكوفة بعد ، انقبضت نفسه ، وأدرك عبد الله ذلك مما آتته فيه من السكون . فأراد أن يروح عنه فقال له : « أبعيدان نحن عن منزلك »

قال : « اذا ما دخلنا المدينة دنونا منه لأنه في اطرافها »
قال : « انى أستعجل الوصول لاستريح من وعناء السفر وأنجو من ركوب الجمال فقد أعصبنى اليوم جريها »
قال سعيد : « انى أرانى على-ضد ذلك وتحدثنى نفسى أن أصلى العشاء فى المسجد قبل البيت »

فأدرك عبد الله أنه انما يريد زيارة قطام ليطالعها على حديث جده ويرى ما يبدو منها عندما تعلم بما عول عليه ، فراهى أن يثنيها عن زيارتها حتى يتمكن من تهئية السبيل والحيلة لمخاطبتها لئلا يقشلا ، لعلها بما هو عليه سعيد من سلامة الطوية التى يخشى عليه منها . فقال له : « دعنا نصل العشاء معا فى المنزل ونصبح ان شاء الله فنصلى فى المسجد »

فلم يراجع سعيد حياء وقيل . ولكنه أسر فى قلبه ان يذهب خلسة الى منزل المعجوز لبابة ليتحسس الحال

ودخلا الكوفة وقد أمسى المساء فقصدا الى منزل سعيد فترجلا واغتسلا وصليا ثم تناولا العشاء وتظاهرا سعيد بالنعاس فذهب كل الى فراشه ، وانتظر سعيد حتى ظن رفيقه قد نام فالتف بصاءته وانسل الى بيت لبابة وقطع طريقه يفكر كيف يبدأ بالكلام . فلما وصل رأى لبابة خارجة منه وقد تخمرت ومشت تنوكة على عكازها ، فبغت لرؤيتها وحياتها فردت التحية وهى لا تكاد تصدق أنها تراه . فلما تحققت أنه سعيد رجعت وهى تبالغ فى الترحاب به وتضحك ضحكتها المعهودة . فاستأنس بترحابها ، ثم تذكر ما جاء فيه من الامر الجديد فانكمش قلبه ولكنه تبعها حتى وقفا بباب الحجره فأمرت عبدها أن يضيء المصباح وعادت الى مخاطبته فسألته عن ساعة وصوله . فقال : « انى وصلت الساعة ومن شدة تعبى من السفر الطويل لم أصبر على رؤيتك قبل المنام »

فقهقهت قهقهة دوى لها البيت وخيل اليه لفرط قلقه ان عبد الله يسمعه فقال لها بصوت خافت : « وما الذى يضحكك يا خالة ؟ »

قالت : « لقد أضحكنى شوقك الى رؤية هذا الوجه القبيح (وأشارت الى وجهها) وانت انما تشتاق الى رؤية وجه أجل منه . . . أليس كذلك ؟ »

فقاطعها وهو يخفض صوته وقال : « لا والله انى الآن فى شوق اليك أكثر من شوقى الى قطام لانى وقعت فى ورطة لا ارى أحدا ينجينى منها سواك فاسعفينى برايك ودهائك . وارجو قبل كل شيء أن تحفظى قدومى اليك الآن سرا تكتمينه عن كل انسان ، لأن معى رفيقا صحبنى من مكة فلما وصلنا الى الكوفة ورأى ميلى الى الخروج أقعدنى حتى الصباح فاستحييت وبقيت فلما استغرق فى نومه جئت خفية . . »

ولم يتم كلامه حتى جاء العبد بالمصباح فدخلوا الغرفة وسعيد يقول : « لقد عودتنى يا خالة أن تكونى عوناً لى فى مصائبى فأنت التى أقنعت قطام بمهارتك ودهائك بزواجى بها فالتمس منك الآن أن تقنعى بها جئت به اليك »

فعجبت العجوز لاهتمامه الشديد ولو كان قلبها حيا لخفق واضطرب ولكنها تعودت الأهوال ولاقت الغرائب فلم يعد يخيفها امر . فقالت : « قل ما بدا لك انى مستودع أسرارك ولا آلو جهدا فى خدمتك »

فتنهذ سعيد وسكت وهى تحديق فيه بعينها الغائرتين . وبعد هنيهة قال لها : « لقد جئتكم بأمر لا أدرى كيف أبدا الحديث فيه »

قالت : « قل ولا تبالي ولا تجزع فانى عركت الدهر ولقيت الأهوال حتى لم أعد أستغرب أمرا . . . قل ما بدا لك »



قال سعيد : « انت تعلمين انى عاهدت قطام على قتل الامام على »

قالت : « نعم أعلم ذلك »

قال : « وهل تعلمين لماذا خرجت الى مكة »

قالت : « علمت انك شخصت اليها ولكننى لم أعلم السبب »

قال : شخصت اليها اجابة لطلب جدى رحمه الله »

قالت : « جددك أبو رحاب ؟ ما الذى أصابه ؟ »

قال : « انه مات بعد وصولى الى مكة بيوم واحد وكان قد بعث الى ليرانى قبل موته »

قالت : مات أبو رحاب ! . رحمة الله عليه . انه كان رفيقا بك شفوفا عليك وأنا أعلم أنك ربيت فى حجره وقد كان أحسن من الوالد عليك . ولا شك أن موته شق عليك كثيرا . وكنت تود أن يبقى حيا ليفرح بك ويشهد زواجك بعد أن يعلم بما عاهدت عليه لتنفذ بنى أمية من العار و . . . »
فقطع كلامها قائلا : « آه يا خالة لقد كنت اظن هذا الظن قبل أن أراه .

ولكننى ما لبثت ان ندمت على ذهابى اليه لانه حملنى قبل موته حملا تريننى
أنوء به »

قالت : « وماذا عسى ان يكون ؟ »

قال : « ان ما ظننته سببا لارتياحه قد رأيتـه داعيا لغضبه »

قالت : « هل أخبرته بعزمك على قتل على ؟ »

قال : « نعم أخبرته ولكنه أنكر على قتله وأوصانى وهو على فراش الموت
ان لا امد يدى الى هذه الجريمة لأن هاتفا جاءه وأنباء ببراءة الامام على مما
يتهمونه به »

وكان سعيد يتكلم ولبابة شاخصة اليه وقد اسفت لحيبة مسعاها ، ولكنها
لدهائها ومكرها لم تبد خراكا ولا اظهرت استغرابا بل تشاغلـت باصلاح
خمارها تنتظر آخر الحديث

واما سعيد فكان يتكلمها وهو يشوق بغيتها أو غضبها فلما رآها صامتة
مصغية تجرا على اتمام الحديث فقال : « ولما سمعت كلام جدى جادلته
فرايت منه اصرارا على رايه وقص على شيئا كثيرا من الأدلة والشواهد
المؤيدة لقوله »

قال سعيد ذلك وسكت وهو ينتظر ماتقوله العجوز، فرآها لاتزال صامتة
ولم بيد على وجهها شيء من الاستغراب ، فعطف بحديثه على المؤامرة التى
شاهدها فى الكعبة ظنا منها انها توازن ماتقدم من الحديث الغريب . فلما
سمعت قصة المؤامرة على قتل الامام على وعمرو ومعاوية ، رأت فيها تعزية
ولكنها اظهرت الاستخفاف بما تأمروا عليه وأرادت أن تتحقق ما عول هو
عليه فقالت : « وهل علم أبو رحاب قبل موته بتلك المؤامرة ؟ »

قال : « نعم انى اطلمته عليها قبل ارسال نفسه الاخير ببعض الساعة فلم
يؤدنى الا ثقلا بوصية قالها وهو فى آخر ساعات الدنيا .. آه من تلك
الوصية »

قالت : « وما هى ؟ »

قال : « انه أوصانى بالا اكتفى بالكف عن قتل الامام على ، بل يجب ان ادفع
عنه . فلم ار بدا من اجابة طلبه وانت تعلمين موقفى فى مثل هذه الحال ...
ولكننى لم امأهده الا بعد أن تفرط قلبى للمسوعة التى كانت تنحدر على لحيته
وقد شخصت عيناه وتلعثم لسانه وتلجلج صوته حتى خيل الى ان عظامه
تتكلم »



فلما تحققت نكوله عن عهده خافت اذا اظهرت له الاستياء ان ييـوح بأمرها

وامر قطام الى على وهما في الكوفة فينتقم على منهما ، فارادت ان تخادعه فتأخذ منه ولا تعطيه فقالت : « ولماذا لم تدعن لجذك فان كلام مثل هذا الشيخ الجليل يعتبر خارجا من افواه الملائكة »

فلما سمع كلامها انشرح صدره فابتسم وقال بكل سداجة : « كيف لم اذعن ؟ لقد اذعنت وعاهدته وهل أستطيع غير ذلك ؟ . ولكنني عاهدته وقلبي في شغل بقطام وعهدا لعلمي ان ذلك العهد يحرمني منها » . ثم عطف فقال : « ولكني لما تذكرت حبك لى وغيرتك على هان الامر وقلت ان مايسر على مثلى يهون على خالتي لبابة ... بالله ... الا ساعدتنى على اقناع قطام بالرجوع عن عزمها على قتل الامام على ، انه والله برىء مما اتهموه به .. بالله ساعدننى واشفقى على فقد وقعت في حيرة بل هى مصيبة لاينجنى منها سواك » . قال ذلك وجثا امامها وهم بيدها وقبلها وقد كادت العبرات تخنقه

فظهرت تلك العجوز المحتالة بالحنو وتبسمت وهى تجذب يدها من بين يديه لتمنعه من تقييلها واجلسته وقالت : « طب نفسا يابنى ، انى فاعلة ما تريد وارجو أن يساعدنى الله على اقناعها ... »

فلما سمع سعيد قولها ابتسم والدمع ملء عينيه اعجابا بحنوها وفرحا بنبل بغيته التى لم يكن يتوقعها وفرح بمجيئه تلك الليلة ومقابلة لبابة قبل مقابلته قطام

اما لبابة فنظرت اليه وهى تحك ما وراء اذنها برأس سبابتها كأنها تفكر فيما تختلقه من الاسباب لا قناع قطام ، وهى في الحقيقة تدبر حيلة للخداع سعيد ثم قالت : « طب نفسا ولا تبالي فانى اضمن لك الفوز اذا اطعنى .. » فابتدراها قائلا : « اتى طوع مشيئتك فى كل ماتامرين ، هذا مالى وكل ما املكه بين يديك »

وكان سعيد يتكلم ولبابة مطرقة . ثم سكت هو وظلت هى مطرقة ، ثم استأنفت الحديث بفتة فقالت : « سبحان الله لقد مرت بى ايام وانا مستغربة مايندولى من قطام على غير المعتاد فقد يكون الذى فاه به جذك فى مكة اثر فى قطام هنا ولا ادرى ما هو هذا التأثير »

فدهش سعيد مما سمعه وقال : « ماذا تعنين ؟ »

قالت : « اعنى انى آنست من قطام تغيرا غريبا بعد ذهابك ، فانها لم تعد تذكر الانتقام وقضت اياما عديدة كأنها فى حيرة أو كان امرا طرا عليها لا تتكلم الا قليلا فعسى ان يكون ماغيرك قدغيرها . وعلى كل حال كن فى راحة وسكنة وانا ادبر الامر ، فلا تذكر انك جئت الى ولا انك رايتنى قبل رؤيتها »
قال : « بارك الله فيك . والله ان قضيت لى هذه المهمة لا ادرى كيف

اكافئك . ولكنى اتقدم اليك الا تذكرى زيارتى هذه لاحد ولا سيما رفيقى
عبد الله »

قالت : « سمعا وطاعة فعليك اذن ان تأتى غدا لزيارتها فى منزلها وأنا
هناك ، ولا تزدد على السلام والكلام العادى . واحذر ان تذكر شيئا عما خضنا
فيه الا اذا هى خاطبتك به . . وهل تنوى اصطحاب رفيقك غدا »
قال : « سيأتى معى ولا بأس من الخوض فى الامر بين يديه لانه بمنزلة
أخى »

قالت : « فليكن ما تريد وفقنا الله لما فيه خيرك وراحتك »
فازداد سعيد اعجابا بغيرتها وحنوها فقال لها : « اسمحى لى ان اقبل
بك فانى لما فقدت جدى الذى كان بمنزلة أبى حسبت نفسى يتيما ولكنى
تحققت الآن من حنوك انى ما زلت مرموقا بعين العناية . ها انى قد القيت
الحمل على عاتقك فدبرى الامر كما يلوح لك » . قال ذلك وقبل يدها
مرارا ونهض ونهضت لوداعه وهى تقول له : « نم هنيئا وموعدا فى اللقاء
غدا فى بيت قطام »

خرج سعيد من عندها وقلبه يطفح سرورا لنجاته من شر عظيم . ولم يدر
ما يبتته له تلك المعجوز من اساليب الخداع . فلما توارى عنها عادت الى
غرفتها واعملت فكرتها الخبيثة فى حيلة تنطلى عليه بحيث يصدق عدول قطام
عن عزمها . ولولا خوفها من ان يشى هو بها ، وبقطام الى على اذا انكرت
عليه وصية جده لجاهرت بمقاومته ، ولكنها رأت من الفطنة والدهاء ان تجاريه
فى رايه ، وتحبل قطام على مشاركتها فى ذلك ، ثم تحتالا فى بقاء المؤامرة
مكثومة حتى ينفذ المتآمرون عهدهم فيقتل على . وما درت لبابة ان قطام
اشد دهاء منها وأعظم حيلة وانها ستزيد على ذلك وسيلة أخرى للفتك
بسعيد على أهون سبيل

ولم تعد لبابة تستطيع رقادا قبل اطلاق قطام على الامر ليهيئ الحيلة قبل
مجيء سعيد فنهضت لساعتها وسارت الى بيت قطام



لقاء قطام

أما سعيد فخرج والفرح ملء فؤاده حتى أتى منزله فرأى رفيقه نائما لفرط تعبهِ فسر لذلك سرورا عظيما ، ومضى الى فراشه ولكنه لم يستطع رقادا لشدة تأثره ، فقضى ساعات يتقلب على الفراش وقد طال ليله وهو يفكر في ساعة اللقاء غدا ولا يصدق أن يلقى قطام على مثل رايه . فلما تصور عدولها عن قتل على كاد يطير من الفرّح بما سيناله من الاقتران بها ثم يعترضه كلام جده وما كلفه به من السعي في الدفاع عن على وردع الساعي في قتله فيختلج قلبه في صدره لهول ذلك الامر . على ان هذا الامر لم يكن شيئا بالنظر الى ما يتوقعه من السعادة بالحصول على قطام

ولم تغض عيناه حتى الصباح ، ولم يكد ينام حتى أفاق مدعورا وقد رأى شعاع الشمس يسطع على جدار غرفته فأسف لابطائه في الفراش والوقت ثمين ، فنهض لساعته وخرج يبحث عن عبد الله فإذا هو قد لبس ثيابه ووقف يصلى فصلّى معه وهو لا يفقه ما يقول

فلما فرغ من الصلاة قال له عبد الله : « لقد أبطأت في زقادك يا اخا امية »
قال : « انما أبطأت لهول ما لقيناه من التعب في الطريق »

فصدقه عبد الله وجلسا لتناول الطعام وسعيد غارق في تصوراتهِ وقد أدرك عبد الله ذلك فيه ولكنه حسبه من قبيل الشوق الى قطام فقال له :
« الا تنوى الذهاب الى قطام ؟ »

قال : « بلى أرى أن نسير اليها لعل الله يأخذ بيدنا ونرى منها انصياعا للحق فتعدل عن عهدنا »

فأراد عبد الله أن يختبر ثباته فقال : « هب انما لم تقبل فماذا تفعل . هل تبقى على عزمك أم ترجع عما أوصاك به جدك ؟ »
قال سعيد : « اننا نبدل جهدنا في اقناعها فإذا لم تقنع ظللنا على عزمنا فان وصية جدي مقدسة »

فسر عبد الله لثباته على عزمه وهو لا يعلم انه لم يفعل ذلك الا بعد ما أمّنته به لبابة من اقناع قطام ، ولولا ذلك لتردد في الجواب كثيرا وربما أثار البقاء على عهد قطام على احترام وصية جده ، لأن غرامه بتلك الغاية الفتانة غلب على كل عواطفه

فلما رأى عبد الله عزمه استعجله في الذهاب الى قطام مخافة ان يطرا عليه ما يضعف عزيمته . وكان عبد الله أسر في نفسه اذا آنس فيه تردداً ان يشيه عن الذهاب اليها . فلما فرغاً من الطعام نهضاً ومشياً يقصدان بيت قطام ولم يكن بال سعيد خالياً من القلق ولكنه اطمأن الى ما منته به لبابة من الوعود

ووصلا الى المنزل ودخلا الحديقة فاختلج قلب سعيد اذ عادت اليه ذكرى لقياء قطام هناك وما تبادلوه من آيات الفرام . وفيما هما سائران بين النخيل رأيا لبانة بالباب تبسم . فلما رآها سعيد استبشر وتشدد فمشى ورفيقه وراءه حتى دنوا منها فحياها سعيد كأنه لم يكن قد رآها بعد رجوعه . فردت تحينه وسلمت على رفيقه ، فدخلتا حتى أقبلتا على قطام فاذا هي واقفة الى نافذة تطل على البحيرة وقد لبست جلبابا أسود فوقه خمار أسود فلما رأتها أرخت خمارها وأقبلت نحوهما ، فحياها سعيد وذكر اسم رفيقه لها وقال :

« لقد اتيت ومعى صديقى وأخى عبد الله فإنه أنبسى ومساعدى »

فرحبت بهما ودعتهما للجلوس فجلسا وكلهم سكوت ، وبدأت العجوز بالكلام فقالت : « لقد أوحشنا ياسعيد بطول غيابك وقد أخبرنا ريحان أنك أتينا يوم سفرك فلم تر قطام فبشغلنا عليك لسرعة ذهابك فعسى ان يكون الباعث خيرا »

فتنهذ سعيد وقال : « كلا انه لم يكن خيرا ياخاله لأنى ذهبت الى جدى أبى رحاب في مكة فقد أرسل أخى هذا عبد الله يدعونى اليه »

قالت : « وماذا عسى أن يكون سبب استدعائك ؟ »

قال : « دعائى لأراه بعد أن هرم وغلبه الضعف والمرض على أمره ، فلما تحقق دنو أجله أراد أن يرانى قبل موته فسرت ولم أمكث الا ليلة حتى قضى نجه »

فتظاهرت قطام باستغراب الخبر كأنها لم تسمعه من قبل وقالت : « هل مات جدك ؟ .. رحمة الله عليه وعزك الله وأبقاك » . وتنهذت كأنها تذكرت من فقدتهم وقالت : « ان موت الاهل شديد الوطاة »

وكان عبد الله يرافب حركات قطام ، وكان قدسمع بجماها فلم يلم سعيدا على افتتانها بها وخاف أن تصر على عهدا فنخرج من نصيب سعيد ، فأحب أن يترك الموضوع ليرى مايدو منها ولكنه رأى انه لم يسبق له أن عرفها فقد تتجبت الحوض في الامر ، فنهض وخرج وخرجت لبانة في اثره اتفاما لحيلتها



فلما خلت قطام بسعيد سألته : « من هذا الشاب . وهل هو ممن يوثق »

قال بنعمة الحب المفتون : « انه رفيق صباى وموضع أسرارى ولا اخشى
باسا من اطلعه على كل شيء »

قالت : « وهل اطلعته على عهدنا ؟ »

قال : « نعم يا حبيبتي وهل ترين ما يمنع ذلك ؟ »

قالت : « كلا ، لا ارى مائما ولكننى كنت اؤثر ان لاتعلمه لخطر خطر لى بعد
ذهابك الى مكة »

فاستبشر سعيد بهذا الاستهلال فقال : « وما الذى خطر لك ؟ »

قالت : « ساقصه عليك وآمل ان تطاوعنى عليه ولا تطالبنى بما سبق بيننا
من المهود »

قال : « قولى ما تشائين . فمشيئتك هى العهد الذى يقيدنى . فانى رهين
اشارتك »

قالت : « اذكر لما جئت الينا يوم سفرك ولم تجدنى فى البيت ؟ »

قال : « كيف لا اذكر ذلك وقد كان له عندى اثر شديد »

قالت : « اتدرى اين ذهبت يومئذ ؟ »

قال : « كلا »

قالت : « خرجت فى ذلك اليوم الى اهلى ولم يكن غرضى الزيارة وحسب
ولكننى شعرت بقلق واضطراب ولم اذق رقادا تلك الليلة التى عاهدتك فيه
على قتل امير المؤمنين . فلما أصبحت قلت فى نفسى لعل سبب هذا القلق
اننى ارتكبت ذنبا بما سعيت فيه ظلما لقتل الامام . فلاح لى ان امضى الى اهلى
وابحث وادقق عن حقيقة ما وقع ، فعلمت بعد البحث ان الذنب فى قتل ابي
واخى لم يكن ذنبه هو ، وتحققت انه برىء ، وانه نصح لهما مرارا قبل الواقعة
بان يرجعا فائيا ، ولما احتدم النزاع وعلم انهما فى خطر اوصى بالايصيهما احد
بسوء . ولكن بعض الاغرار قتلها وهو لا يذرى ، فلما علم غضب على القاتل
وانتقم منه . فشعرت عندئذ انى قد اخطأت بما نويته واعتزمت ان احوالك عما
تعاهدنا عليه . فقضيت مدة غيابك وانا فى حيرة لا ادرى كيف ابدأ باقناعك .
وحفظت ذلك سرا كتمته حتى عن خالتي لبابة »

ولم يتمالك سعيد عند سماعه ذلك عن النهوض فجأة ونادى عبد الله
ولبابة فجاءا ، فالتفت سعيد الى عبد الله وقال له : « تعال اسمع يا اخى
ما اعدده الله لنا من اسباب السعادة . فاننا لم تكلف انفسنا عناء اقناع قطام .
بل هذه هى تريدنا على ان ننسى العهد الذى رويت لك خبره وتقلع عما عزمنا
عليه »

فتجاهلت قطام قوله وقالت : « ماذا تقول يا سعيد وما الذى جئتنا به
عساه ان يكون خيرا »

فعرضت لبابة للكلام وقالت : « يلوح لى انك جئتها بمثل ما جاءتك هى به »
قال : « نعم يا خالة واحد الله على ذلك فانى جئت من مكة مقتنعا ببراءة
الامام على واخذت على نفسى عهدا امام جدى الا امس عليا بسوء ، وكنت
أختي الا توافقتنى قطام عليه فأصبح أشقى الناس ، فالحمد لله اذ قضى بما
فيه خيرنا جميعا » . وجلس يقص عليهم حديث جده وما أوصاه به فظهرت
امارات الشز والسرور على الجميع . ثم استطرد الى حديث المؤامرة فلما ذكر
ان أحد المتآمرين آلى على نفسه ليقتلن الامام عليا تظاهرت قطام بالغضب
وقالت : « ألم تعرف من هو الرجل ؟ »

قال : « لم اعرفه ولكننى علمت من سياق الحديث انه من فسطاط مصر »
قالت : « اما وقد علمت بعزم هذا الرجل فقد أصبح السكوت عنه مشاركة
له فى القتل ، فلا بد من رده او قتله »

فابنسم سعيد لذلك الاتفاق الغريب وقال : « وقد فاتنى ان اذكر ان جدى
اوبسانى بأن اسعى فى دفع السوء عن على »

فقالت : « وهذا ما اراه انا أيضا لأن السكوت عنه جريمة ، ولكننى أرى ان
يبقى امر هذه المؤامرة سرا لانطلع عليه احدا لئلا يسبقنا الى نيل الفخر
برده » وحى لايسرب الخبر الى المتآمر فيسرعجل أمره ويقتل عليا ونحن لم
نعرفه بعد ولم نبدأ سعيينا لاجباط عمله . الا ترى هذا الراى يا عبد الله ؟ »

فدهس عبد الله من نوارد الخواط او علم بريارة سعيد لبابة لاكتشف له
سر الحيلة ولكنه أخذ الامر على ظاهره فقال : « هذا هو الراى الصواب ،
وها انذا تشارع مع اخى سعيد فى السعى لردع ذلك الرجل »

فالت : « وماذا تنويان عمله ؟ »

قال سعيد : « ارى ان نذهب الى الفسطاط ونبحث عن الرجل فاذا عرفناه
هان عليا رده »

فقالت قطام : « وما الفائدة من دهابكما وانما لاتعرفان الرجل ولا تعلمان
شيئا من أمره وكيف ينأتى لكما معرفة اسمه . هل ذهبتما الى الفسطاط
قبل الآن وهل تعرفان احدا هناك ؟ »

قال عبد الله : « انى اعرف الفسطاط ولكننى لم اقم بها طويلا ولا انرف
احدا من أهلها ولكننا نبذل جهدنا »



الاجتماعات السرية

فتقدمت لبابة والاهتمام باد عليها وكأنه قد فتح عليها برای سديد فقالت :
« اجلسوا وسأهديكم الى طريق يهون عليكم كل صعب »

فجلسوا جميعا فقالت : « لا تسخروا برای عجوز مثلي فاني أعرف من
الأسرار ما لا تعرفون . اعلّموا أن في مصر من مريدي الامام على احزابا جنة
اذعنوا لعمرو بن العاص مكرهين ، وهم صابرون على ما أصابهم في مقتل
ابن ابي بكر ، وهم ينوون الانتقاض اذا اتاحت الفرصة لذلك »

قال عبد الله : « اهذا ما تفاخريننا بمعرفته ؟ انه لا يجله احدا من المسلمين ،
واني لأعلم ما هو اكثر منه »
قالت : « وما الذي تعلمه ؟ »

فابتسم عبد الله مستخفا وقال : « هناك امور كثيرة علمتها من جدنا
ابي رحاب رحمه الله ، وقد أوصاني بالآطلاع عليها احدا »

فتوقعت لبابة أن تطلع على ماورى على سر ، وهي لم تقل ما قالت
الا استدراجا له ، فهزت كتفها والتفتت الى قطام التفاتة ذات معنى ، ففهمت
قطام مرادها

فابتدرت عبد الله قائلة في دلال : « اذا كنت قد وقعت على سر فاحفظه
ولا تبج به لاحد من الخوارج مثلنا »

فخجل عبد الله من توبيخها اللطيف ، ونظر الى سعيد فراه ينظر اليه
كأنه يتوقع منه أن يفشي السر لثلاث تسيء قطام الظن بهما ، فقال معتذرا :
« حاش لي يامولاتي . اني لا اعني كتمان السر عنك بعد ان رايتك مثلنا
حاسة للدفاع عن أمير المؤمنين بل لقد كنت أنت الداعية الى الدفاع عنه .
ولكنني قلت ما قلته عفوا ، ولكي تثقي من حسن نيتي سأبسط السر لك
ولخاتني لبابة » . قال ذلك والتفت يمنة ويسرة كأنه يحاذر أن يسمعه
رقيب ، أو عدو ، فلما اصفى الجميع قال : « علمت من جدي رحمه الله أن
في الفسطاط جهورا كبيرا لا يزالون على دعوة الامام على ، وهم متحدون قلبا
وقالبا في القيام بنصرته ، ولهم اجتماعات سرية يعقدونها للمفاوضة في الوسائل
المؤدية الى ذلك » . ولما بلغ الى هذا الحد تعلم لسانه كان شيئا أوقفه عن

اتمام الحديث ، وارتبك وظهرت عليه العنة ، كأنما ندم على ما فرط منه وعول على الامساك عن تنمة الحديث . فأدركت لبابة المحتالة سبب توقفه فابتدرته قائلة وهى تضحك : « أتعلم به من سر عميق لم يطلع عليه أحد ، انى لا اراك زدت على قولى حرما واحدا . ألم اقل ان دعاة على باقون على دعوته ، فماذا زدت أنت على ذلك الا انهم يجتمعون سرا ؟ أم تراك ندمت على ثقتك بنا فبدات بالحديث ثم قطعتة ؟ . وعلى كل حال لست ألومك على ذلك فانك لا تعرفنا قبل هذه الساعة »

فقطعت قطام حديثها قائلة : « اتقولين انك لا تلومينه بينما اراك عاتبة عليه ؟ . دعيه لئلا يظننا راغبين فى استطلاع سره لغرض لنا ونحن انما نريد بعض ما يريد عبد الله فلا حاجة لنا فى سره ، ولكننا نوصيه بأن يقوم بمؤازرة سعيد فيما أوصاه به جده ، وهذا يكفيننا » . ثم وجهت كلامها الى سعيد قائلة : « لقد سررنى من رفيقك محافظته على السر حتى عن هذه الحقيرة التى بعد ان كانت اول الناقمين على اصبحت من اكبر المدافعين عنه ، وهب انه اراد افشاء ذلك السر فما نحن سامعون ما يقول ، اذ ربما وسوس لنا الشيطان فبحنا به للأعداء »

فوقع كلام قطام فى قلب سعيد موقع السهام ، وغلب عليه الحياء والتفت الى عبد الله وقال : « لا طاقة لى باحتمال هذا التائب يا عبد الله ، قل ما تعلمه سواء اسمعته قطام ام لم تسمعه . ولن أبرح هذا المكان قبل ان اسمع بقية الحديث »

فندم عبد الله على ما فرط منه واصبح لا يدري كيف يتخلص من حيائه وارتبأكه . ولما رأى الحاج سعيد هان عليه التصريح بما يعرفه ولم ير فى ذلك لوما عليه فقال : « اراكم تتهموننى بذنبا انا براء منه ، فانى لم اتوقف عن اتمام الحديث ضنا به على قطام بعد ان تحققت اخلاصها فى الدفاع عن على : ولكننى صبرت ريثما استجمع كلام جدى بحرفه ، فاذا اذنت قطام تلوته عليكم حالا »

قال سعيد : « قل ما علمته ، واذا سدت قطام اذنيها عن سماعه فاننا اسمعه »

قال عبد الله : « اخبرنى ابو رحاب رحمه الله ان دعاة الامام على يجتمعون سرا فى معبد قديم خارج القسطنطينية فى مكان يعرف يعين شمس ، وهم يتفاوضون فيه سرا فى يوم الجمعة من كل اسبوع »

فسرت قطام ولبابة بالاطلاع على ذلك السر ، ولكن لبابة لدهائها ومكرها تظاهرت بالاستخفاف والانتكار وقالت : « اهذا هو السر العظيم ؟ انه باطل لا يقبله العقل ! »

فاغتاز عبد الله من استخفافها وقال : « وما الدليل على بطلانه يا خالة ؟ »

قالت : « تقول ان دعاة على يجتمعون هناك كل يوم جمعة ونحن نعلم انهم يعدون بالآلاف فكيف يسعهم ذلك المعبد ؟ . وهب أنه وسعهم فكيف يجتمع الآلاف منهم كل أسبوع ولا يدري بهم عمرو بن العاص وعيونهم مبثوثة في اطراف الفسطاط . فهل ذلك معقول ؟ »

فسر عبد الله لاستخفافها بكلامه وحسب افشاء السر . نحر ذي اثر ، وود الوقوف عند هذا الحد ، فلم يرض سعيد بذلك بل اخذ على نفسه تفسير مقاله وهو يحسب انه اتى جديدا فقال : « ان عبد الله لا يعنى باجتماع دعاة على انهم يجتمعون جميعا كبارا وصغارا ولكنه يريد ان رؤساء المشائير وكبارهم هم الذين يجتمعون فقط » . فضحكت لبابة وهمت بالرد عليه . فقطعت قطام كلامها قائلة : « يظهر يا خالة أنك أنما تريدن المزاج ، فقد طلبت من عبد الله افشاء سره ثم جعلت تجادلينه ، ونحن لايهمنا من الامر إلا الوصول الى الغاية المرجوة ، وهذا يكفر »



ثم وجهت كلامها الى سعيد قائلة : « دع لبابة وتخريفها واسع فيما انت ساع فيه . سر الى دعاة على حيث هم مجتمعون وهم يعينونك على البحث والتنقيب . ولا اوصيك الاوصية واحدة ذكرتها في بدء الحديث وهي ان تبقى هذا الامر مكتوما فيما بيننا عن كل انسان ، حتى نعرف الخائن الذي يريد قتل الامام على ، فاذا عرفناه فاما ان نرجعه عن غيه او نرى رأينا فيه على ما تقتضيه الحال . اما اذا اشعنا خبره الآن فانه يبالغ في التستر ، وربما اسرع في انفاذ سهمه فيقتل أمير المؤمنين غيلة ويذهب سعيينا عينا . اما الآن فنحن على يقين من انه لا يقدم على ذلك الا في ١٧ رمضان ، ونحن لانزال بعيدين عنه . وزد على ذلك أنك اذا حفظت هذا الامر مكتوما وتفردت في البحث عنه كان الجزاء عظيما . ولا ارى فائدة من اطالة البحث . ولكي تتحقق من شدة رغبتى في الاسراع ، ابدل عهدي ابدا لا يسرك فبدلا من ان يكون اقترائنا موقوفا على قتل الامام على فقد جعلته وفقا على انقاذه من القتل ، فاذا كنت تحبني ، وهذا ما لا أشك فيه ، فبادر الى العمل ، وهذان عبد الله ولبابة شاهدان على ما اقول »

وكان سعيد بعد ان تغير وجه المسألة يرجو ان يقترن بقطام قبل ذهابه في هذه المهمة . فلما سمع كلامها خجل من مراجعتها لثلا يقال انها اشد رغبة منه في الدفاع عن على ، فانطلت الحيلة عليه ولم يسعه الا اجابتها فقال : « وهذا ما اطلبه انا ايضا لكى يتم عقد الزواج على يد الامام نفسه بحول الله »

وكان عبد الله يسمع هذا الحديث وقد خامره شك في كلام قطام ، وندم

لتسرع في افشاء السر فظل صامتا لئلا يقع فيما يزيد ندمه ، وشعر لساعته بما أوتيته تلك الفتاة من الدهاء . ولم ير خيرا من اظهار ثقته بها فأخذ يطرى غيرتها ويثنى على صدق مودتها فقال لها : « انى اعد اخى سعيدا من أسعد خلق الله لتوفيقه الى منك ، وانى ادعو الله تعالى ان ينجح مقاصدنا ، وسكت هنيهة ثم قال : « وقد اصببت في حرصك على كتمان الامر عن كل انسان ، بارك الله فيك » . والتفت الى لبابة فقال : « وانت يا خالة نرجو ان تزودينا دائما بدعواتك الصالحة وآرائك الصائبة »

فقال لبابة : « اما الراى ففي الاسراع فى الامر ، فعليكما بالسفر حالا الى مصر ، واطلب الى الله تعالى ان يوفقكما ويسهل طريقكما ، واذا اتيتما الفسطاط فاطلبا عين شمس فى يوم الجمعة ، ولن تعدا من انصار امير المؤمنين من يرشدكما الى الباى »

وقضوا برهة فى احاديث اخرى ، ثم انصرف عبد الله وسعيد ، وفى نفس اولهما شكوك لم يجسر على مكاشفة سعيد بها ، لما آتسه من اخلاصه لقطام وارتياحه الى وعودها ، ولكنه عول على انتهاز فرصة يستطيع بها التسلط على أفكاره



ولما خلت لبابة الى قطام بعد خروج سعيد وعبد الله قالت لها : « لقد تمت لنا كل المعدات وأن يوم الانتقام على يد غير هذا الجبان . ان عليا سيقتل لا محالة ولقد احسنت بتطمينه ومسايرته . واحسن ما رأيت من دهائك توصيته بالكتمان لانه لو اطلع عليا على خبر المؤامرة لفشل اصحابها ونجا على من الموت »

فأجابت قطام قائلة : « ولكن ذلك وحده لا يضمن لنا الفوز ، وأنا لم التمس منه الكتمان لهذا الغرض فقط ، ولكنى اردت ان يبقى خبر المؤامرة مكتوما عن كل انسان لغرض آخر »

قالت : « وما ذلك فانى لم أفهم مرادك ؟ »

قالت : « اتكونين لبابة العجوز الماكرة ويخفى عليك مغزى كلامى ؟ ما الفائدة اذن من البحث عن مجتمع انصار على ؟ »

قالت : انى ما زلت اجهل ما تريد به ، فما مرادك ؟ »

قالت : « مرادى ان ابعث الى عمرو بن العاص بخبر تلك الجمعية ويوم اجتماعها ، ليقبض على رجالها ، وسيكون سعيد وعبد الله بينهم ، فاما ان

يقتلها أو يسجنهما ، فاذا قتلها ظل أمر المؤامرة مكتوما عن كل انسان .
واذا سجنهما ظلّا في السجن الى ما بعد ١٧ رمضان على الأقل فيكون قد نعد
السهم وانتقمت لأبي وأخى ، ولا يهمنى بعد ذلك امر »

فلما سمعت لبابة كلام قطام همت بها وقبلتها وهى تقول : « يورك فيك
يا بنية والله انك أبعد منى نظرا وأشدّ دهاء ، وإذا أحياك الله الى سى فان
أبليس نفسه لن يقوى على مكرك ! » . قالت ذلك وضحكت . وظلت قطام
عابسة لم تعبأ بضحكها ولكنها نادى ريحان خادمها فحضر وكان جالسا في
مكان بحيث يسمع ويرى ولا يراه أحد ، فلما وقف بين يديها قالت له : « الم
يقتل سيدك عظما ؟ »

قال : « كيف لا ، وانى مطالب بدمهما ؟ »

قالت : « أتدرى لماذا دعوتك ؟ »

قال : « أحسبك دعوتنى لنبعثى بى الى عمرو بن العاص في الفسطاط
لاخبره بأمر مجامع العلويين »

قالت : « نعم انى دعوتك لمتل هذا ، يورك في سوادك . هذا وقت الحاجة
اليك . ولكن لا تذكر اسمى لعمرو ، أنا واثقة بفطنتك فلا تخيب املى
اذهب الى مصر ابليغ الرسالة ، وجئنى بمقتل هذين او سجنهما وانت حر
لوجه الله »

فقطب ريحان حاجبيه واجاب كأنه يعاتبها : « الا تعلمين يا مولاتى انك
تهينينى بهذا الكلام من حيث تريدن سرورى . اتظنيننى أوثر الحرية على
الاستعباد لك . لقد قلت قولا فاسمحي لى ان اقول مثله . اننى ذاهب
لانفاذ مرامك فاذا انا فزت فيه رجوت ان تعديننى بالا تذكرى حرىنى أبدا »
فضحكت قطام واظهرت الاعجاب بشهامه ريحان وقالت : « سر يا اسود .
انك والله خير من الف ابيض »



أمام الفسطاط

الفسطاط مدينة عمرو بن العاص في مصر بناها سنة ٢٠ للهجرة بعد فتحه الاسكندرية . وسبب تسميتها بالفسطاط (الخيمة) انه لما فتح حصن بابل جب دير مار حرجس الآن او دير الصارى بقرب مصر القديمة واستقر الصلح بينه وبين المقوقس ، نهض لفتح الاسكندرية وكانت خيامه منصوبة خارج الدير بين النيل وجبل المقطم ، فأمر بنقويضها للرحيل فجاءه مبيء بان في فسطاطه يمما معششا وتحت صفاره لاستطيع الطيران ، فقال عمرو . « لقد احنمت بجوارنا فأقروا الفسطاط حتى تطير فراخها » . فتركوا الفسطاط منصوبا حتى عادوا بعد فتح الاسكندرية فابتنوا الدور حوله . ولما اكملوا عمارة المدينة أطلق عليها اسم الفسطاط ، وهى أول مدينة بناها المسلمون في مصر واتخذوها عاصمة ملكهم ، حتى بنيت القاهرة في القرن الرابع للهجرة فنقلت الحكومة اليها

وكانت الفسطاط في العام الاربعين للهجرة ، وهو العام الذى جاءها فيه سعيد ورفيقه عبد الله ، قد عمرت واقامت بها القبائل والافخاذ في خطط وحارات بنيت لهم . وكانت مستطيلة الشكل على ضفة النيل الشرقية طولها ميلان فيما يقرب من مصر العتيقة الآن . وأما مكان مصر العتيقة فقد كان يومئذ مجرى النيل ، وكان اذا جرى رست سفنه بباب دير النصارى حيث كنيسة المعلقة اليوم ، فكل ما بين الدير والنيل من اليبس وما أقيم عليه من البناء انما حدث بعد ذلك

وكان جامع عمرو والباقية آثاره الى اليوم مركز تلك المدينة ، وخوله انشئت الخطط والازقة . وكان اقربها الى الجامع المذكور دار عمرو ، او هما داران : الدار الكبرى والدار الصغرى . وكان المسلمون اولاً ينزلون في الخيام فلما بنى عمرو داريه اهتم الناس ببناء المنازل . ولم يكن قبل الفسطاط هناك الا بعض الاديار للقبط متفرقة بين النيل والمقطم . وبنوا الخطط او الطرق على اسماء القبائل التى تالفت منها حلة ابن العاص في ذلك الحين ومن نزع بعدهم ، وواجههم جميعا اهل الراية من قريش والانصار وخزيمة وغيرهم ، فبنوا لهم خطة سموها خطة اهل الراية ، ثم خطة مهرة ، وخطط لحم واللفيف والصفد من كندة وخولان ، فضلا عن خطط غير العرب مثل خطة الفارسيين اذنين حضروا الفتح واصلهم من بقايا جند (باذان) عامل كسرى على اليمن قبل

الإسلام ، أسلموا في الشام . وكانت هناك خطط أخرى لاتحصى فضلا عن الطرق والازقة والحارات

فترى مما تقدم انه لم يكن يقيم بالفسطاط في أول أمرها غير المسلمين وأما المسيحيون واليهود ممن كانوا هناك قبل الفتح فمن أثر البقاء برعاية المسلمين أقام في الأديار خارج الفسطاط ، وأكبرها دير النصارى (دير مار جرجس) وهو الحصن الذي حوصر فيه القوقس ورجاله لما جاءهم المسلمون ، وكان يسمى حصن بابل أو قصر الشمع . وربما أقام بعض القبط أو اليهود في الفسطاط لتجارة أو صناعة أو كتابة ، لأن عمرا عهد إلى القبط أول الأمر في أعمال حكومته وأبقى الدواوين تكتب بالقبطية ، وبقيت كذلك إلى أمانة عبد الله بن عبد الملك بن مروان فأبدلت بها العربية

وكانت مدينة عين شمس (المطرية) شمالي الفسطاط خربة لم يبق من أبنيتها الشائخة ومعالمها الرفيعة إلا بعض الجدران الغليظة أو الأعمدة الضخمة والمسلات من بقايا الهياكل الفرعونية وهي مهجورة لا يقيم بها أحد فاذا احتاج الناس إلى حجارة أو أعمدة يننون بها دارا كبيرة أو حامعا جالها .

انقاضها



وقد تركنا سعيدا وعبد الله وهما يتأهبان للرحيل في ذلك اليوم ، فاصبح على راحتيهما وخرجا من الكوفة يلتمسان الفسطاط ، وهما لا يعلمان ما أعدته لهما قطام من المكائد . وسارا يواصلان الليل بالنهار حتى أقبلا في فجر يوم جمعة على الفسطاط ، فأطلا عليها من سفح المقطم فاذا هي معتدة على ضفة النيل على مسافة طويلة ورائها يجري النيل وفيه السفن راسية تحمل الغلال والأحمال ، بعضها قادم من الصعيد والبعض الآخر صاعد من الشمال . وفي وسط المدينة جامع عمرو وحوله الأبنية والدور . فوقها هنية يدبران الخطوة التي يجب أن يسيرا عليها للقيام بمهمتهما

فقال عبد الله : « ها نحن أولاء امام الفسطاط وقد طلع فجر الجمعة الذي يجتمع فيه دعاة أمير المؤمنين في عين شمس على ما نعلم . فهل نظل هنا برهة ثم نسير توا إلى عين شمس ؟ »

فقال سعيد : « لا داعي إلى بقائنا هنا ، وقد يكون في بقائنا مظنة سوء ونحن على ما يعلم الناس من دعاة معاوية . وزد على ذلك أننا لا ندرى متى يعقد ذلك الاجتماع : في الصباح أم في المساء ؟ أم في وقت بينهما » .

قال عبد الله : « لست على يقين من ساعة الاجتماع ، ولكنني أظنهم يجتمعون بعد صلاة العصر إلى المساء على أنى لا أرى بأسا من النزول إلى

القساط حيث نضلى الصبح ونضع دوانا في مأوى تستريح فيه . ثم أخرج أنا للبحث عن ساعة الاجتماع ومكانه وأعود اليك فنذهب معا » قال سعيد : « هذا هو الصواب »

ونزلا يناقتهما حتى دخلا المدينة وهى ساعتئذ أهلة بالناس وقد اذن المؤذنون يدعون الناس الى صلاة الصبح فاتيا المسجد وأمامه ساحة كبرى تقف فيها الدواب تشد الى أوتاد او نخيل . فربطوا الزاحلتين ودخلا المسجد للصلاة وكانت الشمس قد أضحت وتقاطر المسلمون أفواجا فدخلوا في جملة الداخلين



لم يكذب يستقر بهما الجلوس حتى رايا الناس في حركة وجلبة وقد فتح باب في بعض جوانب المسجد دخل منه رجال في أنهم السياط يزجرون الناس . فقال سعيد : « من هؤلاء ؟ » . « عبد الله : » هم الشرطة يفسحون الطريق للأمير » . ولم يكذب عبد الله يتم كلامه حتى دخل رجل ربعة قصير القامة وأقر الهامة أدعج أبلج عليه ثياب موشاة كأنها العقيان تأتلق عليه حلة وعمامة وجبة ، فعرفا أنه عمرو بن العاص . وصعد المنبر والناس ينظرون فحمد الله وصلى على النبي (صلعم) ووعظ الناس وأمرهم ونهاهم ، وجعل يحضهم على الزكاة وصلة الأرحام ، ويأمر بالتوفير وينهى عن الفضول ، وكثرة العيال وافاض المقال في ذلك الى أن قال : « يا معشر الناس ، اياكم وخلاا أربعا فانها تدعو الى النصب بعد الراحة والى الضيق بعد السعة والى الدلة بعد العزة . اياكم وكثرة العيال ، واخفاض الحال ، وتضييع المال ، والقليل بعد القال في غير ذلك ولا نوال . ثم انه لا بد من فراغ يؤول اليه المرء في توديع جسمه والتدبير لسانه وتخليته بين نفسه وبين شهواتها ، ومن صار الى ذلك فليأخذ بالقصد والنصيب الأقل ، ولا يضيع المرء في فراغه نصيب العلم من نفسه ، فيحور من الخير عاطلا وعن حلال الله وحرامه غافلا . يا معشر الناس انه تبدلت الجوزاء ، وذلت الشعرى ، واقلعت السماء وارتفع الوباء ، وقل الندى وطاب المرعى ، ووضعت الحوامل ، ودرجت السخائل : وعلى الراعى لرعيته حسن النظر ، فحى لكم على بركة الله تعالى الى ريفكم فنالوا من خيرِهِ ولبنه وخرافه وصيده ، وأربعوا خيلكم واسمنوها وصونوها وأكرموها فانها جنتكم من عدوكم وبها مغانمكم وأنفالكم . واستوصوا بمن جاورتموه من القبط خيرا ، واياكم والمومسات والموسولات فانهن يفسدن الدين ويقصرن الهمم . حدثني عمر أمير المؤمنين انه ستمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الله سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبظها

خيرا فان لهم فيكم صهرا وذمة . فكفوا ايديكم ، وعفوا فروجكم ، وغضوا ابصاركم . ولا اعلمن ان رجلا اسمن جسمه واهزل فرسه . واعلموا اني معترض الخيل كاعتراض الرجال ، فمن اهزل فرسه من غير علة حططته من فريضته قدر ذلك ، واعلموا انكم في رباط الى يوم القيامة لكثرة الأعداء حولكم ، وتشوف قلوبهم اليكم والى داركم معدن الزرع والمال والخمر الواسع والبركة النامية . وحدثني عمر امير المؤمنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كييفا فذلك الجند خير أجناد الارض) . فقال له أبو بكر رضى الله عنه : (ولم يا رسول الله ؟) قال : (لأنهم وازواجهم في رباط الى يوم القيامة) . فاحدوا الله معسر الناس على ما اولاكم ، وتمتعوا في ريفكم ما طاب لكم ، فاذا يسر العود : وسخن الماء ، وكثر الدباب ، وحض اللبن وصوح البقل وانقطع الورد من النجر فحى الى فسطاطكم على بركة الله . ولا يقدمن أحد منكم ذو عيال الا ومعه تحفة لعياله على ما اطاق من سعته أو عسرتة . أقول قولى هذا واستحفظ الله عليكم »

وكان عمرو يخطب والناس يسمعون وقد خشعوا لما تكلمه من الأوامر والنواهي والوصايا . فقال سعيد لعبد الله همسا : « والله انه لنعم الأمير ! وسئت يد تقتله . انى والله منذره بذلك متى دنا الأجل المضروب » . فلم يجبه سعيد مخافة ان يلحظ أحد شيئا مما هما فيه

وخرج الناس بعد الصلاة ، وخرج عبد الله وسعيد ، واجتمعوا في ساحة المسجد خارجا ، وتعارفوا فعرف عبد الله رجلا من غفار كان له معه صداقة فدعاه وسعيدا الى منزله ليقما عنده فاعتذرا فالح عليهما فسارا معه لثلا يوجب ابتعادهما شبهة ، فأنزلهما في منزل له في خطة اسمها خطة خارجة بن حذافة فأمر الغفارى عبدا له بتسلم الراحلتين والسير بهما الى المرباط ، ودخل بالضيفين الى غرفة لم « يا فيها نافذة الا كوة في أعلاها فعجبا ، وهم عبد الله بالاستفهام عن ذلك وأومفه التادب ، فلحظ الغفارى استغرابه فقال له : « لا تعجب لحال هذه الغرفة فان كذلك سائر أبنية الفسطاط »

فقال عبد الله : « انى والله يا اخا غفار لفى عجب عجاب مما ارى فما البذى دعا الى هذه الاقوال ؟ » . فقال الغفارى : « اعلمنا أن خارجة بن حذافة صاحب شرطة الأمير عمرو بن العاص هو أول من ابتنى غرفة في الفسطاط . فلما علم بذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يومئذ كتب الى عمرو بن العاص يقول : (ادخل غرفة خارجة وانصب فيها سريرا وأقم عليه رجلا ليس بالطويل ولا بالقصير فان اطلع من كواها فاهدمها) . ففعل ذلك عمرو فلم يبلغ الكوى فأقرها فلم يجسر أحد ان يبنى غرفة بعد ذلك الا على هذا الوصف وهو أضمن للحجاب »

ثم جاءهما الغفارى بالزاد فاكلا ، وما لبثا حتى خرجا يطلبان الخلوة للنظر فيما جاء من أجله ، ومشيا في المدينة يتظاهران بالتفرج على مشاهدتها فقال سعيد : « اننا في وقت الظهر وما العمل ؟ »

فقال عبد الله : « دعنى أسر وحدى الى عين شمس فانها على بضعة اميال من هنا حيث ترى الخرائب وامامها هاتان المسلتان ، وسأبحث لأهتدى الى مكان الاجتماع فاذا عثرت عليه جئتك على عجل . فأين الملتقى ؟ »

قال : « أبقي أنا في المسجد حتى تعود الى واحذر أن تطيل غيابك »

فسكت عبد الله ولبث برهة يفكر ثم قال : « اذا أبطأت في الرجوع اليك فإذهب الى عين شمس وانتظرنى بقرب هاتين المسلتين القائمتين فأوافيك اليهما أو أبعث من يدعوك الينا »

فافترقا وقصد عبد الله الى عين شمس وقد جعل وجهته اليها المسلتين وكانتا ظاهرتين عن بعد . وعاد سعيد الى الجامع

واقبل عبد الله على عين شمس فاذا هى مؤلفة من اطلال ليس فيها من الابنية الا الجدران والأعمدة ، فطاف بين خرائبها فلم يراحدا ولاسمع صوتا . وقضى في ذلك ساعتين يتردد بين تلك الجدران ثم يعود الى حيث بدأ فلم ير انرا للآدميين ، فظن نفسه قد أخطأ المكان أو اساء فهم ما بلغه من امر ذلك الاجتماع حتى كاد يهم بالرجوع وقد خاب ما امله وخيل اليه أن دعاة على ابدلوا بمجتمعهم هناك مكانا آخر

فأسند ظهره الى جدار ووقف يفكر فيما يفعله وقد مالت الشمس الى المغرب فرأى رجلا قادما من القسطنطينية فتشغل عبد الله بمشاهدة ما هو محفور على تلك الآثار من الرسوم الهيرغليفية كأنه يعجب لغريب صنعها . وكان الرجل يظهر تارة ويختفى تارة أخرى في مروره بين الأعمدة والخرائب وعبد الله يختلس النظر اليه . ثم نظر فاذا به قد اختفى



فعجب عبد الله لأمره وقال في نفسه : « لا بد أن يكون الرجل من اهل ذلك الاجتماع السرى وقد نزل في نفق أو نحوه » . فالتمس المكان الذى ظن انه اخفى فيه فوجد منحدرًا يظهر لأول وهلة أنه مسدود فنزل فيه وهو يخطو الهوينى حتى انتهى الى ظلمة دامية فوقف واصاح بسمعهم فسمع لفظا فاسبسر بالوصول الى المكان المطلوب ولكنه لم يكن يعرف مدخل تلك المغارة وخاف أن يراه القوم فيقتلوه

فوقف برهة يتردد بين أن يسير منملسا طريقه وبين أن يرجع لياى سعيد . ثم بدا له أن يتحقق المجتمع أولا ثم يعود ، فخطا بضعة خطوات وهو

لا يرى شيئا امامه فلطم راسه السقف ، فحس طهره وداهمه العطاس لوطوبه الهواء فطلس عطسة دوى لها المكان وما شعر الا . قد ظهر نور ضعيف وتقدم بضعة رجال كلهم ملثمون ، عليهم اردية سوداء تريدعهم رهبة فقبصوا عليه وهو لا يبدى حراكا . ونزلوا به في الممر الى قاعة تحب الارض واسمعة وكل جدرانها وسقفها مغطاة بنسيج اسود مما يجعل المنظر رهيبا : ولولا شمعات مضئنة في بعض جوانب المكان لكانت الظلمة لا تطاق لكشافتها . ونظر عبد الله الى ما حمله فرأى في وسط القاعة دكة مغطاة بملاءة سوداء لم يدرك ما تحنها ولكنه لم يستطع التامل وقد احرق به بضعة عشر رجلا المحقوا العباات تحتها السيرف زكلكم ملثمون . فخطبه واحد منهم يسأله عما يريد

فقال : « انى جئت اشارككم فيما أنتم فيه »

قال : « وما أدراك ما نحن فيه ؟ »

قال : « علمت أنكم تدعون الناس الى نصرة الامام على . اليس ذلك ما تدعون اليه ؟ »

قال : « وما شأنك في هذا ؟ »

قال : « شانى هو شأنكم . لا تسيئوا الظن بى انى قادم من الكوفة لهذا الامر »

فقال له رجل آخر : « كيف تكون أسويا وتدعى نصرة الامام على ؟ »

فخيل الى عبد الله انه يستمع صوت صديقه الغفارى الذى اضاف له الصباح

فقال : « الست أنت صديقى الغفارى . اصدقنى ولا تخف انى والله جئتكم بخبر مهم اذا أشركتمونى فى امركم اطلعكم عليه وتحققتم صدق قولى »

فقال الغفارى : « اذا كنت صادقاً فيما تقول تعال معى » . ومشى فتيبعه الى الدكة فى وسط القاعة ورفع عنها الملاءة السوداء فاذا هناك مصحف فوقه سيف مسلول وقال له : « نضع يدك على هذا السيف واقسم بالله العظيم انك حليف للامام على تنصر نصيره وتحارب عدوه »

فوضع عبد الله يده على المصحف والسيف معا ، واقسم

ثم قاده الرجل الى دكة اخرى رفع غطاءها وتناول قارورة فيها مسحوق اسود كأنه الكحل فقال عبد الله : « وما هذه ؟ » قال : « هذه قارورة فيها بقية من رماد ابن أبى بكر الذى أحرقتموه ظلما ، فاذا كنت تطلب الهداية ونصرة الحق فعليك أن تكحل بهذا الرماد وتبكي ذلك القنيل المظلوم وتعاهدنا على الاخذ بئاره . فهل تقبل وتظل على قسمك ؟ »

قال : « انى معكم فيما تريدون وقد صدقتكم القول »
فتقدم صاحبه ففتح القارورة وأدخل فيها شيئا علق عليه بعض الرماد
فأعطاه الى عبد الله فاكتمل به فهاجت عيناه وانسكب الدمع على الرغم منه
فشاركه الرفاق فى البكاء
ثم أراح الغفارى لثامه وقال : « نعم انى صديقك كما قلت ، ولكن اعلم
انك اذا كنت على غير ما تقول فانى عدوك اهدر دمك بجهد هذا السيف .
قل ما بدا لك »

فلما اطمأن عبد الله تذكر سعيدا فقال : « ان لى رفيقا اريد ان ادعوه
ليشهد ما نحن فيه ويشاركنا فى هذا الجهاد »
فقال له الغفارى : « انك لن تبرح هذا المكان حتى خروجنا جميعا فقل
ما تريد »

فاطاع وقال : « لا تعجبوا لانى اموى . فقد اصاب صاحبى الغفارى ،
فقد كنت من انصار معاوية وكنت مطالبا بدم عثمان ، ولكن طرا على طاريء
ساقص عليكم نباه بعد ؛ اما الآن فاقول انى قادم من الكوفة وقد علمت ان أمير
المؤمنين عليا بن ابي طالب قد جمع رجاله هناك فاجتمع له اربعون ألف مقاتل ،
وكلهم مستعدون للنزال وبذل النفس والمال فى هذا السبيل »

فقال الغفارى : « ان رجالنا يعدون بالآلاف وكلهم وكل ما ملكت ايديهم
وقف على نصره الامام ابن عم الرسول »

وهم عبد الله باتمام الحديث فاعترضه احدهم قائلا : « عرفناك امويا من
الاعداء الامام ، فما الذى حملك على نصرته مجازفا بحياتك ؟ »

فاخذ يقص عليهم حديث ابي رحاب ، ولم يكذب فوه بكلمتين حتى سمعوا
وقع حوافر الخيل فوق رؤوسهم وقد ارتج المكان فوقهم فانصتوا ووقع
الرعب فى قلوبهم ، وخيل اليهم انها دسيصة من عبد الله ، فهموا بقتله
ولكنهم ما لبثوا ان راوا المشاعل منبعثة من مدخل الممر وقد انهالت الشرطة
عليهم فارادوا الدفاع عن انفسهم فلم يفلحوا ، وتبدت الشرطة وثاقهم وساقوهم
فى ظلام الليل الى القسطنطينية



السجينة الامينة

مكث سعيد في الجامع حتى دنا الغروب ولم يعد عبد الله فجار في امره هل يذهب الى عين شمس أو ينتظر عودة عبد الله . ثم غربت الشمس فلم ير بدا من المسير الى عين شمس كما أوعز اليه عبد الله . فخرج من الفسطاط وجعل المسلمين وجهته والظلام يكاد يحجبهما عنه فمشى وقد أوجس خيفة من ابطاء عبد الله ولم يعد يرى المسلمين الا اذا برزنا في الافق . ثم اختفيا ولم يعد يراهما وخاف أن يضل الطريق . وفيما هو في ذلك سمع ديبيا وقرقة كأن جندا قادما وراءه فتنحى عن الطريق فاذا بكوكبة من الفرسان مرت به مسرعة نحو عين شمس فأوجس في نفسه خيفة . والتفت الى يمينه فرأى بيتا قائما في بستان . فبدا له ان يتوجه اليه يستفهم عن الطريق . فلما دنا منه سمع صوتا خارجا من بعض جوانب الممر استوقف انتباهه فوقف واصاح بسمعه فسمع صوتا رخيفا يمازجه بكاء ولم ير هناك نورا ولا رأى أحدا في البستان ، فقصد باب البيت فاذا هو موصد ووضع له صوت الباكي فانصت فسمع صوت امرأة تبكي وتقول : « الا تخاف الله يا ظالم ؟ أما كفك ما واطأت عليه من قتل البريء حتى رميت الوفا من الناس في خطر القتل الفظيع ؟ هل من ينبىء هؤلاء الأبرياء بالوساية بهم فينقذهم من الموت ؟ »

فلما سمع سعيد تلك العبارات افشعر بدنه ولم يعد يصبر على استطلاع سبب ذلك البكاء . ففرع الباب قرعا خفيفا فانقطع الصوت بغتة ، فصبر هنيهة وكرر القرع ويده ترتعش رهبة فلم يسمع شيئا ، فازداد شوقا الى استطلاع السر ، ولكنه خاف ان يقع في مكيده وهو غريب هناك ، فلبث برهة والهوا حس تتقاذفه وقد حدثته نفسه ان بين ما سمعه وبين ما يسعى في البحث عنه علاقة كبرى . وكان الفرسان الذين مروا به قد بعدوا عنه ولم يعد يسمع من وقع حوافر افراسهم غير الدوى البعيد . فأبقن أنهم في طريقهم الى عين شمس ولم يفهم سبب ذهابهم اليها في ذلك الليل . وبعد التأمل فيما سمعه وراه ايقن ان في الامر سرا يهمه الاطلاع عليه

فhez الباب بيده هزا عنيفا كأنه يفتحه بالعنف فلم يفتح ولم يعد يستطيع صبرا فقال بصوت خافت : « هل في المنزل أحد يفتح الباب . . انى غريب ضللت الطريق ! . . »

فأجابته الصوت من الداخل : « ليس في البيت سوى . . والباب مقفل
لا سبيل الى فتحه »
فازداد سعيد دهشة واستغرابا وقال : « من انت ايها المتكلم ؟ انى اراك
في ضيق فهل من سبيل الى انقاذك ؟ »
فأجابته الصوت : « يا حبيبا اذا استطعته انى حبيسة . من انت ؟ »
قال : « قلت لك انى غريب ضللت الطريق ، أرينى وجهك أو ارشدنى الى
وسيلة أفتح بها الباب »
قالت : « عالج الأقفال بالعند ، لعلك تستطيع فتحها فتتقضى ، وربما
انقذت الوفا من الناس معى »



ثارت الحمية في رأسه واستل خنجره وجعل يعالج الأقفال وهى تسامده
من الداخل حتى فتح الباب فبرزت منه فتاة محولة الشعر عليها رداء أهل
الفسطاط ولما رأت سعيدا قالت : « من انت أصدقنى الخبر ؟ »
قال : « أصدقينى أنت ولا تخافى ، لقد سمعتك تندين الوفا من الناس
فمن هم ؟ »
فتغرس فيه وتغرس فيها فلم يعرفها ولا عرفته
ثم قالت له : « من قال لك انى أئدب الوفا ؟ »
قال : « سمعتك بأذننى . أفصحى ولا تخافى »
قالت : « وما يهمك من أمر هؤلاء الألف ؟ »
قال : « أخاف أن أكون منهم »
قالت : « وما الذى جاء بك الى هنا ؟ »
قال : « كنت ذاهبا الى عين شمس فتهدت وجئت لاسأل أهل هذه الدار
عن الطريق فسمعت بكاءك ، فما خطبك . قولى لقد نفدت صبرى »
قالت : « انى أخاف العيون ، ولا أثق بأحد بعد أن غدر بى أبى فكيف أثق
بالغرباء ؟ »
قال : « رب غريب اقرب من القريب . قولى ولا تخافى »

وفيما هما في ذلك سمعا وقع الخوافر وصوت الضوضاء من ناحية عين
شمس ، فدخلت الفتاة الغرفة وجرت سعيدا بثوبه ولم تغه بكلمة ، فدخل
في أثرها وقد تولته الدهشة ولبت صامتة . ولم تمض برهة حتى دنت
الضوضاء منهما وسمعا من بين الأصوات قائلا يقول : « لقد وقعتم في أيدينا ،
يا الخائنون وعرفنا دسائسكم » . وسمعا لفظا كثيرا مختلطا فظلا صامتين

حتى مر الفرسان كلهم وهم يسوقون جماعة من المشاة موثقين
فلما تواروا عن البيت لطمت الفتاة وجهها وقالت : « لقد نالوا بغيتهم
قبضهم الله وقبضوا على الجماعة »

فقال : « واى جماعة . هل قبضوا على جماعة عين شمس ؟ »
قالت : « نعم انهم قبضوا عليهم واأسفاه »
فدق سميد يدا بيد وخرج يرقب الفرسان كأنه يريد أن يتحقق طريقهم
فقالت له : « أخالك كنت سائرا اليهم »

قال : « نعم »
فقالت : « لقد نجاك الله من أيديهم وكانما أراد الله أن تضل الطريق لنجاتك »
فاضطرب سميد واختلج قلبه في صدره وقال : « بالله عليك أفصحى
يا أخية فقد نفدت صبرى ، وقد علمت غرضى فأخبرينى عن حقيقة أمرى »
قالت : « لم اعد أستطيع البقاء هنا مخافة أن يفاجئنا قادم فتكون العاقبة
وخيمة علينا »

قال : « وهل تريدان أن نبعد عن هذا المكان ؟ »
قالت : « نعم هلم بنا ، فاذا خلونا تحادثنا ، وعساك أن تتلافى أمرا لا أزال
خائفة من وقوعه ، وهو شر عظيم » . قالت ذلك وخرجت فمشيت أمامه
وهو يتبعها حتى خرجا من البستان وأوغلا في الحقول ، وهو يسير في أثرها
الى حيث لا يدري ، وكلاهما صامت لا يفوه بكلمة ، حتى دنوا من بناء على
الجدران كأنه لا باب له فقالت له : « هذا دير للقبض فلندخله بحجة الزيارة
فنكون في مأمن ، ومشيت أمامه الى باب صغير في أسفل الحائط مصفح بالحديد ،
فقرعته فأطل عليها من نافذة في أعلى الحائط راهب في يده مصباح وقال :
« من يقرع الباب ؟ »

ولم تمض هنيهة حتى فتح الباب فدخلوا وقد احتيا راسيهما لضيقه
فاشرفا على ممر دخلا منه والراهب يسير بالمصباح أمامهما حتى انتهيا الى
الكنيسة ، فنظر الراهب اليهما في نور المصباح فعرف أن الفتاة من أهل
الفسطاط بل من أشرافيهم ، فسر لزيارتهم ورحب بهما وأدخلهما الى غرفة
مضاءة في الجانب الآخر من الكنيسة وسألهم : « هل تحتاجان الى شيء ؟ » .
فقالا : « كلا » . فتركهما وقفل راجعا



تأمل سميد الفتاة على ضوء المصباح فوجدها شابة في مقتبل العمر جميلة
الطلعة وقد احمرت عيناها وذبلت اهدابها من البكاء ، فلم يرددها ذلك الا

حسنا ، وكانت قد ضفرت شعرها في اثناء الطريق وغطت راسها بطرف ثوبها . فجلسا على وسادة فوق حصير وسعيد في كهفة على حديتها وقلبه يخفق توقعا للبا الغريب ، فابتدروها بالسؤال عن حقيقة امرها ؟

فنظرت اليه ولم تكذ تتأمله حتى قالت : « لعلك أحد الغريسين اللذين وصلا الى الفسطاط صباح هذا اليوم ؟ »

قال : « نعم ، وما أدراك بذلك ؟ »

قالت : « رايتكما مع جارنا الففارى ، وها انذا أقص عليك خبرى الغريب ، وأرجو منك أن تسرع في تلافى الخطر العظيم الذى سيدهم المسلمين قريبا » قال بلهفة : « قولى ، انى لهذا الامر اتيت الفسطاط ، فعسى أن اكون قد وقعت على ضالتي »

قالت : « انى اطلعت على سر لا اظن احدا عرفه قبلى ، الست على دعوة الامام على ؟ »

قال : « بلى انى على دعوته ، وقد جئت في سبيل نجاته »

وهمت بالكلام ، ثم توقفت برهة وأطرقت ، فلحظ سعيد ترددها وأدرك انها اساءت الظن به فقال لها : « لا تظنى سرك مجهولا لدى واذا شئت قلت لك . وليطمئن قلبك اقول انه يتعلق بالامام على وفيه خطر على حياته »

فاطمات ولكنها تنهدت وقالت : « اعلم ياسيدى ان أبى يصنع السلاح ويبيعه في الفسطاط ، وقد زبيت وانا اسمعه يتشيع للامام على فانفوس حب هذا الامام في قلبي ، وما انا في حاجة الى مدح أبى الحسن وهو ابن عم الرسول وصهره ، ولكننى ذكرت لك هذا لاطلعتك على التغيير العجيب الذى طرا علينا فقد كنا ندعو ابدا لعلى بالنصر ، حتى كانت واقعة صفين منذ بضع سنين فلحظت فتورا في غير أبى ، ولكننى لم اعرف لذلك سببا . وقد كنت كثيرا ما اراه يختلى بجار لنا من بنى مراد ، كان يعلم الناس القرآن ، وكنت احسبه من اهل التقوى . ولكننى وجدته وا أسفاه من اهل العدا . وما زالا يتساران في امر هذا العدا ولا يجرؤان على التظاهر به لان مصر في حوزة الامام على وعاملها محمد بن أبى بكر . فلما جاءنا ابن العاص بخيله ورجله ، وحارب دعاة على فقتل ابن أبى بكر قتلة لم يسبق لها مثيل في الاسلام ، استقام الامر للأمويين ، فجاهر أبى بعداء على ، وكان جارنا المرادى يزيد كرها له . فعلمت انهما تشيعا للخوارج ، فظلت مع ذلك صابرة كاظمة اذ لا سبيل لى الى شيء عمله وانا فتاة ضعيفة كما ترى . وكان أبى يظننى على دعوته . ففي ذات يوم جاءنا ذلك المرادى يخطنى من أبى فقيل ، أما انا فلم اجد خوفا من اكرهى على الزواج ، وصممت على الفرار اذا حملنى أبى اليه كرها ، وما زلت امأطل في عقد القران الى الآن »

عبد الرحمن بن ملجم

كانت الفتاة في أثناء كلامها عن الزواج مطرقة حياء فلما بلغت هذا الحد رأت سعيدا مصغيا كأنه يتطلع الى اتمام الحديث فقالت : « ولا اطيع عليك قبل ان اسأل الى جوهر الموضوع فاقول اني احتملت الأمر بالصبر ثم علمت ان المرادى خرج الى مكة فظننته حاجا وتمنيت الا يعود ، ولكنني ما لبثت ان رأيته قد عاد »

قالت ذلك وتنهدت وسعيد ينتظر لسماع ما تقول وقد دهش لغرابة الحديث

فقالت : « عاد المرادى بمهمة جديدة ليتنى مت قبل ان اسمع نبأها . فإذا لم أجد من يتحمل المشقة في تلافيها تلافيتها بنفسى . . . جاء هذا المرادى ثانيا يوم وصوله الى الفسطاط ، فخلا الى ابي كل الليل ، وانا لا اعلم ما دار عليه حديثهما ، ثم بلغني انه اوصى ابي بأن يصنع له سيفا ماضيا انفق عليه الف درهم ، وقضى مائة يوم يشحذه فلم أفهم معنى هذا الاستعداد ، ولا اهتممت به ، وبعد ان شحذه كلف ابي فسقاه السم . وقد علمت انه انفق على سقايته الف درهم أيضا . فويل لجسم يجرحه هذا السيف ولو جرحا خفيفا »

فعل سعيد ولم يعد يستطيع صبرا على التصريح باسم ذلك الرجل والافصاح عن غرضه بمقايمة السيف ، وخامره الشك في أنه ربما كان يعد لقتل الامام علي . وكان قد صبر نفسه حتى يسمع ذلك من فم الفتاة ولكنه مل الانتظار فسألها قائلا : « وما اسم هذا الرجل ؟ »

فقالت : « اسمه عبد الرحمن بن ملجم المرادى »

فلم يذكر انه يعرفه ، اما خولة فتنهدت وقالت : « فلما رأيت منه هذا الاستعداد المريب عمدت الى الحيلة ، فلما جاءنا في صباح امس يودع ابي وقد عزم على الكوفة ، قلت في نفسي : سيذهب الرجل وانا جاهلة السر ، فتظاهرت باعجابي بشجاعته واقدامه ، وأطريت غيرته على الاسلام ونحو ذلك ، وسألته ان يربني السيف لاتأمل فرنده ، فجاء به واوصاني ان اتقى حده لان جرحه يميت ، فسللته بحذر ، فاذا هو يلعب لمانا تقشعر منه الايدان ، فارتعد جشمتي ولكنني اظهرت الجلد وقلت : اراك انفقت مالا كثيرا

على صقله ، ما الفائدة من هذا اللمعان ؟
فضحك مستخفا وقال : « اتجسبنى انفتحت كل ذاك المال على صقله
فجسب ؟ »

قلت . « وماذا هناك ، انى لا ارى فيه غير اللمعان »
فقال : « لقد سقيته السم »

فتظاهرت بالدهشة وقلت : « ولاى شيء هذا ؟ » . وما زلت احاوره
واجادله حتى خدع فقال : « اعلمى يا خولة انى سأقتل بهذا السيف رجلا
يرعون انه اكبر رجل فى الاسلام ويقولون انه اقربهم الى الرسول » . قل
ذلك والشر باد فى عينيه واصفرار اللؤم يتخلل ما كان يحاوله من الابتسام .
اما انا فلما سمعته ارتعدت فرائصى واختلج قلبى واطنه قرا ذلك على وجهى .
كيف لا وقد ظهر لى انه يريد قتل الامام على . ولكننى اردت التثبت فقلت :
« ومن هو ذلك الرجل ؟ » . فقال : « الا تعلمين من هو ؟ الا تعرفين سبب
كل هذا الانقسام ؟ فاذا كنت لم تفهمى بعد فاقول لك انه على بن ابي طالب
الذى يدعوه اشياعه امير المؤمنين » . قال ذلك واحمرت عيناه وتجلى القدر
فى وجهه وقال : « احذرى ان تبوحى بذلك لاحد ، والا اصابك جرح من هذا
السيف » . قال ذلك وهو يمزج الجد بالهزل . اما انا فتحققت انه يقتلنى
ولا يبالى ، فالذى يجرؤ على قتل امير المؤمنين كيف لا يقتل فتاة مثلى . فلم
استطع جوابا وخفت اذا انا نطقى ان ينكشف امرى ، فسكنت وقد عولت
فى سرى على السعى لابلاغ امير المؤمنين ذلك على عجل ، لان موعد القتل
قريب واطنه فى ١٧ رمضان ، لانى كثيرا ما كنت اسمعه يذكر هذا التاريخ
ويعرض بذكر الكوفة ، ولم اكن افهم مراده وقتئذ . واما الآن فقد تأكدت
انه هازم على قتل الامام على فى ١٧ رمضان ، ونحن الآن فى اواسط شعبان
واخاف ان ينال هذا الرجل بغيته قبل ان يبلغ الخبر عليا . آه يا ليتنى طير
لاحل الخبر اليه »



نهض سعيد عندما سمع كلام خولة ، وجعل يخطر فى الفرفة ذهابا وايابا
والحمية ملء رأسه ، وندم على تركه الكوفة قبل ان يطلع الامام عليا ، ولكنه
تذكر انه لم يكن يعرف اسم المجرم الذى يريد اغتيال حياته ، فلم تكن ثمة
فائدة من اعلامه ، اما الآن فانه يذهب اليه بالخبر اليقين

وكان مع شدة اضطرابه بعد ان سمع حديث خولة لا يغفل عما يتجلى فى
وجهها من ملامح الجمال وما فى حديثها من صدق اللهجة ، وقد اعجبه منها
بنوع خاص غيرتها على الامام على ، فشعر بميل اليها . ولكنه تذكر عهده

لقطام وما يظنه من جها له فرائى الا يطلق لنفسه العنان فى حب سواها .
على أنه ما لبث أن عاد الى التفكير فى عبد الله ومصيره وسبب وجود خولة فى
ذلك البيت المنفرد . فقال لها : « لا أدري يامولاتى ما الذى ساقنى الى منزلك
حتى حظيت برؤيتك وسمعت هذا الحديث الذى جئت الفسطاط من
أجله . ولا أخفى عليك انى كنت عالما بعزم بعضهم على الفتك بالامام ، ولكننى
لم أكن اعلم اسم ذلك المجرم ، فجئت الفسطاط ومعى رفيق من ذوى قرابتي
كان قد سبقنى فى صباح هذا اليوم الى مجتمع العلويين فى عين شمس ، على
أن يعود الى بخبرهم ، فلما ابطل سرت فى امره وأنا لا أعرف الطريق فضلت
فى الظلام حتى اهتديت اليك لحسن حظى . ولكننى فى قلق على رفيقى فانه
يلوح لى ان الفرسان الذين شاهدناهم الليلة كانوا قادمين من عين شمس ،
وربما قبضوا على انصار على هناك . . الا تظنين ذلك ؟ »

فقال خولة : « لو صبرت حتى تنمت حديثى لكفيت نفسك مؤونة الظن ،
ويلوح لى انك تود الاطلاع على سبب وجودى منفردة فى ذلك البيت المغلق ،
فاعلم انى لما سمعت حديث المرادى سكوت وكظمت غيظى ، فخرج الرجل
واظنه شخص الى الكوفة ، ولبثت انا فى حيرة لا أدري ماذا اعمل ، فقضيت
امسى فى الهواجس والظنون ، وكلما تصورت عليا مقتولا بسيف هذا الغادر
يقشعر بدنى . وكان أبى يخرج الى حانوته فى الصباح ولا يعود الا فى المساء ،
وعندنا فى المنزل عبد ربانى منذ حدثتى وهو يحبنى ويكرمنى ، وكنت قلما
أكله ، فخطر لى أن انتهر فرصة غياب أبى وأكلم العبد عساه أن يطلعنى على
نبا جديد ، او لعلى افهم شيئا آخر . لأن حديث ابن ملجم اتعبنى وأقلق
راحتى ، وليس لدى من أشكو اليه امرى ، او أكشفه سرى . فخرجت من
حجرتى لأدعو العبد فلم أجده ، فناديت باسمه فأبطل ولم يجب ، فنظرت من
الدار الى الطريق فرأيت واقفا مع عبد آخر غريب وهما يتهامسان . فلما
رأنى خجل وأسرع الى ، فدخلت غرفتى ودخل هو فى اثرى وعلى وجهه آثار
الاضطراب كأنه سمع خبرا غريبا يريد أن يقصه على . فقلت : (أين كنت
وقد دعوتك فلم تجب ؟) . قال : (كنت مع عبد قادم من الكوفة فى مهمة
سرية الى الامير عمرو) . فقلت : (وهل اطلعك على خبرها ؟) . فأراد أن
يبرهن على ثقته بى فقال : (انه اطلعنى على سر لا أظن أحدا يعرفه فى كل
الفسطاط سوى الامير وبعض شرطته) . ثم أخبرنى ان ذلك العبد الذى كان
معه جاء الى الامير عمرو بأن انصار على يجتمعون سرا فى عين شمس يوم
الجمعة ، وأن عمرا ارسل جندا للقبض عليهم او قتلهم فى ساعة الاجتماع) .
فلما سمعت ذلك لم اتمالك عن البكاء لشدة الغيظ ، ورأيت فرضا على أن
أبلغ المجتمعين ذلك لخبر ليحذروا . ولكننى لم أكن أعرف احدا اثق به فى
إنفاذ هذه المهمة فعولت على الذهاب بنفسى ساعة الاجتماع . فأصبحت اليوم
وأنا انتظر خروج أبى الى حانوته ، لأنكر وأسير الى عين شمس ، فلم يخرج

ورايته مضطربا كان العبد اخبره بالحديث ، وبأنه اطلعني عليه ، فخاف ابى ان اروح به لاحد قبل القبض على المجتمعين . فلازمني حتى الظهر ، ثم دعاني الى الخروج من القسطنطينية ، فأتينا هذا البيت وهو بيت لشريك لنا في الفلاحة وليس فيه احد ، فلم اظهر استغرابي ولم اقل شيئا لأنى كنت عالة بان ابى سيكون في جملة الداهيين الى عين شمس فلا بد له من ان يتركنى ، فاذا تركنى خرجت وانا على مقربة من المكان . وما علمت ما أضمره لى فانه لم تكد الشمس تميل الى الغروب حتى خرج متظاهرا بأن امرا ما يدعو الى الذهاب ، وادعى انه اقفل الباب على خوفا من الغرباء او ابناء السبيل ، وهو يعلم انى لا أستطيع النداء والاستنجاد لأنى اذا تظاهرت بنصرة الامام كنت من المفضوب عليهم ، فظلت هناك حتى جئت انت ورايتنى في هذه الحال . فلاشك انهم قبضوا على زميلك في جملة من قبضوا عليهم من الانصار »

قال سعيد : « هل ترين بأسا عليه ؟ »

قالت : « اظنهم يسجنونه ليستجوبوه ، ثم اذا راوا قتله قتلوه ، وكذلك يفعلون برفاقه . ولكن لا بأس عليه باذن الله وسنتدبر امره . على انى اخاف اذا عاد ابى ولم يرني في البيت ان تزيد ثقته على ، فأرى ان اذهب الى منزلنا في القسطنطينية ، وانظاها بأنى خفت من البقاء في البيت وحدى ففتحت الباب بأسلوب ما واتجاهل كل ماحدث ، فعماذا انت صانع ؟ »

قال : « اود ان اسرع الى الكوفة لارى ابن ملجم فاقطعه بالمسدول عن جريمته ، او اخبر الامام عليا »

فبادرته قائلة : « وكيف تغنعه وهو لا يقنع ، بل قد يسرع في القتل ؟ ليس افضل من ان تطلع الامام عليا على الامر وهو يرى ما يراه »

قال : « وكيف أفعل برقيقى هل اتركه في السجن ؟ »

قالت « اخاف اذا تاخرت هنا ان تفوت الفرصة والمسافة من هنا الى الكوفة بعيدة ، وانى لأعجب منك كيف كنت عالما بخبر هذه المؤامرة ولم تخبر بها عليا وانت في الكوفة ؟ »

فتنهده وقال : « كفى الملام فقد وقع ما وقع ، وكنت اظن الكتمان يبعد المصيبة ، وفاتنى ان اخبرك بان المؤامرة ليست على مقتل الامام على فقط ، بل هي كذلك على مقتل عمرو ومعاوية ايضا » . وقص عليها الخبر موجزا



استغربت خولة الخير وقالت : « مالنا ولهذين ؟ اننا نريد الدفاع عن الامام على الآن ، ولكننى لم أفهم كيف انتقل خبر قدومكما الى هنا وانت تقول انه كان سرا مكتوما لم يطلع عليه احد »

فكاد سعيد يسيء الظن بقطام ، ولكن الحب اعمى بصيرته فانتحل سببا آخر وقال : « لا أدري » . وخطر له أن يقص حديثه مع قطام ثم أمسك عن ذلك حفظا لعهدا ، ولا عجب فهو سليم التية لا يعرف الدهاء ، ولهذا لم يطلق لعواطفه الحرية في حب خولة ، مع ما أنسه فيها من جمال وكمال وتغان في نصرة الحق

على انه ادرك خطاه في كتمان خبر المؤامرة عن على الى ذلك الحين ، ولكنه حمله على اهمال من قطام لا على سوء قصدها ، ومع ذلك فقد رأى الأمر سهل التلاقي ولا يزال ثمة باب مفتوح لانقاذ على ببلاغه خبر المؤامرة ، وهذا يدعو الى السفر السريع ، وهو لا يعلم ما آل اليه حال عبد الله فقال لها : « انى عازم على الكوفة في أقرب وقت ، فما الذى افعله برفيقى وانا لا أدري آخى هو أم ميت ؟ »

قالت : « غدا نعرف الحقيقة ، دعنى اذهب الآن الى منزلنا بالفسطاط ، وامكث أنت هنا الى الصباح »

قال : « كيف استطيع البقاء هنا وحدى ولا صبر لى على استطلاع خبر عبد الله ، فأرى أن ادخل الفسطاط واتردد الى المسجد ، اذ لا يعرفنى احد هناك ، فاما أن أسمع خبرا ممن يفد على المسجد من المصلين او تبعثى الى بالخبر »

قالت : « لك الخيار في ذلك » . ونهضت فنهض وخرجا فرافقها الى قرب منزلها وودعها وعاد يلتمس بيت الغفارى للمبيت وهو لا يدري أن الرجل في عداد المقبوض عليهم ، وقد أصبح بيته موضع شبهة ولم تكن خولة تعلم ذلك أيضا

وكان الجند بعد القبض على المجتمعين قد ساقوهم في الأغلال الى السجن ، وكان عمرو ينتظرهم في داره فلم يصبر الى الصباح وأمر باستقدامهم اليه واحدا واحدا ، فرأى بينهم جماعة ممن لم يكن يخطر له أنهم على غير دعوة بنى أمية خصوصا الغفارى . ولما وصل الى عبد الله عرف انه من بنى أمية وعرف قرابته من أبى رحاب ، ولكنه تجاهل ذلك ، وأمر بأن يسجن كل منهم في حجرة على حدة ، وبعث جندا يفتشون منازلهم ويقبضون على من فيها من الرجال لعلهم يطلعون على شيء جديد ، ولم تمض ساعة حتى دهم الجند منازل العلويين وأخذوا ما فيها



لما ذهب سعيد الى بيت الغفارى سأل عن صاحبه فقالوا له : انه خرج منذ الظهر ولم يعد . فلم يخطر له أنه في عداد المقبوض عليهم ، فدخل

الحجرة التي وضع فيها ثيابه وحاول ان ينام ، ولم يكد يلقى راسه على سريره حتى تراكت عليه همومه فأخذ يفكر في عبد الله وماذا عسى أن يكون أصابه ، وخاف ان هو ابطلا في الذهاب الى الكوفة أن ينفذ ابن ملجم جريمته فيذهب سعيهم عبثا

وفيما هو في هذه الهواجس وقد طار نومه سمع لغطا في الدار ، ثم علت الضوضاء وضج الناس فوقف وتسمع فاذا برجال عمرو قد دخلوا المنزل واوغلوا في النهب وآذوا كل من تعرض لهم فأيقن انهم آتون الى حجبرته ، وسيفتكون به ، فتقلد حسامه والتفت يمينا وشمالا لعله يجد مخرجا ينجو منه فسمع صوتا يناديه من وراء الحجرة فاستأنس بالصوت وعرف انه صوت خولة ، ولم يكن له سبيل الى رؤيتها غير نافذة عالية يشرف منها اذا صعد على مرقاة ، فاحتال في الصعود اليها واطل وكان الظلام حالكا ولكنه رأى شيئا وسمع صوت خولة تقول له : « انهم سيفتكون بكل من في المنزل ، فاليك هذا الخمار والجلباب فالبسهما وافتح الباب واخرج ، وسيظنونك امرأة فلا يتعرضون لك » . فمد يده وتناول الخمار والجلباب فارتداهما وهو يرتعش مخافة ان تفاجئه الشرطة قبل خروجه

فلم يكن الا كلمح البصر حتى فتح باب الغرفة وخرج بزي امرأة فرأى الضوضاء على أشدها ، ولم يتعرض له أحدا في ابان النهب ، فمشى الى الشارع وراء البيت فرأى خولة واقفة فلم يتمالك عن الاعجاب بشهامتها والاقرار بفضلها برغم دهشته وبغته . ثم رآها تمشي امامه فاقتفى خطواتها حتى وصلا الى مكان منفرد فوقفت وقالت له : « الحمد لله على سلامتك وسلامة الامام علي » . فلم يفهم مرادها فابتدرته قائلة : « لا تعجب لقولي فان حياة الامام علي تتوقف على حياتك اذ ليس هنا من يعلم الخطر الذي يهدده سواك . نعم اني انا اعرفه ايضا ولكنني لا اراني استطيع الذهاب ولا آمن على السر احدا »

فقال : « اما انا فلا مطمع لي في الحياة الا بانقاذ الامام من القتل وانت صاحبة الفضل ، ولكن كيف عرفت بالخطر المحقق بي حتى جئت بهذه الحيلة »

قالت : « علمت من ابي ان عمرا امر بنهب منازل العلويين والقبض على من فيها من الرجال ، واخبرني ايضا ان الفغاري كان من المقبوض عليهم ، وقد علمت انك مقيم بمنزله فجئت اليك بهذه الحيلة . فالحمد لله على سلامتك »

فشعر سعيد بفضل خولة واحس بميل اليها ولكن حبه لقطام مازال غالبا على قلبه لا يترك له سبيلا الى سواها

وبعد التأمل برهة قال : « وما العمل الآن ؟ اني عازم على الكوفة عاجلا ، ولكنني لا ادري ما الم بعدد الله ولا ما يؤول اليه حاله . هل علمت شيئا عنه ؟ » فتشاورت خولة عن الجواب باصلاح ثوبها كأنها تحاول اخفاء ما تعلمه ،

فظنها لم تسمع كلامه فأعاد السؤال . فقالت : « لا يعلم المستقبل الا الله ؟ » فلم يعجبه جوابها فقال : « افصحى عما تعلمينه ياخولة » قالت : « ان عمرا امر بقتل العلويين في فجر هذا الصباح ولكن من يدري ماذا حدث ؟ »

فاختلج قلب سعيد ابما اختلاج ، وشعر كأنما صب عليه الماء الساخن ، وقال : « ماذا تقولين ؟ هل يقتلون عبد الله ؟ كيف يكون هذا ؟ » فقالت : « دع الامر لله واعذرني . انى لا استطيع البقاء معك طويلا لئلا يظن ابى لغيابى فلا انجو من القتل . واما انت فحياتك في خطر عظيم ، فاخرج من القسطنطينية حالا »

فابتدرها قائلاً : « كيف أخرج وأترك عبد الله يقتل ؟ انه ابن عمى وأعز من اخى . كيف العمل ؟ »

فقالت له : « لآخرة في الواقع ، فان شرا واحدا هون من شرين ، والوقت ضيق لا مجال فيه للسعى أو البحث عن سبيل لاتقاذ حياة عبد الله اذا قدر الله قتله ، ونحن الآن في منتصف الليل وسينفذ القتل عند الفجر » . قالت ذلك وسكنت هنيهة

فابتدرها سعيد قائلاً : « ما قولك في أن اقابل ابن العاص ، وأنبئه بعزم بعض الناس على قتله واحذره من الوقوع في الخطر ؟ الا تظنينه يغفو عن قتل عبد الله مكافأة على هذا الجميل ؟ »

قالت : « ربما عفا ، ولكنه لدهائه ولقسوته قديظن في قولك السوء فيقبض عليك ويؤجل قتل عبد الله حتى ١٧ رمضان ، فإذا لم يظهر صدقك قتلكما معا . فهل أنت واثق من مجيء المتآمر على قتل عمرو في ميعاده ، حتى لاتكون النتيجة زك بنفسك في التهلكة ؟ اترك هذا الامر لى فلغلي اهتدى الى وسيلة اذهب بها الى عمرو واطلمه على هذا السر . فإذا رأى أن يقبض على فليفعل والله الامر . اما انت فسر الى الكوفة قبل فوات الفرصة لأن الوقت قصير ، ووقتي الآن اقصر منه . والان دعنى اذهب الى أبى قبل أن يعلم بغيابى فيعرف مل مسعاى ، واقصد انت الى الدير الذى كنا فيه في اول هذا الليل وسأتيك بالخبر . ولاتنس أن تنزع النقاب والازار وادخل بثوب الرجال فرييس الدير يعرفك فلا يسىء بك الظن » . وانصرفت مسرعة الى منزلها وهو يود لو أنها لاتفارقه



مشى سعيد وهو مضطرب قلق لايدرى الى أين يسير فاذا به قد خرج من القسطنطينية ووصل الى حافة ترعة ظنها لأول وهلة نهر النيل . ثم رأى ضيقها

فعلم انها خليج . وكان الظلام حالكا فوقف برهة يفكر في عبد الله ومصره والخطر المحقق به فازداد قلنا

وظل واقفا مشردا ذهن وحانت منه التفاتة فرأى بالقرب منه نخلة فجلس على حجر تحتها وأسند ظهره اليها وجعل يسبح في بحر خياله ومصابئه . فتذكر قطام وعودها وما من له معها من الاحداث . وكان الجو هادئا لا يكدره الا نقيق الضفادع على شاطئ الخليج فتشام وخيل اليه ان عبد الله قد مات ، فرجف وجلا وقال في نفسه : « ابقى انا هنا وعبد الله في الخطر الشديد ؟ ماذا تكون حاله مع عمرو ؟ . ابقته ام يستبقيه ؟ وماذا اعمل : هل ابقى في الفسطاط لانقذه من القتل ؟ ام اسير الى الكوفة لانقاذ الامام علي ؟ ولكن ما الفائدة من بقائي هنا وابن العاص قد امر بقتل عبد الله في صباح الغد ؟ لا بد من المبادرة الى انقاذه » . قال ذلك ومشى محاذيا الخليج جنوبا وهو ينظر اليه ، فتذكر انه خليج امير المؤمنين وقد حفره عمرو بن العاص لما فتح مصر منذ عشرين عاما لارسال المؤونة فيه الى الحجاز تلافيا لما كانوا يخافونه من القحط هناك . وكان قد حفره باشارة الخليفة عمر بن الخطاب لما كانت الخلافة في المدينة ، فتذكر حال الاسلام في ذلك العهد وما كان فيه من اجتماع الكلمة وما فتحته سيوف المسلمين من البلاد الواسعة في الشام ومصر والعراق في بضع عشرة سنة . وكيف تحولت تلك السيوف بعد مقتل الخليفة عثمان الى الفتنة فانقسم المسلمون فيما بينهم ، وشغلوا عن تثبيت ملكهم بالحروب الاهلية حتى أصبحوا يقتلون خلفاءهم ويتهمونهم تهما ما أنزل الله بها من سلطان . وأبج ما آلت اليه الفتنة تأمرهم على قتل امرائهم ، ولا سيما الامام علي وهو ابن عم الرسول وخيرة قواد المسلمين ، ولا ذنب له غير العمل على تأييد الكتاب . فلما تصور تلك الحال انقبضت نفسه وحزن حتى كادت تخنقه العبرات وهو لا يدري أيكي عبد الله ام يبكي الاسلام ام يبكي الامام عليا ام يبكي سوء حظه الذي قاده الى الفسطاط فوقع فيما هو فيه ؟

وكانما امتزته هزة من الحماسة فوقف على الخليج وجعل يناجيهِ قائلا « ايها الخليج ، اليس امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، هو الذي اشار بحفر ذلك قل لي بمائك الذي يجري فيك هل علم ابن الخطاب لما اذن بذلك أن دولة الاسلام سيقضى عليها بالانقسام حتى يحمل عامتهم على خيلتهم ليقتلوه . ثم يختلفوا على الخلافة ليقسموها ، ثم يختصموا على اقتسامها ؟ . هل خطر لابن العاص يوم نزل وادى النيل وحاصر هذا الحصن المنيع حصن بابل انه سيجرد سيفه على المسلمين ويقتل ابن ابي بكر حرقا بالنار ، ثم ينقم على ابن عم الرسول فيخرج الخلافة من يده بالخييلة ؟ . اين هو عمر جامع كلمة المسلمين ؟ . كانت المدينة مقر الخلافة في عهده فاصبحت منقسمة على نفسها يدعيها غير اهلهما . . رباه ما هذه الحال ؟ ياليتنى مت قبل هذا . هنيئا لك يا ابا رحاب ان عظامك ساكنة في التراب وروحك تنتظر لقاء ربها يوم الحساب

اما انا فاني تائه بعدك تتنازعني عوامل لا ادري مصدرها ولا أعلم مصيرها ،
البقى هنا لأرى مصير اخي عبد الله ؟ ام اسرع الى الكوفة لأبني الامام بما
تأمروا به عليه ؟ . ولكن ما الفائدة من بقائي ؟ هل يعفو عمرو عن عبد الله
فيبقى حيا فاراه ؟ ما اظنه يفعل ، وما اظن اننى استطيع الدفاع عنه ؟ »

ثم تذكر خولة فقال : « آه ياخولة ، يخيل الى انك ملك كريم ارسلك الله
لترشدني الى سواء السبيل . . فهل يتم السعد على يدك وتنقذين عبد الله
من القتل ؟ »

وفيما هو في ذلك يغشى الهوينى على ضفة الخليج ، سمع لفظا وحركة عن
بعد ، فأجفل وتقدم نحو الصوت وهو يحرق نظره ، فعلم انه بجانب فم
الخليج عند اتصاله بالنيل ، ورأى في النيل سفنا كبيرة وسمع دويا عميقا كان
لصوصا يهمسون فيما بينهم ويحاذرون ان يسمعه أحد . وكان ما زال
لباس النساء فخاف ان يراه أحد فينكشف امره ، فانزوى وراء جيزة كبيرة
يقرب الشاطئ ، ثم تسلق أحد فروعها واختبأ بين الأغصان والاوراق مبالغة
في الحذر حتى اذا استقر على غصن غليظ جعل يتفرس فيما يراه فاذا هناك
بضعة وعشرون رجلا يحيطون بأخرين في مثل عددهم كأنهم أسرى مغلولون
يساقون الى قارب كبير ، وسمع بعضهم يقول : « الى اين أنتم ذاهبون بنا في
هذا البحر ؟ لعلكم تريدون اغراقنا ؟ » . فشجبه أحدهم قائلا : « وما علينا
اذا اغرقناكم ، وأنتم عصبة شريرة تأمرتم على نصره رجل قتل الخليفة عثمان ؟ »
فصاح آخر : « أهذه اعمال ابن العاص ، يقتل الرجال غيلة ؟ . اما كفاه انه
طلب الخلافة لصاحبه بالحيله حتى يقتل نساء الحق غرقا ؟ . . اما تخافون
الله ؟ الا تخافون يوم القيامة ؟ »

فصاح به آخر وقال : « لاتخف اننا امرنا بنقلكم الى جزيرة الروضة بتقور
فيها اياما » . ثم علت الضوضاء فعلم سعيد انهم انصار على الذين قبض
عليهم تلك الليلة في عين شمس . فظن ان ابن العاص اشار بقتلهم غرقا في
النيل ، فارتعدت فرائصه حتى كاد ان يقع ، وحدثته نفسه ان ينزل لنصرتهم ،
ولكن الخوف غلب عليه فانه أعزل وهم عصبة كبيرة بالسلاح ، فلبث برهة
كانها سنة وهو يرتجف غضبا ، وتسمع لعله يسمع صوت عبد الله او يراه
فلم يسمع شيئا ولم ير شيئا ، وما هي الا دقائق معدودة حتى احتوى القارب
القوم ثم أداروا الدفة وهو ينظر اليهم وقد ندم على سكوته وود لو انه أظهر
نفسه لعله يستطيع نجدة أولئك المظلومين او يقتل . ثم تذكر ان في بقائه حيا
نفعا للامام على ، فمكث برهة كأنه في حلم يتردد بين الندم والأسف حتى
توارت السفينة عن بصره فأيقن ان عبد الله ملاق حثفه وسيذهب ومن معه
طعاما للأسماك

واشتد اضطراب سعيد وهو اجسه ، ثم بكى ونزل من الشجرة وهو يندب

عبد الله ويوبخ نفسه لضعفه وتردده قائلاً : « أرى عبد الله يساق الى القتل ولا انصره ؟ يا للجن ويا للخيانة ! . وكيف أتخلى عن رجل ذهب ضحية حبه لي ، فانه لولاي لم يات الى هنا ولا رأى ما رآه من الشقاء . . فما الفائدة من حياتي الآن اني لا أستحق البقاء ولا بد من ان القى نفسي في هذا الماء لعلى القى صديقي عبد الله » . قال ذلك وهم بأن يلقي نفسه في النيل فشعر بقوة خفية أوقفته بغتة ، وفكر في الامام على وما يحدث به من الخطر فقال : « اذا قتل نفسي فانما أقتل عليا معي . نعم اقتله لأنى اذا لم اذهب الى الكوفة وأنبئه بعزم ابن ملجم ذهب قتيلاً بذلك السيف المسموم . آه ياخولة أين وعدك بانقاذ عبد الله ؟ . . ولكن ما ذنبك وانت لاتعلمين انهم سيسرعون في القائه في اليم قبل الصباح . . هذا دهاء ابن العاص ومكره . ولكنه سوف ينال جزاءه من أولئك المتأمرين . . ليتنى أنبأته بالمؤامرة وجعلتها فدية لعبد الله . ولكن قضى الامر ولا خيرة في الواقع »

ثم سكت وجعل ينظر فيما حوله وقلبه لا يطاوعه على التطلع الى اتجاه القارب . فأراد أن يعود الى المكان الذي أتى منه فرأى شبحاً مسرعاً نحوه فخاف وتهاى للقتال اذ رآه يقترب منه . فلما اقترب الشبح اذا هو امرأة فعجب لقدومها وحدها في ذلك الليل ولكنه ما كاد يتفرس في قيافتها حتى علم انها خولة ، فخفق قلبه وغلب الحجل عليه لما رآه من جراتها وأقدامها ليلاً وهي فتاة لا يحملها على القدوم إلا السعى في انقاذ عبد الله . فحدثته نفسه أن يختبئ خجلاً ، ولكن المفاجأة أذهلته فدنا منها وناداه . فلما عرفت صوته صاحت : « أين عبد الله ؟ »

فأراد أن يجيبها فاخنتق صوته وسبقته العبرات

فدنت منه وهي تقول : « سعيد ، هل رأيت أحدا جاء الى هنا ؟ وما الذي جاء بك انت ؟ »

قال : « رأيت الشرطة يحملون الاسرى في قارب »

قالت : « وأين هم ؟ أين ذهبوا بهم ؟ . . هل رأيت عبد الله معهم ؟ »

قال : « أخذوهم في القارب ، ولا أدري اذا كان عبد الله معهم أم لا ، لأنى لم أسمع صوته ولا رأيته »

- فدقت بدا بيد وقالت : « لابد من أن يكون معهم . آه ما الحيلة الآن ؟ ما كنت أظن ابن العاص يعجل بقتلهم هكذا . . ولماذا لم تحاول الدفاع عنهم ؟ »

فقال والاعتذار والحجل يتنازعانه : « لم أكن أعلم ان عبد الله معهم ، وهبى انى علمت فكيف استطيع انقاذه وأنا اعزل وهم جماعة مسلحون ؟ »

فصمت خولة ثم قالت : « حسنا فعلت فابقيت على نفسك لاتنقاد الامام على ، لان حياته موكولة الى الاسراع في رجوعك »

فقال بلهفة : « وانت ما الذى جاء بك وكيف عرفت أمرهم ؟ »
 قالت : « علمت ذلك من عبدنا ، وكنت قد أعددت حيلة أدخل بها على عمرو
 لاستمهله في أمر عبد الله باطلاعه على سر المؤامرة ، فعلمت أنه بعث بهم هذه
 الليلة لالتقاءهم في النيل حذر الفتنة أن هو قتلهم جهارا ، وهو يعلم كثرة
 انصارهم في القسطنطينية . فأسرعت لعلنى استطيع انقاذ عبد الله ولكن لم
 يسعنى القدر . . . وأسفاه عليك يا عبد الله . آه من أهل الظلم . ان ابن العاص
 غلب عليا بحيلته فأخرج الخلافة من يده لسذاجة أبى موسى الأشعري ولكنه
 لن ينجو بنفسه من غائلة المؤامرة »

ثم دنت من سعيد وقالت : « ان فقد عبد الله مصيبة علينا لأنه شوم
 وسيذهب ضحية مروءته ، على اننا نرجو أن نعتاض عن فقدته بانقاذ الامام على
 من خطر القتل ، فاركب الى الكوفة على عجل وتعم المهمة التي حثت من أجلها .
 فها قد عرفت اسم المتآمر ، وأنه سار الى الكوفة فأسرع ما استطعت قبل
 فوات الفرصة »

وكان سعيد مع شدة تأثره بما رآه تلك الليلة من الاحوال لا يفكر عما أبدته
 خولة من الحمية والشجاعة فازداد حبا لها وأعجابا بشهامتها ، وفيما هو يفكر
 في ذلك ابتدرته قائلة : « اعلم يا سعيد اني خرجت الليلة من بيت أبى مجازفة
 بحياتي وأنا أحسبك في الدير كما تواعدنا ، وكنت عازمة على الذهاب لأحكك
 على السفر ثم أعود الى أبى وأنتحل له سببا لخروجه . أما وقد التقينا هنا
 فاني استودعك الله وأرجو منك أن تسرع في الذهاب ، وسارسل اليك جلا مع
 عبدنا ليسير في ركابك الى الكوفة »

فأعجب سعيد بحسن تدبيرها ورباطة جأشها ، ورأى نفسه ضعيفا بين
 يديها ولم يستطع مخالفتها فقال : « سيتبين لنا الحيط الأبيض من الحيط
 الأسود قريبا وها أنذا ذاهب الى جبل المقطم ، فهل يوافيني عبدك وجلك
 الى هناك ؟ »

قالت : « انه سيوافيك حتما . سر بحراسة الله واحذر ان تفوتك
 الفرصة . ان ابن ملجم قد سبقك الى هناك . . هل علمت ذلك ؟ » . ومدت
 يدها اليه فصافحها ويده ترتعش وقد نسي نفسه لحظة ، ثم ما هو
 بسبيله ، فأخذ يودعها وقلبه يضطرب حبا لها ، واعتزم . وبين
 نفسه اذا نجح في مهمته ان يطلق لقلبه العنان في التقرب من خوله . قال لها :
 « أمل ان تذكريني وتدعى لى بالتوفيق »

قالت : « اذهب فاني معك بقلبي وان لم أبرح القسطنطينية ، وأرجو أن نلتقى
 يوم ينجو الامام من أيدي الظالمين وينال ما يستحقه من الاستئثار بالخلافة »
 ثم ودعته وألحت عليه في الاسراع في السفر ، وأكدت له أن عبدنا سيلاقيه
 ومعه الجمل وراء المقطم ، ثم توجهت الى القسطنطينية

فلما تركته وحده أدار وجهه الى النبل حيث كان القارب ، وتأوه وتحسر
 قال : « أستودعك الله ايها الصديق الحميم ، أستودعك الله ايها الأخ الحبيب ،
 هيئاً لك ذهابك ضحية في سبيل نصره أمير المؤمنين فستلقى ربك باسمي
 مفترخاً ، فادع لي أن ألقاه أنا أيضاً منتصراً على القوم الظالمين »
 قال ذلك واتجه نحو جبل المقطم ، ولم يدره حتى أنبلج الصبح ، فلقى
 العبد قد سبقه الى هناك ومعه الجمل وسائر معدات السفر



فلنتركه سائفاً ظعنه يطوى البید طياً ، ولنعد الى قطام بالكوفة وما كان
 من دهائها ومكرها بعد سفره . وكانت قد أرسلت عبيدها الى الفسطاط
 للوشاية بسعيد وعبد الله ثم خلبت بلبابة فقالت لها : « لقد تمت لنا الحيلة في
 قتل هذين الغرورين فانهما مقتولان لا محالة . وبقي علينا أن نعلم من هو
 المتآمر على قتل علي ، فاذا عرفناه شجعناه على قتله وساعدناه »

فضحكت لبابة وقالت : « انه لأمر سهل ، فان عبيدك ريحان ماهر ذاهية
 اخذ عن سيدته ، ولا نظنه الا عائداً اليها بالخبر اليقين ، وأما تحريض المتآمر
 على القتل فهو أسهل ، ولا سيما اذا رأى هذا الوجه الجميل فيفتن به لا محالة ،
 فما عليك حينئذ الا أن تعديه بالزواج وتجعل قتل علي مهراً لك فما قولك؟ »

فقالت قطام : « بورك فيك يا خالة ، اما وعده بالزواج فأمر سهل علي .
 ولا نظننا نحتاج في البحث عن ذلك الرجل الى منسقة فانه اذا دنا الميعاد
 المضروب لا يد قادم الى الكوفة ، واذا جاءها فلا بد من أن يطلع أحداً من أهلي
 على عزمه لعلهم اننا على دعوته . فاذا عرفناه هان علي كل عسر »

ولم يهل شهر رمضان حتى تحدث أهل الكوفة بتوقع حادث فظيع يخشى
 منه على حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وكان الناس يتداولون الخبر
 همساً ولا يعبرونه اهتماماً لعدم نهوض الدليل من شاهد أو عارف للقاتل
 المنتظر ، فضلاً عن علم العقلاء أن امثال تلك الاتعاعات تروج في مثل ما كان
 فيه الامام علي يومئذ . ولم يفت الامام وحاشيته شيء من تلك الاتعاعة ،
 ولكنهم لم يعاؤا بها وأخذها أهله وأصحابه على انها اشاعات ينشرها ذوو
 الأغراض . هذا مع العلم أنك قلما ترى حادثاً فظيعاً لم تتقدمه الاشاعات
 المنبئة بقرب وقوعه . ومهما يكن من الامر فان أهل الكوفة كانوا يتحدثون
 ببلاء يتوقعون نزوله بأمر المؤمنين ولكن اكثرهم كانوا لا يكثرثون

ومضت ايام من شهر رمضان ، فتلفت قطام لعرف من هو المتآمر على
 قتل الامام على بتنصره أو تحرضه . فلما اقترب نصف الشهر ولم يأت
 أحد ولا سمعت بأحد ظنبت المتآمرين قد رجعوا عن عزيمتهم تهيباً وورفاً .

واستبطلات عودة عبدها ريجان ، وكانت في انتظار قدومه لعلها تسمع منه شيئاً عن المؤامرة ، ولكي تسأله عما آلت اليه حال سعيد وعبد الله . على أنها لم تكن تشك في وقوعهما في الفخ

ولما كان الخامس عشر من رمضان وقطام في بيتها ومعها لبابة سمعتا قرعاً بالباب ، فنهضت لبابة فسمعت جمجمة جل عرفت أنه جل ريجان فأسرعت إلى الباب ففتحته ودخل ريجان فقبل يدها وهو ما زال بلباس السفر ودخل توا إلى غرفة سيدته . فلما رآته ابتسمت له ابتسامة عوضت عليه كل شقائه . فتقدم لتقبل يدها وهو مشرق الوجه إشارة إلى نجاح مسعاه . فقالت : « اني أقرأ آيات البشر على وجهك رغم سواده ، فاقصص علي تفصيل ما قمت به من آيات الدهاء والمهارة »

فقال وهو ينفذ الغبار عن لحيته ووجهه : « ركبت إلى الفسطاط فوصلت إليها يوم الخميس قبل وصول سعيد وعبد الله بيوم ، فسرت توا إلى الأمير عمرو بن العاص ، وقصصت عليه خبر القاديين وان في الفسطاط جماعة من أنصار على يجتمعون في عين شمس كل جمعة . فأمر رئيس شرطته أن يتأهب لمداهمتهم ، وخفت أن يهاجوا المكان قبل وصول سعيد وعبد الله ولكنهما وقعا في الفخ ، فانهما ذهبا إلى الجمعية وقبضت الشرطة عليهما جميعا ، ولكنني لم أر سعيدا في جملة الأسرى »

فابتدرته قطام قائلة : « هل قبضوا على كثير من الأنصار ؟ »

قال : « قبضوا على نحو عشرين وعبد الله معهم »

قالت : « وسعيد ؟ »

قال : « لم أره ، وأظنه تأخر عن الاجتماع فلم يشهده فنجنا بنفسه »

قالت : « وماذا فعلوا بالأسرى ؟ »

قال : « ساقوهم إلى النيل وأماتوهم غرقا في الليلة التي قبضوا عليهم فيها »

فاشرق وجه قطام ، ثم انقبض بفتة ولبابة تنظر إليها كأنها تلتذ بالتأمل في ملاحظها . فلما رأتها انقبضت همت بها وقالت : « ما بالك ، ما الذي كدرك ؟ »

قالت : « ان سعيدا ما زال جيا فأخاف أن يعرقل مساعينا »

قالت لبابة : « لا خوف منه لأنه كما تعلمين سلس القياد تنطلي عليه الحيلة بسهولة . وأما عبد الله رفيقه فقد رايت فيه دهاء وكرا فالحمد لله على نجائنا منه »

قالت : « صدقت ولكن سر المؤامرة عند سعيد فأخاف ان يجيء ويطلع عليا عليها فيجتاط لنفسه فيذهب سعيانا هباء متثورا »

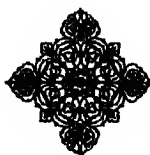
فأطرقت لبابة برهة ثم التفتت الى ريحان وقالت : « هل عرفت الرجل المتأمر على قتل علي ؟ »

قال : « علمت أنه من بنى مراد واسمه عبد الرحمن بن ملجم »
فبغت لبابة وصاحت : « ابن ملجم . . ؟ لقد هان الأمر »
قالت قطام : « وهل تعرفينه ؟ »

قالت : « أعرفه جيدا ، وهو جرىء لا يصلح لمثل هذا العمل أحد سواه ، فاذا كان هو الرجل فقد نلنا المرام فانه مغرم بالحسان ويتفانى في سبيل مرضاتهن » . ثم أدنت فمها من أذن قطام وقالت : « لا شك أنه اذا رآك وقع في هوك » . ثم التفتت قطام الى ريحان وقالت : « هل رأيته قبل مجيئك ؟ »
قال : « لا ولكننى سمعت أنه قدم الكوفة يوم وصولى الى الفسطاط . وقد كنت اظنه زاركم لأن حزبنا فى الفسطاط يعلمون كرهنا لعلى ، وسعينا فى اخراج الأمر من يده »

فقالت : « بالله سر الى عشتري وابحث عن الرجل واثنتى به ، وحاذران يدرك أنك قادم من قبلى »

وخرج ريحان فتبعته لبابة الى حديقة البيت فوقفت به فى ظل نخلة وهمست فى أذنه قائلة : « اذا لقيت الرجل فقل له ان خالتك لبابة هنا وهى تريد أن تراك لأمر ذى شأن ، واستعجله واذكر له انى مقيمة بمنزل سيدتك قطام ، واحتل فى حديثك لتفهمه ما عليه سيدتك من الحسن والجمال وانى قد امهد له للزواج بها . وانت فطن لبق تحسن تصريف الأمور » . فهرول ريحان ذاهبا



لبابة وابن ملجم

عادت لبابة الى قطام مسرورة مبتسمة تقول : « لا ريب أننا فرنا بمرامنا، وقلبي يحدثني بأن عليا سيقتل ويشفى غليلنا منه على أهون سبيل »
 اما قطام فظلت صامتة مقطبة الحاجبين كأنها تفكر في أمر ذي بال . فسألتها لبابة : « ما بالك يا قطام ما الذي حدث فأوجب هذا الاهتمام ؟ »
 قالت : « انى خائفة يا خالة »
 قالت : « ما الذى يخيفك ؟ »

قالت : « انى خائفة من سعيد فقد قال لنا ريحان انهم لم يقبضوا عليه فى الفسطاط ، ولا يبعد أنه عرف اسم ابن ملجم والميعاد المضروب لتنفيذ المؤامرة ، فيأتى بالخبر الى على ، وتذهب مساعينا وجهدنا عبثا »
 فقالت لبابة : « وما الراى يا بنية ؟ »

فقلت : « لا بد لنا من تدبير الأمر بالحكمة وتدارك الأمر قبل وقوعه »
 قالت : « فما الراى ؟ »

قالت : « أرى أن نسعى فى منعه من الذهاب الى على . فقد يتراءى له أن يسير اليه حال وصوله الى الكوفة »

قالت : « هذا سهل فانا نبعث ريحان لينتظره فى مكان خارج الكوفة لا بد له من المرور فيه ، فاما أن يؤخره عن دخول الكوفة واما أن يدعو الينا بحجة اشتياقك الشديد اليه ! ولا أشك انه اذا سمع بشوقك نسي كل شيء وطار اليك . ومتى جاءنا استبقيناه اما طائعا أو مكرها . ما قولك ؟ »

قالت : « أرى رأيك ، ولكننا الآن فى الخامس عشر من رمضان ولم يبق الا يوم واحد على الموعد المضروب ، فلا بد من المبادرة بارسال من يوقفه خارج الكوفة او يستقدمه الينا ، وريحان خرج فى مهمة الى اهلى وقد يبطىء »

قالت لبابة : « دعى هذا الى . ها انذا ذاهبة فى أثر ريحان فأبعثه الى خارج الكوفة ، وأبحث عن ابن ملجم بنفسى وذلك سهل على لائى أعرفه » .
 قالت ذلك وتبرقعت وتناولت عكاظها وخرجت تمشو عدو الشباب

وخلت قطام الى نفسها وتأملت ما هى فيه من الصعاب وراجعت فى مخيلتها ما دبرته من الحيل فى سبيل قتل الامام على ، فرات أنها أحسنت

بارسال ريحان ، فانه اذا نجح في تأخير سعيد ، ونجحت لبابة في استقدام ابن ملجم ، وفازت هي باغرائه وتشجيعه ، نالت بغيتهما وانتقمت لابيها وأخيها . ولما تصور وقوع ذلك ارتاحت نفسها ، وهون عليها حبها للانتقام وما جبلت عليه من المكر ، تأنيب الضمير على جريمتها . ثم عملت ذهنها فوجدت أنه ينقصها احتياط واحد لا بد من تداركه . وذلك ان سعيدا قد لا يلتقى بريحان لاختلاف في الطريق أو ربما التقى به ولم يصغ الى قوله وقصد فوراً الى الامام على فاطمه على سر المؤامرة . فلما تصور ذلك خفق قلبها واضطربت ونهضت وجعلت تمشي في غرفتها ذهابا وايابا وتخرج منها الى الغرفة الأخرى وهي تترقب عودة لبابة ليتداولوا في الأمر معا ونذمت على ارسالها قبل أن تفتن لهذا الأمر

وزاد قلقها فخرجت الى حديقة النخيل وكانت الشمس قد تكبدت السماء وانحصرت الظلال واتفق وقوع شهر رمضان في تلك السنة (٤٠ هـ) في ابان الشتاء لانه يبدأ في العاشر من يناير وكان اليوم صحوا يحسن الخروج فيه الى الحلاء في ساعة الظهر للاستدفاء بأشعة الشمس . فمشيت بين النخيل مبتعدة عن السور الذي يلي الطريق الى ما يلي البحيرة وهي لا تكثر لها حولها من صرير أو تغريد أو تقيق فقد انصرفت الى ادراك غرضها



قضت في الحديقة ساعة وحدها حتى ملت الشمس وحرارتها وهمت بان تدخل المنزل ، وفيما هي عائدة سمعت اناسا يتكلمون عن بعد ، فوقفت على أرومة نخلة كانوا قد قطعوها للوقود منذ عامين والتفتت فرأت شبحين لم تلبث ان عرفت انهما لبابة وعبد الرحمن بن ملجم . فانصرفت الى اتقان الحيلة فدخلت البيت على عجل وكانت قد رأت لبابة تكلم عبد الرحمن وتشير اليها باصبعها . وعمدت الى النقاب فأرسلته على رأسها وجلست على وسادة تعودت الجلوس عليها اذا استقبلت الزائرين من الغرباء . ولبثت صامتة تنتظر دخول لبابة ، وما لبثت أن سمعت صوت ضحكها قبل سماع خفق نعالها . وبعد قليل دخلت لبابة وحدها فاستقبلتها قطام استقبال المشتاق ودعتهما الى الجلوس

فقالت : « لا اجلس قبل ان ادعو رفيقا لي صحبتك لزيارتك »

فجالت : « أهلا بك وبرفاقك اجمعين . فليدخل »

فصاحت لبابة للحال : « أدخل يا عبد الرحمن »

وما أتمت كلامها حتى وقف في الباب رجل طويل القامة نحيف البدن ، خفيف اللحية اشمطها ، براق العينين يكاد الشرر يتطاير منهما ، وعليه

العباءة والقفطان والعمامة وآثار السفر لا تزال بادية على نوائىء وجهه ، وبخاصة انفه فقد كان شديد الاحرار . فخلع عبد الرحمن نعله خارج الباب وحى ودخل . فردت قطام التحية وهى تم بالوقوف وأشارت اليه ان يجلس ، فجلس الأربعماء مستعرضاً سيفه على فخذه ، فبداته قطام بالكلام قائلة : « الى من ينتسب ضيفنا ؟ »

قال : « الى بنى مراد »

قالت : « والنعم والبركة »

فقالت لبابة : « انه عبد الرحمن بن ملجم ، من القراء المشهورين ، قرا على معاذ بن جبل . ولعلك سمعت به »

قالت : « انت تعلمين حالى يا خالة ، بل انت ادرى منى بما هو شغلى الشاغل من الأحزان والمصائب ، فلم يبق لى عقل اذكر به شيئاً غير مقتل اخى وأبى . والسعى فى الانتقام من أهل العدوان .. » قالت ذلك واجهشت بالبكاء

وكان عبد الرحمن ينظر اليها من طرف خفى ، فافتتن بها ايما افتتان ، وكان قد سمع بجمالها فود ان يحوزها . ولما لقيته لبابة لم تذكر له شيئاً مما عرفوه عن عزمه ، ولكنها قالت له : « علمت بمجيئك الكوفة ، واعلم انك تحب الحسان ، وعندى واحدة منهن ليس اجل منها فى العراق » . فجا ولما رآها تحقق ما سمعه فشغف بها ، ومن عجيب امر هذا الرجل انه ما عظم ما ندب نفسه له من قتل أمير المؤمنين وقرب اليوم الموقوت لم يشغل ذلك عن مغازلة الحسان . فلما سمع كلام قطام ورأى بكاءها قال : « وما الذى يحزن مولاتى ؟ الا استطيع تفريج كربتها ؟ »

فقالت لبابة : « لا يخفى عليك ما اصابها على اثر وقعة النهروان ، فقد قتل فيها أبوها وأخوها رحهما الله ، وهى لا تفتأ تذكر تلك المصيبة وذلك اليوم وتبكي ذينك الفقيدين ، ولكننى أريد أن اشغلها عن هذه الأحزان بكفاء لها »

ففهم عبد الرحمن تلميحتها فقال : « انى والله اكون اسعد الناس حظاً اذا اذا تم لى ذلك الذى أتمناه »

فتجاهلت قطام وقالت : « وما الذى تتمناه يا سيدى ؟ »

قال : « لقد جئتكم خاطباً وانت فى أحزائك عساى ان استطيع تفريجها ، فاطلبى منى ما تشائين مما تقر به عينك »

فتنهدت قطام ثم قالت : « انى لأعجب من تسرعك فى الطلب ونحن لم نلتق قبل الآن »

فقطعت لبابة كلامها قائلة : « نعم انكما لم تلتقيا قبل الآن . ولكن لبابة

تعر فكما جيدا ، واذا اذنت مولاتى بكلمة فأقول انكما انما خلقتما لتعيشا معا
فسكتت قطام فقال ابن ملجم : « ومع ذلك فاطلبى ما تشائين يكن لك »
فطلت قطام ساكنة برهة تتظاهر بالحياء والتردد اتماما للحيلة . ثم التفتت
الى لبابة قائلة : « انى استحيى أن أقول » . فقالت لبابة : « انا
أقول . اجعل مهرها ثلاثة آلاف دينار وعيدا وقينة »
ولم تتم لبابة قولها حتى صاحت قطام : « لا . لا . لا يرضينى ذلك ولا مطعم
لى فى المال كما تعلمين »

فقال عبد الرحمن : « اطلبى ما تريدن »
فتظاهرت بالتمنع وصبرت هنيهة كأنها تستخف بما اقترحه عليها من
الطلب ثم قالت : « ان مهرى هو قتل على بن أبى طالب قاتل أبى وأخى »
فابتسم عبد الرحمن ، ونظر اليها ويده على قبضة سيفه وقال : « ان ذلك
وما قالته هذه الخالة سيكونان لك . ثلاثة آلاف دينار وقتل ابن أبى طالب
والعبد والقينة . فان مثلك لا يعز فى سبيل نيلها مهر . واعلمى انى انما
جئت الكوفة لهذه الغاية . أنظرى الى هذا السيف (وجرده فلمع نصله
لمعانا شديدا) انى اشتريته بألف وسممته بألف لاقتل عليا بن أبى طالب »
فابتسمت وقالت : « ولكننى أرجوان يكون ذلك عاجلا لثلاثت فوج الفرصة »
فقال : « ان موعدنا قريب لم يبق منه الا يوم وليلة سأقتله فى صباح يوم
١٧ من هذا الشهر أى بعد غد ، فاطمئنى »
قالت : « وكيف عينت اليوم والساعة ، الا يستحسن أن يكون ذلك غدا »
قال : « ان لذلك سببا سأذكره لك فيما بعد ، فاننى مقيد بهذا الموعد فى
انفاذ مهمتى »

فسكتت قطام وهى تتجاهل ما علمته من أمر المؤامرة
وكانت لبابة عالمة بغياب ريحان ، ولا بد من زاد يتناوله الضيف ، فدعت
عندها فى اثناء قدومها فجاء وأعد لهم طعاما تناولوه
وما صدقت قطام أن خلت بلبابة لحظة حتى اشارت اليها انها تحب الانفراد
بها الأمر ذى بال ، فاحتالت هذه على عبد الرحمن حتى استأذن فى الخروج الى
السوق فى حاجة له ، وخلت قطام بلبابة



وكانت لبابة قد أدركت ريحان فى الطريق قبل عثوره على عبد الرحمن ،
فأمرته ان يسرع ليلقى سعيذا خارج الكوفة وزودته بنصائحها لتضمن نجاح
مهمته . فسار أولا الى ساحة كبيرة فى وسط الكوفة تجتمع فيها القوافل .
من كل حذب وصوب . ولابد للقدام الى الكوفة من المرور بها أو النزول فيها

وسمع عن بعد هدير الجمال وصهيل الخيل فلما وصل رأى الساحة غاصة بالدواب وبينها الناس في هرج بين راكب وراجل ، ورأى الاحمال ملقاة هنا وهناك ، فجعل يتفرس في الوجوه لعله يرى سعيدا أو احدا من خدمه ، فلم ير احدا . وذهب الى بيت سعيد يسأل عنه فقيل له انه لم يأت بعد فخرج الى الطريق خارج الكوفة وهو ينظر الى الافق لعله يرى هجانا أو فارسا . فمشى ساعتين ولم ير احدا حتى وصل الى شجرة كبيرة يستظل بها المسافرون للراحة قبل دخولهم المدينة ولا بد لمن كان قادما من الشام أو مصر من المرور بها . فجلس هناك وعيناه تحدقان في الافق وذهنه يعمل لفنق حيلة تنطلي على سعيد فيستبقيه أو يسير به الى بيت قطام . فغربت الشمس ولم يأت احد ، وكان القمر بدرًا فلم تكد تغرب الشمس حتى طلع البدر وانعكست الظلال من الشرق نحو الغرب . فاتكأ على حجر وعيناه ترقبان

وقضى أوائل الليل على هذه الحال ، وكلما رأى شبحا ظنه سعيدا ، فاشتد به البزد وهو يصبر ويتجلد . وحدثته نفسه أن يرجع ف يخاف أن يجيء سعيد في غيابه فيذهب سعيه هباء منثورا ، فالتف بثوبه حتى اذا انتصف الليل غلبه النعاس وهو يتجلد ولكنه لم يقو على سلطان النوم فأغمضت عيناه ، ولكنه لم ينم طويلا حتى استيقظ بغتة أسفا على رقاذه خشية أن يكون سعيدا قد مر ولم يره . فوقف يفكر في الامر ، حتى دنا الصباح فلم يأت احد فخيّل اليه أن سعيدا مر في أثناء نومه ، فعاد الى الكوفة بأسرع من لمح البصر يبحث في ساحتها وسار الى بيت سعيد فتحقق انه لم يأت بعد فرجع الى الشجرة وقضى معظم النهار تحتها أو حولها كأنه على جمر الغضا . وهو مع ذلك صابر لا يتذمر ولا يتضجر حتى غابت الشمس وظلّ القمر . فقال في نفسه : « لم يبق الا هذه الليلة فاذا لم يصل الرجل لم يبق ثمة حاجة الى بقاى اذ يكون قد نفذ السهم وقتل على » . وتمنى الا يأتى سعيد فيتخلص هو من الاحتيال عليه لأخذه الى قطام ، وقد قرب أجل الموعد المضروب

ولما دنا العشاء رأى جليّن قادمين عن بعد وعليهما راكبان فاختلج قلبه واصطكت ركبتاه وزاده البرد ارتعاشا . فلما اقتريا وقف وتقدم نحوهما فاذا هما سعيد وبلال عبد خولة ، وكانا ملثمين فعرف سعيدا من قيافته وأما بلال فلم يعرفه

وكان سعيد قد قضى مسافة الطريق في قلق على الامام ، فما كاد يطل على الكوفة حتى قرر أن يسير توا الى منزل على . فلما وصل الى الشجرة ترجل وترجل عبده ليستريحا قليلا ثم يستأنفان المسير . فاستقبله ريحان وسلم عليه ، فلما رآه سعيد استأنس به ورد السلام وقال له : « ما الذى جاء بك يا ريحان ؟ »

قال : « ان سيدتى مضطربة البال لطول غيابك » . وأشار اليه ان يدنو

منه ليث اليه ما أوّمن عليه من السر . فدنا منه على انفراد وشغل بلال بأمر الجميلين

فقال ريحان : « ان سيدتي قطام تقرئك السلام وتذكر لك انك اطلت الغيبة عليها أنت وسيدى عبد الله »

فتنهذ سعيد وقال : « لاتذكر عبد الله فقد تركناه في مصر » . قال ذلك وهو لا يريد ان يطارح العبد الحديث في مثل هذه الشؤون أنفة وترفعاً ، فسكت ريحان وهو يعلم ان عبد الله أغرق في حلة من أغرقهم عمرو بن العاص في التيل ، ثم قال : « وماذا أقول الآن لسيدتي اقدم أنت للمبيت عندنا الليلة ، فانها قد أعدت لك كل شيء »

فلبث سعيد برهة تتنازعه عوامل الشوق الى قطام وبواعث العجلة الى على ، فرأى ان ميعاد القتل قد دنا فاذا بات الليلة في منزل قطام فانه قد يتمتع برؤيتها ويشنف سماعه بحلو حديثها ولكنه يصبح في الفد وقد قتل على ، لان المجرم لا يتأخر عن فعلته الى ما بعد صباح السابع عشر من الشهر . ثم بدا له ان يزورها للتو زيارة قصيرة ثم ينطلق من بعدها الى على ، والتفت الى بلال فرآه مهتما باعداد العشاء فناداه باسمه فأقبل . فلما سمع ريحان اسم بلال اختلج قلبه في صدره ، وتفرد فيه فعرف انه عبد خولة ، وكان قد لقيه في الفسطاط وباح له بمهمته ولم يكن يخطر له يومئذ انه سيأتي مع سعيد . فارتبك في أمره وحاول اخفاء نفسه لئلا يراه بلال فيعرفه . أما بلال فلما دعاه سعيد أسرع الى ما بين يديه فقال سعيد : « الا ترى ان نسير توا الى الكوفة ؟ » قال بلال : « الامر لمولاي ولكنني أعددت لك الطعام . الا ترى ان تتناول منه شيئاً ونستريح هنيهة ثم نذهب الى حيث نشاء »

قال : « ولكن بعض اهلى بعثوا يدعونني الى العشاء »

والتفت بلال الى ناحية وقوف ريحان فرآه قد تقهقر الى جذع الشجرة يستتر بظلها فلم يره ، وكان سعيد في اثناء الطريق قد استأنس ببلال واطلمه على خبر المؤامرة . فاغتنم بلال فرصة انفراده به وقال : « الا ترى يا مولاي ان تم مهمتنا التي جئنا لها من الفسطاط قبل كل شيء فاني اخاف ان يكون ذهابنا الى اهلك سبباً في التأخير ، وهم ربما لا يعلمون الغرض الذي يدعوننا الى الاسراع ، وربما حدث لك بعد العشاء ما يعيقك . اما اذا أنفدنا مهمتنا واطلعنا الامام على ماخباة له اهل البغي فاننا نمضي بعدئذ حيث نشاء ، هذا ما اراد والامر لك . على اني قد أعددت لك الطعام الآن فاذا شئت اكلت ثم فعلت ما يترأى لك »

فارتاح سعيد لهذا الرأي ، ولكنه اراد ان يخبر بلالا باطلاع ريحان على سر الامر فقال له : « ولا اخفي عليك ان هذا الهمام (وأشار الى ريحان) من حلة الساعين فيما نحن فيه »

فقال بلال : « اذن فهو يعدرنا اذا رأى اننا نؤثر ان نذهب اولا الى منزل الإمام . هلم الآن الى طعامك وأنا أهيب الجمليين معه ثم نذهب جميعا بعد انتهائك من الطعام »



سار بلال الى حيث جلس ريحان وراء الشجرة . وكان هذا يحاول ان يختبئ ، وحدثته نفسه بأن يرجع الى الكوفة لئلا يراه بلال فينكشف امره . ولكنه ما لبث ان رأى بلالا قد دنا منه وكلمه فأجابه بصوت منخفض وهو يتشاكل باصلاح نعليه وشملته لا يرفع نظره اليه . فاستغرب بلال ذلك فتقدم للميه ، قال : « تعال يا أخى تقعد ريثما يتناول مولاي طعامه ثم نسير معا »

فسكت ريحان ولم يجب ، وتظاهر بأنه اضاع عصاه وأخذ في البحث عنها وبلال يتبعه ويعجب لما يبدو منه . فلما بعد ريحان عن ظل الشجرة بانته سحنته فتذكر بلال انه يعرفه ، ثم فطن الى انه هو الذى أسر اليه خبر مهمته فى الفسطاط . فأدرك ان فى الامر خديعة ، ولا سيما لما رآه يحاول اخفاء وجهه . فتقدم اليه وأمسكه بيده وقال : « تعال يا صاحبي تقعد هنا الى ان ينهض مولانا فنسير معا » . فاجذب ريحان يده من يده مغضبا ، فتبعه بلال وهو يقول : « يظهر أنك لم تعرفنى يا صاح الا تذكر أننا التقينا فى الفسطاط » فصاح به ريحان : « واى فسطاط ؟ . انى لا اعرف الفسطاط ولا اعرفك ؛ وليتنى لم اعرفك فقد اضععت عصاى بسببك »

فسمع سعيد صياحه وكان قد جلس الى الطعام ، فنظر اليهما من بعيد ، فرآهما يتحاوران فوق ونادى عبد قطام قائلا : « لاتغضب يا ريحان ان بلالا على دعوتنا »

فسكت ريحان ، واضطر الى أن يجيء لئلا يثير الشبهة ، ولكنه بقى مصرا على انه لم يذهب الى مصر

فلما دنا من سعيد له : « ما بالك تخاصم بلالا ؟ »

قال : « انى لا اخاصمه ، ولكننى اضععت عصاى ، وفيما أنا أبحث عنها جاءنى بحديث لا أعرف له أصلا »

قال سعيد : « وما ذلك يا بلال ؟ وما الذى قلته له ؟ »

قال : « لم أقل له شيئا ، ولكننى تذكرت انى رأيته فى الفسطاط منذ بضعة عشر يوما ، فأنكر وتنصل »

فقال سعيد : « يحق له أن ينكر عليك ذلك لأنه لم يبرح الكوفة منذ أشهر »

فاعاد بلال النظر الى ريحان وتفرس فى وجهه وقال : « بل انا على يقين مما

أقول ، وقد لقيته هناك غير مرة وقد يعذر على انكاره ، لأن وجوده هناك عاد بشر العواقب على سيدى ورفيقه »

فبغت سعيد وكانت اللقمة في فمه فلم يعد يستطيع ازديادها ، وكاد يغص بريقه ووقف للحال وقال : « ماذا تقول يا بلال ؟ اظنك تخطئ في القول . ان ربحان عبد قظام بنت شحنة ، وقد تركته هنا يوم سفرى وأنا واثق بأنه لم يبرح الكوفة ، فلعلك رأيت في الفسطاط عبدا آخر يشبهه »

فلما سمع ربحان اعتذار سعيد عنه اطمأن وقال بهدوء : « يلوح لى انه خطأ ، لأن البشر يتشابهون ، ولكنه سأل الله جاءني مغضبا وأنا أبحث عن عصاى فأغاظنى فأسمعته كلاما مؤلما وها أنذا الآن أطلب منه غفران ما فرط منى » . والتفت الى بلال وابتسم حتى يجيز عليه حيلته

أما بلال فكان في أثناء ذلك يتفرس في ربحان فلا يزداد إلا اعتقادا بأنه هو الرجل الذى قابله في الفسطاط وحدث أن نادته سيدته خولة وهو يكلمه فذهب اليها وقص عليها خبره كما مر ، فلما آنس منه ذلك اللين ظل يتفرس فيه وهو صامت . فلما أتم ربحان كلامه قال له بلال : « ربما كنت مخطئا في ظنى ولكنى أسألك سؤالا أرجو أن تجيبنى عليه »

قال : « قل ما بدالك »

قال : « الا تذكر انك رأيت وجهى ؟ »

فتفرس فيه ربحان وهو يظنه يقول ذلك بسذاجة ، ثم قال : « لا يا أخى ، لا اذكر انى رأيتك قبل الآن »

فقال : « يا للعجب ولكنى واثق بانى لقيتك وكلمتك ، فرايت هذا الوجه وسمعت هذا الصوت . فالظاهر انك زرت الفسطاط قبل اليوم »

قال : « نعم انى صرت اليها منذ بضعة أعوام »

فضحك بلال وقال : « ولكنك قلت الآن انك لاتعرفها »

فارتبك ربحان وعمد الى المغالطة فقال : « دعنا من هذه الاوهام ولا تشغلنا بما لا طائل تحته »

وكان سعيد في أثناء ذلك يسمع كلامهما مصدقا ما يسمع

أما بلال فخاف أن يؤدى سكوته الى ذهاب سعيد مع ربحان . فقال لربحان : « اذا كان الحال كما تقول فعليك أن تساعدنا في انفاذ المهمة التى جئنا من أجلها . دعنا نذهب الى منزل الامام الآن »

قال : « انى أشد رغبة منك في هذا ، ولكن الليل طويل ، ويحسن ان يذهب مولاى معى الى سيدتى قظام لتراه ثم يذهب بعد ذلك حيث يشاء »

قال : « فليذهب هو معك وأذهب أنا الى منزل الامام أقوم مقامه »

فضاق ربحان به ذرعا وظهرت البغته على وجهه فلم ير له مخرجا من المازق

غير التظاهر بالغضب فقال : « ولماذا هذا اللف والدوران ؟ هل بلغ بك الامر الى اساءة الظن بنا ونحن أولى منك بهذا الامر ؟ »
فتحقق بلال حينئذ ان ظنه في محله فقال : « نعم انى اسىء الظن وبسيدتك ايضا »

فخاف ريحان أن يفضى الامر الى افتضاح حاله فتظاهر بالغضب وقال لسعيد : « انى لأعجب من قحة هذا الاحق ومن سكوت مولاي عليه ، وها انذا اترككما فافعلما ما تشاءان »

قال ذلك واخذ يعدو نحو الكوفة ، وظل سعيد وبلال صامتين كان على راسيهما الطير



مضى ريحان وهما ينظران اليه لا يفوهان بكلمة . فلما تواري قال سعيد : « ما الذى أراه يا بلال ؟ انى أحسب نفسى في حلم ؟ ما الذى تقوله عن هذا العبد ، أوائق أنت أنك رأيته في الفسطاط ؟ »

قال : « نعم بامولاي ، وقد زادنى ايمانا بذلك تناقض اقواله ، وغضبه بعد ما اقترحته عليك »

قال سعيد : « ما الذى يدعوه الى انكار ذهابه الى الفسطاط ؟ »

قال : « يدعوه الى هذا ما ارتكبه من الخيانة هناك . تبأ له من نذل يا ليتنى قضيت عليه ، قبل فراره . انه وشى بكمارالى عمرو بن العاص »

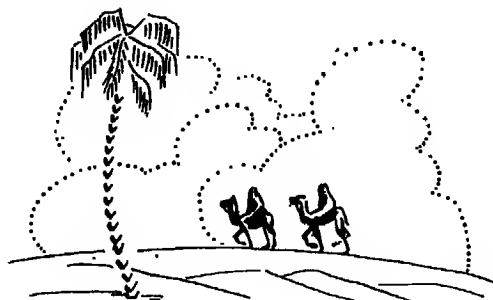
فبغت سعيد وبدات الغشاوة تنحسر عن عينيه ، وتذكر ما قصته عليه خولة من حديث عبدها مع عبد آخر وشى بهما الى ابن العاص . وانه استغرب يومئذ أن يصل خبر قدومهما الى الفسطاط وهما انما قدما اليها سرا لا يعلم بهما احد غير قطام ولبابة وهذا العبد . فوضح له ان ريحان لا يأتى الفسطاط الا بايعاز من سيدته ، وتذكر ما كان يراه في ابن عمه عبد الله من الشك في قول قطام ، فندم على استسلامه لها وعض على سبائته ، وظل واقفا لا يبدى حراكا ، وبلال واقف بين يديه صامتا . ثم التفت الى بلال وقال : « ألا بارك الله في خولة ، انها والله ملاك بعثه الله من السماء لكشف تلك الخديعة . ولكن واسفاه ، فقد نفذت حيلة قطام في عبد الله فمات غريقا . على انها لن تنفذ في الامام على بعد ان افتضح امرها قبل دنو الاجل المضروب والحمد لله » . ثم صمت وتذكر حبه القديم لقطام وما أكثبه لها من الاخلاص ، وما بذلته هي من الخداع ، فعظم الامر عليه وأمسست عواطفه تتراوح بين ما انغرس في قلبه من الحب وبين ما انكشف له من المكر السىء ، فلم يملك نفسه عن البكاء . وخجل ان يذرف الدمع امام بلال ، فأوما اليه ان يهوى الجمال ، وأدار وجهه الى

الغلاء ومشى وأطلق لنفسه عنان البكاء . ولاسيما وقد تمثل له ما اصاب ابن عمه عبد الله من البلاء بسببه ، فجعل يندب ويندب سوء حظه ويقول :

« تبا لك يا قطام . اصحيح انك بعثت عبدك اللوشاية بنا الى ابن العاص ليقتلنا ؟ اين عهدك واين وعودك ؟ . اين ما سمعته منك من التوبة عن قتل الامام علي ؟ . وا اسفاه عليك يا اخي عبد الله ، انك ذهبت ضحية غفلتي ودهاء هذه المرأة . آه يا قطام ! . . هل يخلق الله قلوبا تقسو الى هذا الحد ؟ (قتل الانسان ما اكفره) . اتسمحين بقتل محب تفاني في سبيل هواك ؟ وتقتلين بريئا حملته غيرته على السعي في انقاذ امير المؤمنين ؟ . وتسعين بعد ذلك الى قتل امير المؤمنين وانت تنظرين . آه لو كان امامي متسع من الوقت لاسرعت الى الانتقام منك قبل الذهاب الى الامام »

ثم وقف فجأة وانتبه كأنه افاق من رقاد ، ونظر الى ما حوله فاذا هو في ليلة مقمرة صفا هواؤها ورق نسيما ، فجعل يعيد في ذهنه ما مر به من الاهوال ، وتذكر حبه قطام فغلب عليه طيب عنصره فقال في نفسه : « لعل قطام بريئة ، وربما كان ريحان صادقا وبلال مخطئا » . فسرى عنه بعض الشيء ، ثم أدرك انه انما يخادع نفسه في التماس العذر لها ، وقد تثبت عليها الجريمة . ثم التفت فرأى بلالا قد اعد الجمليين وهم بالقدوم اليه فمسح دموعه وتقدم اليه وهو يقول في نفسه : « لقد نفذت حيلها في اخي عبد الله ، ولكنها لن تنفذ في الامام علي . ها انذا ذاهب الآن الى بيته وساستعين به على قتلها وقتل العجوز المحتالة وذلك العبد الشرير »

وركب جله ، وركب بلال في أثره ، وسارا يقصدان منزل الامام علي



مقتل الإمام علي وأحراق قاتله

كان منزل الإمام علي بجانب المسجد ، وبينهما باب السدة يدخل منه الإمام للصلاة . وكان للمنزل دار واسعة فيها المقاعد والمجالس لمن يفد عليه من الولاة وأهل الأمصار . وبجانب المنزل ساحة واسعة فيها مرابط للخيول ومواقف للجماعات لاتبرح غاصصة بجماهير الناس من دعاة الإمام ، وكلهم متفانون في نصرته معترفون بإمامته لا يرون أحدا أولى بها منه . وكان أهل العراق وغيرهم قد اجتمعوا تلك السنة على نصرته فباعه منهم أربعون الفاعلى الموت . ولعله كان ينتظر اتمام صيام رمضان ليحمل على معاوية بذلك الجند العظيم ، غير أنه بمثل ما مر به من حيلة « صفين » وغيرها بعد أن رأى ما قاده الى ذلك من تأييد سلطان معاوية

وكان الدأخل الى مجلس الإمام حينذاك يرى رؤساء القبائل يترددون عليه ولا حديث لهم الا ما كان من اجتماع كلمتهم وما يتوقعونه من النصر ويرجونه من احقاق الحق وكبح جاح الطامعين الى الخلافة من غير أهل البيت

ذلك كان شأن الكوفة في شهر الصيام المبارك . اما على فلم يكن يشغله عن فروض الصوم والصلاة شاغل ، فاذا دنت الساعة وأذن المؤذنون تهافت الناس في صحن المسجد الى سماع ما عهدوا في كلامه من البلاغة وشدة الفيرة على الاسلام والمسلمين . فاذا صعد المنبر رايت الناس سكوتا كان على رؤوسهم الطير اعجابا بما يسمعون من درر الفاظه ويديع حكمه وبلغ آياته ، وهم يعجبون لما قام في انفس المعارضين ممن تخلفوا عن بيعته ، وبخاصة الخوارج الذين اختلفوا لمعاداته اسبابا ما انزل الله بها من سلطان

وكان اذا فرغ من صلاة المغرب ذهب الى داره ومعه جماعة من الامراء يتقدمهم اولاده وسائر اهله ، فيجلسون الى الاسمطة للافطار ، والقراء يتلون القرآن في جوانب الدار ، والكل يسبحون ويهللون حتى يخليل اليك انهم في يوم الحساب ، وما فيهم من يخاف عقابا لما يعتقدونه من صدق دعوتهم وقيامهم بالحق المبين

وكان الإمام اذا فرغ الناس من الافطار وجلسوا للاحاديث اقلهم كلاما . وربما مكث ساعة او بضع ساعات لا ينس بينت شفة كأنه يفكر في أمر ذي بال ، وربما كان تفكيره فيما يخشاه من سفك الدماء اذا حمل بزجاله على

الشام ، ونفوس الناس ودیعة عنده یضن بها ان تذهب ضیاعا ولا یضن بها اصحابها فی سبیل نصرته

كان ذلك شأنه فی اواسط رمضان ، وعلى الاخص فی ليلة السابع عشر منه ، وهی الليلة التي بات فیها ابن ملجم یترقب انبلج الصبح ليقوم بفعلته للفتك بابن ابی طالب . وفی تلك الليلة أسرع سعید وعبدہ الى دار الامام لينبشاه بعزم ذلك الرجل

وما ظنك بابن ملجم فی تلك الليلة . . هل تظنه بات رابط الجأش مطمئن القلب ؟ . وهل عرف الكرى جفناه ؟ . لا نخاله قضی ليلته الا قلقا مضطربا لهول ماعول عليه من الامر الجسيم . وای شيء أقطع من ان يسفك دما بريئا ، دم رجل جمع الى كرامة الخلافة شرف النسب ، وأحرز من العلم ما لم يحرزہ أحد من المسلمين فی ذلك العهد ؟ . اليس هو ابن عم الرسول وخليفته وصهره ؟ . اليس هو ذلك العالم التقى العادل المخلص الغيور على الاسلام والمسلمين ؟ لا نخال ابن ملجم قضی ليلته الا على شوك القتاد لم یغمض له جفن وقد طال ليله . وربما حدثته نفسه بالرجوع عن عزمه فيغلب عليه عهده لرفاقه ووعدہ خطيبته قطام بنت شحنة ، ولا سيما بعد ان اشركت معه فی الجرم ابن عم لها يقال له « وردان » حرضته على الاخذ بناصره . ولقى هو رجلا من « أشجع » يقال له « شبيب » استحثه على ركوب ذلك المركب الحسن معه . فتواعد الثلاثة على العمل معا فی فجر الغد . فهل تظنه بعد تلك العهود والمواثيق یصغى لنداء ضميره ان كان له ضمير ؟

على انك لو سبرت غور قلبه فی تلك الليلة وهو ینقلب على فراشه وسيفه المسموم الى جنبه ، لرايته یناجی نفسه ويدفع تبكيت ضميره بحجة انه عمد الى ذلك دفعا لفتنة كان سببها تنازع على ومعاوية وعمرو على السلطة ، والفتنة شر من القتل

وكان نفس الامام على حدثته فی هذا الاوان بخطر يتوقعه على حياته وكان مذ اهل رمضان یتعشى ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند جعفر ، لا یزید على ثلاث لقمات ، ثم یقول : « أحب ان یأتینی امر الله وأنا خعیص » . وأما فی تلك الليلة فانهم تعشوا جميعا فی منزل الامام وهو جالس لا یأكل الا قليلا واولاده بین یدیه ینظرون اليه ویمعجون لحاله

وكان حاجبه « قنبر » رجلا كهلا من اهل الحبشة اذا نام الامام بات هو عند بابہ ، وكان فی تلك الليلة أشد الجميع قلقا لم یتناول الافطار ولا هذا له بال . أكل الناس وهو جالس القرفصاء عند الباب وعیناه شاخصتان الى

الفضاء يتوقع قدوم قادم وهو لا يكلم احدا ولا انتبه احد لحاله ، ولو سألهم احدهم عن علة قلقه لباح له بما اطلع عليه من الاسرار التي ظن انه كشفها وهم يبحثون عنها عثا

وبعد صلاة العشاء ارفض المجلس ، فذهب كل الى منزله وناموا جميعا الا « قنبر » فانه لبث ساهرا وقد اخذ الاضطراب والقلق منه مأخذا عظيما . وما سهر للحراسة وهو يعلم ان الامام لا يريد حرسا يحرسه . ولكنه جلس يفكر في امر اذهب رقاذه والقاء في حيرة

[]

اما سعيد وبلال فانهما دخلا الكوفة واسرعا الى دار الامام على وكان القمر بدرا او حوالى البدر ، وقد تكبد السماء فأرسل اشعته على ابنية الكوفة ، وقد انقشعت الغيوم عن السماء على غير المعتاد في ذلك الفصل . فلما دخلا الكوفة راياها ساكنة هادئة لانقضاء ميقات السهر . وقد نام الناس وهم يتوقعون أذان السحر لينهضوا للسحور

سار سعيد وهو يستحث جله وقلبه يرقص طربا لنجاح مهمته لاطلاعه على حيلة قطام قبل فوات الوقت . فلما دنا من المسجد ترجل وقال لبلال : « خذ الجمل وسر به الى ساحة الكوفة وامكث حتى آتيك »

فعمل بما امره به ، ومشى سعيد وركبته تصطكان من الاضطراب ، حتى اقبل على دار الامام فرأى السكون مخيما عليها ، فوقف يفكر كيف يدخل الدار واهلها نيام ، فتردد خشية أن يظن به النسوء لقدومه في ذلك الوقت، ولم يكن قد دخل الدار من قبل ولا لقي الامام عليا لقاء أهل الولاء . ولكنه لم ير بدا من الاقدام قمشي مترددا حتى دنا من باب الدار فرأى شبحا جالسا لم يعرفه ، ولكنه سر به لعلنه انه لا يبعد أن يكون من رجال علي فيسهل رسالته ، على انه لم يكذب قبل عليه حتى وقف الشبح بغتة واعترضه سائلا : « من القادم ؟ »

فقال سعيد وهو يتلجلج : « انى رسول الى الامام على ، ومن انت ؟ »

قال : « انا قنبر حاجب الامام . ومن انت ؟ »

قال : « انى سعيد الاموى ، اريد مقابلة الامام على »

فصاح قنبر قائلا : « انت سعيد ؟ تعال معى »

فسر سعيد لاجابة طلبه توا ، ومشى في اثر قنبر حتى دخلا باب الدار وتوجها الى حجرة فيها مصباح ، فدخلى قنبر أولا وابقظ رجلين نائمين هناك ، فلم يكذب يدخل الحجرة حتى اطبق عليه الرجلان وقيدا يديه ورجليه

وهو واقف لا يبدى حراكا من هول المفاجأة ، ولما عاد اليه وعيه قال لقنبر :
« ماذا تصنعون بى ، وما هذه الوقاحة ؟ أين الامام على ؟ »

فاجابه قائلا : « لقد خاب فالك ايها الوغد اللثيم ، انك لن ترى عليا حتى ترى الموت قبله »

فكاد سعيد ان يجن ، ولم يدرك الباعث على عملهم فصاح بهم : « ما لكم تفعلون بى هكذا وقد جئتمكم فى رسالة لانتقد الامام عليا من القتل »
قال قنبر : « اخسأ ولا تكثر الكلام ، انك اموى وما اتيت الا لتقتال الامام ، ولكن دون وصولك اليه خرط القتاد »

فقال : « وكيف أريد به شرا ، وقد جئت لانتقاذه من القتل ؟ »
فأمسك قنبر بتلابيبه ويدها ترتعدان اضطرابا وقال له « انتظن حيلتك تنطلى علينا ؟ أما كفى بنى أمية ما فعلوه ، حتى جئتم تقتلون الامام فى عقر داره ؟ »

فبهت سعيد ، وجد الدم فى عروقه وقال : « ما بالكم تسيئون بى الظن وانتم لم تروا منى خيرا ولا شرا ، ألا تسمعون قولى ثم ترون رأيكم ؟ »
فقال قنبر : « وماذا تريدنا ان نسمع وانت اموى اخذ عليك العهد لتقتل الامام على مهرا لفتاة خطبتها »

فذهل سعيد واراد ان يدفع عن نفسه فرأى قنبر قد اخرج من جيبه رقادفعا اليه وجذبه بيده الى المصباح وقال له : « اقرا اليس هذا خطك ؟ »
فلما وقع نظر سعيد على الرق رآه العهد الذى كتبه لقطام يوم خطبها ، فأيقن ان قطام هى التى أرسلت هذا الرق الى دار الامام لتوقع به . ورآها لفرط حيلتها قد حثت اسمها عنه ووضعت اسم فتاة اخرى فصمت ولم يجب . فاتخذ قنبر سكوته حجة عليه فصاح : « اجب ، قل . اليس هذا خطك ؟ »

فارتبك سعيد فى امره ولكنه ظل يؤمل ان ينجو اتكالا على النبأ الذى جاء به عن مكيدة ابن ملجم فأجاب : « هب انه خطي ولكننى جئتمكم بخبر المكيدة التى كادها بعض الناس للامام . الا تمهلونى ريثما أخبركم »
فلم يصبر قنبر على سماع كلامه وصاح قائلا : « واى مكيدة اعظم من ان تتعهد بقتل الامام . امكث هنا الليلة ، وسنرى فى امرك غدا » . قال هذا وأوصد الباب دونه

فلما خلا سعيد الى نفسه فى تلك الحجرة ظن نفسه فى حلم ، وجعل يفكر فى امره وفى دهاء قطام . وكيف أوصلت هذه الورقة الى هذا الرجل لاتمام حيلتها : ولكنه لم يكتث لما عامله به قنبر ، وصمم على مقابلة الامام فى الصباح الباكر واطلاعه على سر الأمر

وأما وصول الصك الى قنبر ، فانما سعت فيه لبابة المحتالة بإشارة قطام بعد ان تداولتا في اتمام الحيلة مخافة أن يطلع سعيد على مكيدتها قبل وصوله اليها ، او ان يذهب الى منزل الامام قبل المرور بها . فأخرجت ذلك العهد وغيرت فيه الفاظا رفعت بها الشبهة عنها ، وكلفت لبابة فأتت منزل قنبر في صباح ذلك اليوم بدعوى انها دلالة تبيع الأقمشة وألقت الى قنبر حديثا لفقته بحيث تلبس الشبهة سعيدا فلا يصفى احد الى كلامه . وكان انصار على قد سمعوا اشاعة اعتزام بعض الناس قتل الامام . فلما رأى قنبر الصك وعلم ان صاحبه أموى ربي في بيت عثمان وقام بنصرته لم يبق عنده شك في اجرامه ، ولا سيما بعد ان رآه قادما قدوم اللص بعد منتصف الليل . فلما قبض عليه حبسه الى صباح الفد ليرى الامام رايه فيه بعد ان يعود من صلاة السحر

أما بلال فانه مكث بالجملين في ساحة الكوفة ينتظر قدوم سعيد . فلما أبطأ عليه قلق ، ولكنه لم يظن سوءا لما يعلمه من سلامة نية سعيد . وفيما هو جالس يفكر في ذلك سمع اذان السحر وكان يعلم ان عليا يخرج في تلك الساعة للصلاة فهرول الى المسجد فدخله فرأى فيه قبة مضروبة علم انها قبة بعض النساء ممن يجلسن لسماع الصلاة . فوقف يجيل نظرة لعله يرى سعيدا . فاذا برجال دخلوا وفيهم رجل ملثم وقد التفت بعباءة يخفي تحتها سيفا فتفرس فيه عن بعد فرأى على جبهته أثر السجود فعلم انه ابن ملجم ، فاربعدت فرائضه وحدثته نفسه ان يصبح به ولكنه خاف على نفسه ولم يكن يشك في أن عليا قد اطلع على سر المؤامرة فلا يلبث ان يدخل المسجد ويأمر بالقبض عليه ، ثم رأى ابن ملجم وقد توجه ومعه رجل آخر هو شبيب نحو تلك القبة فكلما من فيها ، وكان فيها قطام بنت شحنة ، ثم مشى ابن ملجم حتى اقترب من السدة وبلال يرقبه ويتوقع سماع الامر بالقبض عليه حالما يدخل على

وبعد هنية ، فتح باب السدة ، ودخل منها الامام على وهو يمشی الهوينى وعمامته على راسه تغطي صلته وكان ذا بطن ولحية كثيرة الشعر ضخمة العضل وفي يده درة (سوط) كان يوقظ بها الناس للصلاة كل صباح ، فمشى الامام وابن النباح المؤذن بين يديه والحسن ابنه خلفه . فلما دخل أنصت الناس وبلال ينظر اليه موقنا أنه سينادي من يقبض على ابن ملجم ، فاذا به قد وقف ونادى : « ايها الناس الصلاة الصلاة »

والتفت بلال الى ابن ملجم فاذا هو لا يزال واقفا لكن رفيقه (شبيب) تقدم مسرعا وسيفه بيده فضرب به الامام عليا فأصاب عضادة الباب وسقط السيف من يده فأجفل بلال وهم بأن يسرع الى على يخبره بأمر ابن ملجم

فاذا بابن ملجم قد اقبل على على بأسرع من لمح البصر والسيف يبرق في يده وضربه على جبهته وهو يقول : « الحكم لله يا على وليس لك ولاصحابك »

فصاح على : « فزت ورب الكعبة » . ثم قال : « لا يفوتنكم الرجل » فتكاثف الناس على ابن ملجم فدفعهم بسيفه ففرجوا عنه فهجم عليه المفيرة ابن شعبة وتلقاه بقطيفة فرماها عليه واحتمله وضرب به الارض وقعد على صدره وانتزع السيف منه . واما شبيب فافلت في الغلس وخرج من المسجد هاربا

وانفرط عقد الناس ونظر بلال الى القبة المضروبة فرأى امرأة خرجت من تحتها واذا هى قطام اسرعت وفرت في غمار الناس . فذهل لما رآه ولكنه أمل الا تكون الضربة قاضية ، ثم تذكر أن سيف ابن ملجم مسموم فيئس من نجاة الامام ، وجعل يتفرس في الناس لعله يرى سعيذا فلم يقف له على اثر فتقدم فيمن تقدم الى السدة حيث كان على مطروحا فسمعه يقول : « احضروا الرجل » . فأحضروه اليه

فقال له على : « اى عدو الله . . الم أحسن اليك ؟ ! »

قال : « بلى »

فقال : « فما حلك على هذا ؟ »

قال : « شحذت سيفى هذا اربعين صباحا ، وسألت الله ان يقتل به شر خلقه » !

فقال على : « لا أراك الا مقتولا به ، ولا أراك الا شر خلق الله » . ثم التفت الى من حوله . وقال : « النفس بالنفس ان هلكت فاقتلوه كما قتلنى ، وان بقيت رأيت فيه رأى . يا بنى عبد المطلب لا الفيتكم تخوضون دماء المسلمين تقولون قد قتل أمير المؤمنين . الا لا يقتل الا قاتلى . انظر يا حسن ان انا مت من ضربنى هذه فاضربه ضربة بضربة ، ولا تمثلن بالرجل فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور) . »

قال ذلك وابن ملجم موثق ، وكانت أم كلثوم ابنة على واقفة بجانب أبيها فقالت لابن ملجم : « اى عدو الله لا بأس على أبى والله محزونك » . فالتفت اليها ابن ملجم وقال : « على من تبكين ؟ والله ان سيفى اشتريته بألف وسميته بألف ولو كانت هذه الضربة بأهل مصر ما بقى منهم أحد »

ثم تقدم جندب بن عبد الله الى على وقال : « ان فقدناك ولا نفقدك فنبايع الحسن »

قال على : « ما آمركم ولا انهاكم ، انتم أبصر »

ولما علم الناس أن سيف ابن ملجم مسموم ايقنوا دنو أجل الامام ، وخافوا الفتنة فيمن يخلفه ، ولكنهم بعد أن سأله جندب بن عبد الله ما سألهم عن يخلفه فأجابوه بأنه لا يأمرهم ولا ينهاهم ، لم يسعهم الا تأجيل النظر في الأمر ، ثم نقلوه الى داره ماشيا وهو يتوكأ على ولديه الحسن والحسين والدم يقشى جبينه وكان السم لم يفعل فعله بعد

أما ابن ملجم فكان لثامه قد وقع عن وجهه وبانت سخنته ، وكان اسمر ابلج في جبهته اثر السجود ؛ فساقوه الى السجن ولو لم يوص أمير المؤمنين بالألا يقتلوه الا اذا مات هو من الضربة لقطعوه أربا أربا . ولكنهم اضطروا امتثالاً لأمر الامام الى أن يسوقوه الى السجن ريثما تظهر عاقبة الجرح

أما بلال فسار في اثر الجمع الى منزل الامام على ، وقد راعه ما رآه من هول تلك الساعة ، ومما زاد في أسفه وضاعف حزنه ما أصابه من الفشل بحبوط مسعاه ومسعى سيده ، لأنه انما كان يود نجاة الامام من تلك المؤامرة اكراما لمولاه خولة ، ولا سيما بعد أن صحب سعيدا وسمع منه في أثناء الطريق ما حدثه به جده ابو رحاب عن فضائل الامام على التي ينذر اجتماعها في رجل

على أنه كان مع ذلك في شافل عما كان فيه الناس من الاضطراب والاهتمام والانهماك بأمر الامام وجرحه بالتفكير في سعيد وحاله ، وقد عجب لفشله في مهمته مع علمه أنه انما أسرع بعد طول مشقة السفر وسعى في منتصف الليل لينبئ القوم بالخطر الداهم ، فمشى وهو يتفرس في الناس واحدا واحدا لعله يرى سعيدا بينهم فلم يقف له على أثر . على أنه ما لبث أن رأى الجمع دخلوا المنزل وأدخلوا الامام محمولا الى حجرته ، وتفرق الباقيون في صحن الدار جماعات ، وحديثهم يدور حول الحادث ، وما عسى أن يصيب الاسلام بعده مما لم يكن في الحسبان ، وما فيهم الا من يقول : « ليتنى أشفى غليلي بضرب عنق ذلك الباغي »

وفيما هو ينظر في وجوه الناس لعله يرى سعيدا ، اذا بقنبر حاجب الامام على قد خرج من الغرفة والدمع ملء عينيه وهو يقول : « اقتلوني أيها المسلمون ، اقتلوني اني جنيت على أمير المؤمنين »

فنهض الناس والتفوا عليه وهم لا يفقهون حديثه ، فاذا به قد اخترق الجمع ومشى الى الحجرة التي كان سعيد مسجوناً فيها وفتحها وأخرج سعيدا منها وهو ما زال في اغلاله

ولم يكن سعيد قد درى بما أصاب الامام عليا . فلما أخرجه قنبر على تلك الصورة ورأى الجمع متكاثفا ظنهم يريدون به سوءا . فقال : « أروني الامام عليا فاطلعه على دسياسة دبرها له أهل البغي ولا تظنوا بي سوءا »

فعلا صوت قنبر بالبكاء وقال : « لقد نفذ السهم يا سعيد ، انهم فتكوا بأمر المؤمنين »

فصاح سعيد : « ومن فتك به ؟ »

قال : « ابن ملجم ، ضربه ضربة قاتلة قتله الله »

فصاح سعيد : « ويلاه ، واحسرتاه ، كيف يقتله وقد قطعت البراري والقفار سعيا في تلافى المصاب ؟ . ألم أقل لك ذلك يا قنبر ؟ »

قال : « انك لم تفصح القتال ، وقد نفذ السهم وجرح الإهم جرحا لا اظنه ينجو منه ، ولو أصغيت اليك لنجا أمير المؤمنين ، لقد وقع القضاء ولا مرد لقضاء الله »

ولم يتم قنبر كلامه حتى بكى سعيد وبكى الناس ، وعلا الصياح وهم مبهوتين ينظرون الى قنبر يتوقعون منه تفصيلا لما أجمل

أما هو فاشتغل بحل قيود سعيد وهو يقول : « قاتل الله تلك المعجوز المختالة ، انها أغرتني بك وقد نجحت حيلتها »

فهم سعيد بأن يقص حديثه على اثر ما رأى من رغبة القوم في ذلك فاذا ببعض الناس يقول : « ان الامام في عافية وهو يحدث ابنه الحسن والحسين »

فتحول الجمع الى غرفته كالسيل ، وانتهاز لبال تلك الفرصة فدنا من سعيد كأنه يستفهمه سبب فشله في مهمته . فقص عليه الخبر باختصار ، ووعده باتمام الحديث في فرصة أخرى . وسار مع الجمع الى غرفة الامام فلم يستطع الدخول اليها لتزاحم الأقدام . فأطل من نافذة فرأى عليا متوسدا فراشه وهو معصوب الرأس بمنديل يغطي الجرح وكانوا قد غسلوا الدم عن وجهه ولكن آثاره بقيت ظاهرة على لحيته

فتذكر سعيدا جده ابا رحاب وما أوصاه به فأجهش بالبكاء ، على أنه ما لبث أن سمع عليا يتكلم فوجه اليه انتباهه فرآه يخاطب ولديه الحسن والحسين وهما جاثيان عند رأسه وقد اشتد بهما الحزن ، ولكنهما يتجلدان بتجلد الرجال ، وهما ينصتان وأعينهما شاخصة في وجه الامام الجريح ، والناس سكوت وكلهم آذان يسمعون ما يتلوه الامام من الآيات البيئات وهي آخر خطبة القاها . فاذا هو يقول :

« أوصيكما بتقوى الله ، ولا تبغيا الدنيا وان بعثكما ، ولا تبكيا على شيء زوى عنكما . وقولا الحق ، وارحما اليتيم ، وأعيننا الضائع واصنعا للأخرى . وكونا للظالم خصيما وللمظلوم ناصرا ، واعملا بما في كتاب الله ، ولا تأخذكما في الله لومة لائم »

ثم نظر الى محمد بن الحنفية فقال : « هل حفظت ما أوصيت به اخويك ؟ »

قال : « نعم »

قال : « فاني اوصيك بمثله ، واوصيك بتوفير اخويك لعظيم حقهما عليك ، ولا تقطع امرًا دونهما » . ثم قال لهما : « اوصيكما به فانه اخوكما وابن ابيكما ، وقد علمتما ان اباكما يحبه » . وقال للحسن : « اوصيك أي بني بتقوى الله واقامة الصلاة لوقتها واتباء الزكاة عند محلها ، وحسن الوضوء فانه لا صلاة الا بظهور ، واوصيك بغفر الذنب ، وكظم الغيظ ، وصلة الحرم ، والحلم عن الجاهل ، والتفقه في الدين ، والتثبت في الامر ، والتعهد للقرآن ، وحسن الجوار ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واجتناب الفواحش »



وما اتم وصيته حتى اجهد وتعب من الكلام وما كان العهد به أن يتعب من الوعظ والخطب ساعات متوالية . ثم امر بتلك الوصية فكتبت ودفعت الى الحسن ، ولم ينطق الامام بعد ذلك الا بقوله : « لا اله الا الله » . حتى مات (١) فعلا الضجيج وزاد العويل والبكاء . ثم غسله الحسن والحسين وعبد الله ابن جعفر وكفن بثلاثة أثواب ودفن

ولما رأى سعيد وقوع المصاب تذكر قطام وخبثها وقال في نفسه : « والله لم يقتله الا هي ولولاها لم يقتل امير المؤمنين »

وفيما هو يفكر في ذلك ويبكى جاء قنبر فقبض على يده وجره فسار في أثره وهو لا يدري ما يريده منه . وسار بلال في اثرهما حتى دخلا سجن ابن ملجم وكان مغلولا هناك . فلما دخلوا عليه هم سعيد بالكلام فقال قنبر : « تمهل لنرى ما يقول هذا اللعين » . فلما رآهم ابن ملجم قادمين عليه ظل جالسا ولم يعبا بهم ، ولكنه خاطب قنبر قائلا : « اظنك جئت تدعوني الى النطع ، لان صاحبكم مات »

قال : « الى ذلك جئت ، ولكنني اسألك عن هذا الرجل هل تعرفه ؟ » (وأشار الى سعيد) فقال : « كلا »

وكان قنبر قد اراد ان يتحقق براءة سعيد ، وقد شك في اشتراكه مع

(١) هذا ما رواه ابن الأثير من أمر مقتل الامام . وذكر صاحب تاريخ الخميس أنه توفي صبيحة يوم ١٧ رمضان مثل صبيحة بدر . وقيل ليلة الجمعة ثلاث عشرة ليلة من سنة أربعين (عن أبي عمر وابن عبد البر) . وفي الصفوة قال الطلاء بالسري : ضربه عبدالرحمن بن ملجم بالكوفة يوم الجمعة ثلاث عشرة بقين من رمضان ، وقيل ليلة احدى وعشرين منه سنة أربعين ، بقي الجمعة والسبت ومات ليلة الأحد ، وقيل يوم الأحد . وغسله ابنه وعبد الله ابن جعفر ، وصلى عليه الحسن ، ودفن في السحر . وقالوا غير ذلك مما ليس هنا مكان تحقيقه . وذكروا أنه دفن في مسجد الكوفة وقبل حل الى المدينة ودفن عند فاطمة ، وقيل غير ذلك

ابن ملجم في المؤامرة . فقال له : « ألم يكن لهذا الأموى يد معك في القتل ؟ »
فتبسم ابن ملجم وقال : « إنه أضعف من أن يقدم على ذلك . انى
لاعرفه »

فقال بلال : « هل تعرف قطام بنت شحنة ؟ »

قال : « اعرفها وهى خطيبتى ودم ابن ابى طالب مهرها »
فصاح فيه قنبر : « اخسأ يا لثيم انك ملاق حتفك قريبا ، قم الى الموت »
اما سعيد فلما سمع قوله ان قطام خطيبته اشتد حنقه وغيظه من تلك
المرأة ، وقال في نفسه : « انى والله سأخذ بالثأر منها يدي »

وكان الحسن هو الذى أمر باحضار ابن ملجم ليقبله عملا بوصية ابيه ،
فلما حضر بين يديه ، نظر الى ما حوله فرأى الناس ينظرون اليه بأعين
تلتهب حنقا وكل يود ان يقتله بيده ، فلم يعبا بما رأى ، ولم يصبر حتى
يكلمه احد منهم فنظر الى الحسن وقال : « هل لك في خصلة ، والله قد
أعطيت الله عهدا الا أعاهد عهدا الا وفيت به ، وانى عاهدت الله عند الحطيم
أن أقتل عليا ومعاوية أو أموت دونهما ، فان شئت خليت بيني وبينه .
فلك عهد الله على ان لم اقبله ثم بقيت ان أتيك حتى أضع يدي في يدك »

فقال له الحسن : « لا والله حتى تعانين النار »

وكان الناس قد جاءوا بالنفط والبوارى والنار وقالوا : « نحرقه » .
فقال عبد الله بن جعفر والحسين بن على ومحمد بن الحنفية : « دعونا نشف
ما فى أنفسنا منه ، فقطع عبد الله بن جعفر يديه ورجليه ، فلم يجزع ولم
يتكلم ثم كحل عينيه بمسماز محمى فلم يجزع ، وجعل يقول : « انك لتكحل
عينى عمك بمكحول محمص » . وجعل يقرأ : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » .
حتى اتى على آخر السورة وان عينيه لتسيلان على خديه ، ثم أمر به فعولج
على لسانه لقطمه فجزع فقيل له : « قطعنا يديك ورجليك وسملنا عينيك
يا عدو الله فلم تجزع فلما صرنا الى لسانك جزعت » . قال : « ما ذاك من
جزع الا انى أكره ان أكون فى الدنيا فواقا لا أذكر الله » . فقطعوا لسانه ثم
جعلوه فى قوصرة فاحرقوه بالنار

ولما اشتد سعيد رائحة القتر المتصاعد من بقايا ابن ملجم شفى بعض
غيظه ، ولكن قوله : « ان قطام خطيبتى وان قتل على مهر لها » . بقى
يرن فى أذنيه ، وازداد تعجبا من دهاء تلك المرأة واستغرب ان يكون فى النساء
واحدة فى مثل ذلك الدهاء ، وتذكر ما حدث له معها من الوعود وما ارتكبته
فى سبيل الانتقام لابيها واخيها من الجرائم ، وكم قتل بسببها من الرجال
وعبد الله ابن عمه فى جلته . فاتقد غيظا وظل برهة غارقا فى هواجسه
لا ينتبه لما يدور حوله من الأحاديث ولا يفقه شيئا من انهماك الناس فى مبايعة

الحسن . ولم ينتبه حتى ناداه بلال فلباه فقال : « هلم بنا يا مولاي من هنا ان لي كلاما أقوله لك »

قال : « هيا بنا » ومشيا ولم ينتبه لهما أحد لاشتغال الناس بالمبايعة وعادا توا الى ساحة الكوفة حيث تركا الجميلين ، وسارا من هناك الى منزل سعيد ، وكانا في أثناء الطريق يلتقيان بأهل الكوفة سرعين زرافات ووجدانا الى منزل الامام على أثر ما سمعوه عن مقتله ، وهما لا يكلمان احدا

ولم يكن سعيد قد دخل منزله منذ ذهابه الى القسطنطين فلم يجد فيه احدا لان الخدم ساروا في جملة السائرين الى منزل الامام . وكان التعب قد أخذ منه مأخذا عظيما لهول ما قاساه بعد سفره الطويل . فدخل الدار من باب خاص به وترك بلالا يهتم بالجميلين . وبدل ثيابه وهو يفكر فيما رآه من الأحوال وما يتوقعه بعد موت الامام على من تغير المال

ثم توسد وسادة يلتمس الراحة وهو يفكر فيما يتوقع سماعه من بلال ولكن التعب تغلب عليه وغلب عليه النعاس فنام . ودخل بلال عليه فراه نائما فتوسد مقعدا في غرفة اخرى ، وأخذ يتهيا لمكاشفة سعيد بما يجول في خاطره من الشؤون حتى نام



ظل سعيد وبلال نائمين حتى الغروب فافاق سعيد على صوت الخدم وهم يفتحون الباب بعد عودتهم ، وقد بغتوا لما رأوا سيدهم هناك على غير انتظار اما هو فعذرهم لغيابهم ودعا بلالا فوقف بين يديه فدعاه للجلوس فاستأذن في اغلاق الباب دونهما ، فأمر خادما فأضاء له مصباحا وضعه على ممرجة وخرج ، فأغلق بلال باب الغرفة وجلس الى سعيد والاهتمام باد على وجهه فقال سعيد : « قل يا بلال ما بدا لك »

قال : « أياذن لي سيدي في أن أسأله ما الذي دعا الى فشل مهمته ؟ » فتنهد سعيد وقال : « ان السبب قديم يا بلال لم أكن لاقصه عليك لو لم آتس منك ما آتسته من الغيرة والمروءة »

قال بلال : « ولم يكن من شأنى أن أسألك عنه لو لم الحظ من خلال الأحداث ما يشف عن بعض السر ، ولعللى اذا اطلمت على حقيقة الحال ان آتيك بخبر جديد »

قال لا أخفى عليك ان السبب في فشلى امرأة اظنك سمعت اسمها في هذا الصباح من فم ابن ملجم »

قال : « اظنها قطام بنت شحنة »

قال : « نعم ، قبضها الله من داهية محتالة . فانها كانت سببا في قتل ابن عمي وقتل الامام وابن ملجم . ولا يخفى عليك ان قتل الامام لا يقتصر شره على قتل النفس ولكننا نخاف منه الفتنة . ولا ريب في انها ارادت ايضا ان تقتلني بوسيلة دبرتها » . وقص عليه حديثه مع قطام مختصرا من اول معرفته بها الى تلك الساعة

فلما فرع سعيد من كلامه عض بلال على انامله وتحرق ثم تنهد وسكت فقال سعيد : « ما بالك يا بلال ، وما الذي يدعوك الى التنهد ؟ »

قال : « يدعوتني اليه ندمي على ما فاتني من القبض على هذه المرأة في صباح هذا اليوم لانني رايتها في قبعتها بالمسجد وقد مر بها ابن ملجم ورفيقه فكلمها قبل اقدامهما على تلك الفعلة الشنعاء ، ولكنني كنت اظن عليا والهفي عليه قد علم منك بما ينويه ابن ملجم فلا يترك له فرصة لارتكاب ذلك المنكر . وقد رابت بنت شحنة خارجة من المسجد بعد ان تحققت نيل بغيتها بقتل الامام ، فياليتني قبضت عليها . ولكن ما قدر كان . وقد قتل الامام وقتل قاتله والامر في ذلك لله . على انني اذا عشت فسانتقم لك والاسلام من هذه الفاجرة . ومن غريب الاتفاق ان ابن ملجم هذا كان قد خطب سيدتي خولة من ابوها ولكنها لم تكن تحبه ولم ترض به »

ولم يكن بلال عارفا باطلاع سعيد على هذا الخبر من خولة فلم يشأ سعيد ان يعترف له به فظل صامتا ليسمع بقية الحديث

فقال بلال : « ولا شك ان سيدتي خولة ستفرح اذا سمعت بمقتل هذا البغادر لنجاتها من شركه »

قال سعيد : « وما الذي يحملها على قبوله اذا لم تكن ترغب فيه ؟ » قال : « ان اباه هو الذي اطعمه بها ووعد به بزفافها اليه ، اما هي فانها كانت قد عزمته على رفضه مهما تكن العاقبة » .

تذكر سعيد حديث خولة ، وتمثلت له صورتها ملكا كريما وما هي عليه من الحمية والانفة والمروءة ، وما شعر به من الميل اليها يوم لقيها في الفسطاط ايام كان لا يزال مخدوعا بمواعيد قطام ومشغولا بامر الامام على ، فلم يترك قلبه يومئذ مجالا للحب ، فلما سمع ذكرها الان تجددت ذكراها واحب ان يسمع حديثا عنها فقال : « وهل انت واثق من انها كانت مصممة على رفضه ولو اغضبني اباه ؟ »

قال : « نعم اني واثق بما اقول وقد لاحظت شيئا آخر . . » . وسكت وهو يتسهم

قال : « وما هو ؟ » . قال : « الم تلحظه انت ؟ » قال : « كلا وما هو ؟ . قل » . قال : « لاحظت أنك وقعت من نفسها موقعا

عظيما ، ولحظت ايضا أنك لم تجهل ذلك »

قال : « كيف عرفت انى لم أكن أجهله »

قال عرفته مما رأيت من خروجها اليك غير مرة ليلا ، التماسا لنجاتك وهي تستجهلنى ولا تنتبه الى . ولكنك كنت فى شأغل يومئذ بلهفتك على انقاذ الامام على من كيد الخاقدين »

فعجب سعيد لما ظهر له من اطلاع بلال على سره ، وتذكر انه شعر بشيء منه يوم كان فى الفسطاط وان اشتغاله بأمر الامام وخوفه عليه مع تعلقه بقطام وعهودها حال بينه وبين تمكين حبل المودة مع خولة . فلما سمع ما سمعه من بلال ساءتئذ أحب أن يستطلع جلية الخبر فقال له : « افصح عما فى نفسك انى لم افهم مرادك »

فقال بلال : « ان مرادى واضح مما ذكرته لك ، وها انذا افشى لك سرا هو ان مولاتى خولة حين امرتنى بأن اسير فى ركابك ، أوصتنى بأن انتظر حتى تكشف دسيسة ابن ملجم وننقذ الامام عليا ثم اطعك على رغبتها فى عودك الى الفسطاط لأنها تكون قد نجت من خطبة ابن ملجم وتكون انت قد فرغت من مهمتك ، ولا أدري ما تنويه فى رجوعك ؟ »

ففهم سعيد ما وراء ذلك فقال له : « أما رجوعى الى الفسطاط فلا يخلو من مجازفة لما فى ذلك من الخطر على لائى انما جئت منها فرارا من القتل . فاذا عدت فانما اعرض نفسى لما هو شر من القتل ، وابن العاص لا يعفو عنى ، ناهيك بكروى لبلد فقدت فيه ابن عمى » . وسكت هنيهة وتنهى ثم قال : « وهل أنت واثق من ميلها الى ؟ فانى والحق يقال رأيت فى خولة من الحمية وعزة النفس مع التفانى فى نصرة الامام ما جعل لها فى نفسى مقاما رفيعا . ولا اكتمك ما خالج قلبى يومئذ من الميل اليها ولكننى كنت بحالق القلب بقطام اخزاها الله فانها خدعتنى »

فابتدعه بلال قائلا : « لا تذكر هذه الخائنة يا مولاي ، انى والله أكره ان اسمع ذكرها ، لائى أشعر بقصورى وجهلى اللذين سببا نجاتها ، وهى والحق يقال أصل هذا الشر العظيم . . . ففى سبيل انتقامها لأبيها وأخيها ارتكبت أعظم اثم حدث فى الاسلام فقتلت ابن عم الرسول (صلعم) ولكننى سوف اذيقها حتفها واسفك دمها ولو بذلت فى هذا حياتى » . قال ذلك وهو يحرق أسنانه حنقا وأسفا

فقال سعيد : « وما ظنك بها الآن . اباقية هى فى الكوفة ؟ »

قال : « لا أظنها تبقى بعد ما ارتكبته فيها ، وقد افترض امرها وعلم الخاص . والعام انها شريكة فى القتل »

قال : « وأين تراها تذهب ؟ »

قال : « لا أدري ، وسأبحث في ذلك صباح الغد ، أما الآن فلنعد الى ما كنا فيه فانك اذا لم ترجع معي الى الفسطاط أحسبني مقصرا فيما عهد الي فيه . وخولة بامولاي يندر مثلها بين البنات جالا وتمعلا وانفة ، ولولا أبوها وتشيعه لمعاوية لانت بما لم يأتها أعظم الرجال . ولكنه كثير التشيع لابن أبي سفيان وكثيرا ما كانا يختلفان أمامي ويختصمان على أمور أستدل منها على ذلك »



وأحس سعيد بعاطفته تتجدد ، وشاقه حديث خولة وثاقت نفسه اليها ، ولكنه استثقل الذهاب الى الفسطاط مخافة الوقوع في قبضة عمرو بن العاص . ثم تذكر أن المتأمرين كانوا قد اجتمعوا على قتله وقتل معاوية في مثل ذلك اليوم ، فقال : « ألم أخبرك أن اثنين آخرين تأمرا على قتل ابن العاص ومعاوية ايضا »

قال : « بلى أخبرتنى ولكننى لا أخاف على ابن العاص الوقوع في الشرك » قال : « وما الذى ينجيهِ منه وهو لا يدري ما يعمرون ، فاذا فنكوا به سهل على الدخول الى الفسطاط ويكون ذلك أسهل ايضا اذا قتل معاوية في الشام »

قال بلال : « ان البحث عن ذلك يحتاج الى وقت ، ولا بد لنا من التريص حتى تأتينا الأخبار أو ان نذهب نحن للبحث عنه »

قال سعيد : « لا صبر لى على الانتظار ، ولا أظنك تصبر عليه . فأرى ان تسير أنت على عجل الى الفسطاط تستطلع جلية الخبر ، وتعود باليقين . واذا جعلت طريقك على الشام جئت بالخبرين معا »

قال : « أمرك يا سيدى . وأنت ماذا تفعل ؟ »

قال : « انقى هنا للبحث عن تلك الخائنة قطام ، فانى اتوق للانتقام منها فاذا لم اوفق الى ذلك عشت منغص العيش طول عمري . انها قتلت ابن عمى وأمير المؤمنين وكادت تقتلنى ! »

قال : « بالله دع امرها لى ، فانى أريد أن أشفى غليلي منها ومن عبدها الزنيم ربحان لا أراحه الله ، ولكننى أرى سفرى الى الفسطاط ادعى الى العجلة »

فأعجب سعيد بحماسة بلال ، وزاد ميلا اليه وشوقا الى خولة . واخذ يعمد الى ذهنه ما أنسه فيها من اللال الحميدة والغيرة عليه ، وكيف كان التقاؤه بها سببا في نجاته من القتل ليلة ذلك الاجتماع . فضلا عما رآه فيها

من الغيرة على أمير المؤمنين . ولكنه لم يكذب بذكر عاقبة ذلك السعى وحيوط ما دبره حتى اشتعل غيظا ، ولكنه لم ير حيلة فيما مضى فقال : « لقد قضى الأمر يا بلال ولم تبق لنا حيلة فيما مضى ، فإذهب أنت الى الفسطاط وعرج في طريقك على الشام ثم عد الى بالخبر اليقين عن عمرو ومعاوية . وأما أنا فاني باق هنا أبحث عن قطام وعجوزها وعبيدها ، فإذا عدت فوافني الى هذا المنزل »

قال : « وخولة ؟ ماذا أقول لها ؟ »

قال : « اذكر لها ان شوقى اليها لا يوصف ، وان ما عندي اضعاف ما عندها ، ولها منى عهد الله ان لن ينالها سوى »

قال : « اما رضاها فانا الضمين لك به » . وسكت بلال وقد أبرقت أسرته سرورا بما سمعه . ثم قطب وجهه بغتة وقال : « ولكن هب أن ابن العاص ما زال حيا وأبوها كما تعلم شديد التشيع له فلا أظنه يرضى بك زوجا لها ، فما الحيلة ؟ »

قال : « هذا راجع الى اختيارها ، ومتى عدت الى بالخبر نتدبر الأمر في حينه ، أما الآن فلا نضيع الوقت . امض الى الفسطاط على عجل وعد الى بالخبر اليقين وعلى الله الاتكال »

فأخذ بلال يستعد للرحيل ، وسعيد صامت يفكر فيما هو فيه . وأصبح الحصول على خولة شغله الشاغل ، ولكن فشله في انقاذ الامام اثار فيه حب الانتقام من قطام . فصمم على الفتك بها اما بيده واما بمساعدة الحسن بعد تبوئه عرش الخلافة



نجاة عمرو بن العاص

فلنترك سعيدا وبلاا على حالهما ، ولنعد الى خولة في الفسطاط . فقد تركناها عائدة في ذلك الليل الى منزلها على طريق عين شمس . وكان ابوها قد حبسها فيه . فلما أخرجها سعيد منه وسارا معا الى الدير ثم خرجت هي وحدها لم تر خيرا من أن تتظاهر بالبكاء والخوف فهرعت الى منزل أبيها بأكية وكان هو لا يزال غائبا يتداول مع عمرو بن العاص في شأن الذين قبض عليهم في ذلك اليوم . فلما فرغ من أمرهم وحرّض ابن العاص على انقراضهم سار الى محبس ابنته فرأى الباب مفتوحا وليس هناك أحد . فاستغرب الأمر وعاد توا الى منزله فرأى خولة جالسة في غرفتها تبكي . فتجاهل سبب بكائها وقال : « ما بالك يا خولة ؟ »

قالت : « كيف تتركني وحدي في ذلك البيت ألم تخف على من ابنساء السبيل ؟ »

قال : « ألم ترى اني أقفلت الباب واوصدته خوفا عليك من ذلك ؟ »

قالت : « كيف تفعل بي هذا ؟ اعاصية انا امرك ؟ » . واستغربت في البكاء فتحرّكت فيه عاطفة الأبوة ، وظنّها تقول ذلك عن سداجة فقال لها : « وكيف خرجت ؟ »

قالت : « لما رايت نفسي حبسة هناك خفت على حياتي فجعلت أناديك واستغيث بك ، ثم سمعت قرعة وضجيجا ووقع حوافر كثيرة فازداد خوفي فصحت واستجرت ، فقيض الله لي رجلا فتح الباب بالعنف فخرجت وهرولت الى البيت وانا أرتعد من شدة الاضطراب »

فطيب خاطرها ولامها على خوفها ، ولكنه سر لظنه أن حيلته قد انطلت عليها ، وما زال يهون عليها حتى تظاهرت بالرضا فتركها وخرج وهو يظنّها عازمة على الرقاد . ثم سمعت لفظ الناس في المدينة فانتبهت الى أن الجند لا يلبثون أن يفتحوا بيت الغفاري ، فاذا راوا سعيدا هناك قبضوا عليه فخرجت لانقاذه كما تقدم . وقبل خروجها اوصت عبدها بأن يوصد الباب ، واذا سال ابوها عنها يقول له انها نامت وأقفلت الباب عليها لسدة ما اعمرها من الخوف في ذلك المساء . فبات أبوها تلك الليلة وهو يحسبها نائمة ، أما هو . فبعد انقاذها سعيدا عادت الى غرفتها مضطربة فلم تستطع رقادا ،

وجعلت تفكر في وسيلة تنقذ بها عبد الله ، ولم تمكث قليلا حتى سمعت لفظا في دار أبيها ، وفهمت من خلال اللفظ ان ابن العاص عول على اغراق اسراه في النيل ، وسمعت أباها يضحك سرورا لهذا القرار ، فأسفت أسفا شديدا ، ولبثت برهة تفكر فيما تفعل ، حتى حدثتها نفسها لفرط انفعالها ، بأن تخرج في أثر الخارجين لعلها تستطيع انقاذ عبد الله . فغافلت أباها وكان قد ذهب الى فراشه وخرجت وأوصدت الباب وولعها بلال نائم امام عتبة ، وسارت في اتجاه ضفة النيل حيث ظنت أنهم ساقوا الأسرى وهي عزلاء دفعتها حاستها الى الخروج هكذا . فالتقت هناك بسعيد وقار ما دار بينها وبينه وودعته بارسال عبدها ليصحبه الى الكوفة كما تقدم . ثم عادت وحدها

فلما أشرفت على المنزل رآته هادئا وأهله نيام ، فانسلت الى الدار فرأت عبده بلالا نائما فأيقظته فهب من رقادته مذعورا وكانت تعلم شدة تعلقه بها وتغانيه في مرضاتها ، فدعته الى غرفتها فتبعها فلما خلت به قالت :

« أتدرى لماذا دعوتك ؟ »

قال : « كلا يا مولاتي ولكنني رهين اشارتك »

قالت : « اتطيعني يا بلال ؟ »

قال : « كيف لا وأنا عبدك وطوع أمرك ؟ »

قالت اريد ان اعهد اليك في امر خطير فهل تقوم به ولو أدى الى الموت ؟

قال : « ان الموت هين في سبيل مرضاتك . مري يا سيدتي بما تشائين فأنني في خدمتك »

قالت : « اسمعت بما حدث اليوم في عين شمس وما فعل ابن العاص بالمجتمعين هناك ؟ »

قال : « نعم وقد ارتكب أميرا فيه أمرا جسيما وقتل كثيرين »

قالت : « أما سرك ما فعله ابن العاص بأولئك العلويين ؟ »

قال : « اذا كان سرك فانه يسرني »

قالت : « وما ظنك بي ؟ »

قال : « لا اظنك راضية عن هذا العمل ، لعلني انك على غير دعوة الأمويين ،

وان يكن سيدي أبوك متغانيا في سبيل التشيع لهم »

قالت : « وكيف عرفت ذلك ؟ »

قال : « أنت تحسبيني ساذجا وقد قضيت في خدمتك أعواما طويلا

واطلعت على مكنونات قلبك وأنت لا تعلمين . وأما الآن فقد دفعني الى

التصريح بأنني اعلم غرضك ولم يفتني شيء مما تقاسينه في سبيل الدفاع

عن الامام على ولا سيما امس ، وانت لا تعلمين شيئا الا انى احرس هذا الباب الموصل واكنتم خروجك منه عن ابيك »
فاستغربت خولة قوله ولكنها سرت به وقالت : « وما قولك فيما حدث امس ؟ »

قال : « اتحسبنينى غافلا عما قاسيته فى سبيل انقاذ ذلك الشاب الغريب الليلة ، وقد كان فى جملة من خيف عليهم الوقوع فى شرك ابن العاص فانقذته بهمتك ؟ »

فتحقت انه كان يراقب حركاتها وسكناتها. فتהל قلبها سرورا فقالت : « اما الحال على ما ارى فاخبرك ان ذلك الشاب مسافر الآن الى الكوفة ، واريد منك ان تذهب اليه بالجملين الى سفح المقطم ، فاذا التقيت به هناك فسر فى ركابه الى الكوفة واحذر ان يدرى بك احد او ان تذكر ذلك لاحد » ولم تتم كلامها حتى خرج مسرعا بهم باعداد الجملين ، فاسترجعته وقالت : « فف يا بلال بورك فيك واسمع كلمة اخرى اقولها لك »

فعاد وقال : « لبيك يا مولاتى قولى ما تشائين »

قالت : « انك ذاهب مع هذا الشاب الى الكوفة لانقاذ الامام على من القتل ، وستعلم تفصيل ذلك منه . واما الآن فيكفينى ان اوصيك به خيرا ، واذا انتهيتما من تلك المهمة فارجع به الينا ، فانى اكره ابن ملجم الذى يريده ابنى خطيبا لى . هل فهمت ؟ »

فضحك بلال وهز رأسه ولسان حاله يقول : « فهمت »

فقالت : « سر فى حراسة الله ، وكنت اود ان ازيدك بيانا ، ولكن الوقت ضيق فاذهب وعد سالما باذن الله ، واحذر ان تبوح لاحد بما سمعته او رأيته »

فخرج وهو يلتفت اليها كانه عاتب على ما ظهر من ضعف ثقتها بامانتها ، ولكنه كان فرحا بما كلفته به ، فاعد الجملين وخرج الى سفح المقطم وصحب سعيدا كما تقدم



ولما خرج بلال عادت خولة الى غرفتها ، وغلقت الباب واستلقت على فراشها وقد تعبت مما قاسته فى ذلك اليوم من المشاق ، وكان قد هم بها النعاس لولا ما شغل ذهنها من عظام الامور ، وما تخلل ذلك من شعورها بالميل الى سعيد ، ولولا الحياء واهتمامها بانقاذ الامام لصرحت به . وذلك لما آتت فيه من الرغبة فى انقاذ الامام على ، مع ما فى قلبها من النور السديد

من ابن ملجم حتى كرهت أباهما من أجله ومن أجل تشييعه للأمويين
 قضت بقية ليلها لم يغمض لها جفن ، وهى تفكر فى سعيد ، وقلوبها
 يخفق ميلا اليه وخوفا من فشله فى مهمته . فجعلت تقدر الوقت اللازم
 لسفره الى الكوفة فرأت أنه اذا أسرع لا يفوته الوصول اليها قبل الأجل
 المضروب للقتل . وكان يعترض مجرى أفكارها خوفها مما قد يطرا عليه فى
 الطريق فيعيق وصوله فترتعد فرائصها فرقا على حياة الامام . وفى قتله
 ضربتان كبيرتان : الاولى موته ، والاخرى عودة ابن ملجم اليها . ولكنها كانت
 تتعزى بأن ابن ملجم اذا ظفر بقتل الامام لا ينجو من القتل . ثم تحول ذهنها
 الى أبيها وخروج عبدها بالجملين ، وأعدت أعذارا تنتحلها فى سبب خروجه
 فلم تجد خيرا من أن تدعى فراره الى حيث لا تعلم

وكان أبوها قد اختلق فى أثناء الليل وهى غائبة فجاء غرفتها ليراها فوجد
 الباب موصدا فسأل العبد عن ذلك فقال : « ان سيدتى استولى عليها الخوف
 على غير المعتاد فأوصدت الباب وأوصتنى بأن أنام خارجا »

فقال أبوها فى نفسه : « مسكينة خولة ان رعبها من ذلك الحبس لا يزال
 مؤثرا فيها » . وعاد الى فراشه وهو مصدق ما قاله العبد

وفى الصباح جاء الغرفة فرأى الباب لا يزال موصدا ولكن بلالا ليس أمامه
 فقرعه فنهضت خولة وفتحته وهى تتظاهر بالذبول لطول استغراقها فى
 النوم . فأمسكها بيده الواحدة ووضع الاخرى على كتفها وهو يقول :
 « لملك لا تزالين خائفة يا بنية ؟ »

قالت : « كلا يا سيدى انى تحت جناحك فى أمن وطمانينة »

فقال : « بورك فيك تعالى تناول الطعام » . ثم نادى بلالا فلم يجبه أحد
 فقال : « أين بلال ؟ »

فقالت : « لا أدري لعله ذهب الى السوق »

فانتظر هنيهة فلم يجرى ، فأرسل خادما فى اثره فلم يقف له على خير
 ثم علم بضياح الجميلين ولما انقضى معظم النهار ولم يعد بلال ولا الجملان أشكل
 عليه أمره ، فقالت خولة : « يظهر أنه أخذ الجميلين وفر » . فبعث أناسا فى
 اثره الى ضواحي المدينة فلم يأتهم أحد منهم بخبره ، فصدق أنه فر



اما خولة فلما تحققت انطلاء الحيلة على أبيها عادت الى هواجسها وتذكرت
 المهمة التى ذهب فيها سعيد ، وأخذت تفكر فى أمره وهى خائفة أن يتأخر فى
 الطريق عن الوقت المضروب لقتل الامام فيذهب سعيها هباء منثورا ، ولكنها

كانت مع ذلك فرحة لنجاتها من ابن ملجم ، لعلها انه ان فاز بقتل الامام علي فلا ينجو من سيوف أشياعه وهم كثار في الكوفة . ولكنها شغلت من ناحية أخرى بسعيد بعد ان انتهت من تدبير سفره ولم تكن واثقة من وقوعها من نفسه مثل وقوعه من نفسها وتمنت لو يعود عبدها بلال ليطمئن قلبها ، على انه لم يكن قد أرف زمن رجوعه بعد فصبرت على مضض تترقب أحداث القدر

وجاء أبوها ذات مساء بعد عودته من حانوته وعلى وجهه سيماء البشر وقرأت فيه خبرا جديدا ، فأخبت أن تعرف كنهه . فلما جلسا الى الطعام احتالت على استطلاع حديثه فذكرت له أمر العلويين والقبض عليهم وتفتنت في استرضائه ، فابتسم وانقاد الى الكلام مع ما هو فيه من الالتئام بالطعام ، وكانها أدركت ما في ضميره فتوقفت عن طعامها تنتظر حديثه ، فالتفت اليها وقال وهو يبتسم : « لقد عودتني يا خولة أن أحاذر في الكلام معك فيما أخشى افشائه »

فاستغربت وقالت : « انى لأعجب يا ابتاه من سوء ظنك بى ، فانا فتاة متحجة في هذا البيت لا أعرف من أهل الدنيا أحدا سواك ، فكيف تقول انك تحاذر أن تذكر أمامي ما تخاف افشائه . أى سر بحث به الى فافشيته ؟ » . قالت ذلك وهمت بأن تتباكي

وعاد هو فابتسم وقال : « لم أقل انك تبوحين بالسر ولكن ... » . وسكت

فقالت : « ولكن ماذا يا ابتاه ؟ انك تظلمنى بظنونك ، ويسوءنى الا يكون لى نصيب من الثقة حتى ولا من أبى الذى لا أعرف أحدا سواه »
قال : « لا أخفى عليك يا ابنتى اننى كنت ولا ازال أعتقد انك ميالة الى الأعداء و »

فابتدته وقالت : « وأى أعداء تعنى ؟ . أعوذ بالله من هذه التهم ! كيف تقول ذلك ؟ ! » . وتنتحت عن المائدة وأعرضت عن الطعام

فقال : « انى الحظ ميلك الى العلويين ، وأنت تعلمين أن عليا حاربنا وقتل جماعة منا في النهروان وغيرها . ولا ألومك على ميلك اليه ، لأننى كنت انا ايضا مثلك في جلة المتشيعين له ، ولكنى أصبحت بعد وقعة صفين ناقما عليه لما ارتكبه في مسألة الحكمين بحيث أخرج الخلافه من يده وجعل لمعاوية بدا فيها »

فأدركت انها اذا أقرت بحقيقة ميلها القت نفسها في تهلكة ، فلم تر خيرا من الإنكار فقالت : « وما أدراك انى باقية على الراى القديم ، فانك ان كنت انت انحرقت عنه فمن أكون أنا حتى أخالفك فيه »

قال : « لو لم تكوني على هذا لما تمنعت عن زواج ابن ملجم وانت تعلمين ان هذا الرجل قد عاهد نفسه على القيام بفعل لم يقدم عليه أحد من المسلمين في هذا العصر . فقد صمم على قتل علي »

فاجفلت عند سماعها ذلك التعريض وحدثتها نفسها بان تبوح بحقيقة ميلها ولكنها خافت ضياع الفرصة وهي انما افتتحت الحديث لتستطلع ما في نفس ايها ، فانكرت التهمة كل الإنكار وقالت : « ان ما تنسبه الي من امر ابن ملجم ظلم يا مولاي ، فاني لم ارفض الرجل وهو خطيبي متى عاذ من رحلته هذه . وكيف تقول اني لم أقبله وأنا لم افه بكلمة في هذا الشأن ؟ »

فضحك ابوها وهو يتشغل بتقطيع فخذ من الضان بين يديه ، وقال : « نعم انك لم تفوهي بكلمة ، ولكنني أدركت من مجمل حالك انك غير راضية به » . وكان قد اتم تقطيع اللحم فقدم لها قطعة فابت ان تتناولها واعرضت دلالا وحنقا

فقال لها : « خذي كلي ياخولة ولا يسؤك كلامي »

قالت : « انما ساءني لانني اراني مظلومة واطنك عاملتني معاملة المدو فحبستني في ذلك البيت المظلم بناء على هذه الظنون »

قال : « لقد اذكرتني حديث تلك الليلة وما كان فيها من الاحوال ، وهو الامر الذي جئت لأقص خبره عليك ، ولكنني لا اقول كلمة قبل ان تصدقيني الخبر : هل انت على ولاء ابيك تأتمرين بأمره . ام ماذا ؟ »

فتغاضبت وقالت : « اني اراك تخرجني وتلجئني الى الانحراف عن دعوتك بما تشيره علي من الظنون وأنا لا ابغى من هذه الحياة غير مرضاتك »

فمد يده وهو لا يزال قابضا على قطعة اللحم وقال : « خذي اذن هذه اللقمة وأصفي لما اقله لك »

فتناولتها من يده وقالت : « قل » . ووضعت اللقمة في فمها وهي لا تمضغها لانشغال ذهنها بما ترجو سماعه فقال : « اعلمي ياخولة ان اميرنا حفظه الله علم بقدم رجلين اتيا من الكوفة للاجتماع ببعض كبار العلويين الذين كانوا يجتمعون سرا في خرائب عين شمس ، فبعث جندا من شرطته فقيض عليهم في مجتمعهم تحت الارض . ألم تسمعي بهذا ؟ »

قالت : « عرفت بعض خبره بعد حدوثه »

قال : « فاعلمي اننا وجدنا بين المقبوض عليهم في تلك الليلة واحدا من ذينك الاثنين اسمه عبد الله . وأما الثاني فقد نجا ، ولا ندرى من هو ، ولعله لم يشهد الاجتماع . اما الاول فساقوه مع من سبق تلك الليلة الى دار الامارة وقد يكون وقع اليك ان « الامير راي ان يقتل اولئك المتأمرين ، وكنت أنا ممن اثار عليه بذلك مخافة الفتنة اذا ظلوا احياء . فأمر عمرو باغراقهم في النيل

وعبد الله معهم ، وقد عدت أنا من حضرة الأمير وهم يتهيأون لارسالهم الى النبل وعلمت في اليوم التالي انهم أغرقوهم »

فلم تر خولة في حديثه شيئا لم تكن تعرفه ، ولكنها رأت ان الحديث لم يتم فصبرت وتظاهرت بخلو الذهن من هذا الموضوع الغريب

أما هو فقال : « وقد كنت أعتقد انه أغرقهم جميعا حتى كان اليوم وأنا في منزل الأمير فرايت في بعض جوانبه عرفة مقفلة كنت كلما جئته أراها مغلقة فلم أهتم بشأنها ، فلما كان عصر اليوم دخلت على الأمير وأنا عائد من عملي ، فذكرت له أمر ابن ملجم ومهمته وطفقنا نتحدث فيما عسى أن يكون من أمره في الكوفة ، فلما وصلنا الى ذلك رأيت يتسم ، وتوسمت في وجهه خبرا فرغبت اليه أن يطلعني على ما حدث ، وأنت تعلمين ما لي من الدالة عليه . فتردد أول الامر ، فألححت عليه فقال لي : « أعلم من هو المقيم بهذه الغرفة ؟ »

قلت : « لا يامولاي ، لا أعلم ، وليس من شأني السؤال عما في منزل الأمير » فضحك عمرو حتى رقصت لحيته وقال : « اني حبست فيها رجلا سينقذ حياتي من القتل »

فعجبت لقوله واستغربت ما يشير اليه ، ولبت انتظر الافصح فقال لي : « أعلم يا صاحبى اني حبست في هذه الغرفة عبد الله الاموى الذي كان قدومه سببا في قتل العلويين منذ ايام »

فلما سمعت خولة ذكر عبد الله علمت انه رفيق سعيد ، وخفق قلبها فرحاً بنجائه ، ولكنها استغربت سبب تلك النجاة ، على انها ظلت متجاهلة تتوقع سماع تنمة الحديث ، وأبوها يتشاغل عن اتمامه بالمضغ والبلع ، وكان أكو لا

فلما خلا فمه من الطعام عاد الى الحديث فقال : « فاستغربت كلامه وسألته عما عساه أن ينجيه من الموت ؟ فذكر لي ان صاحبك ابن ملجم خطيبك هر أحد المتأمرين على قتله أيضا مع على في يوم واحد ، وأنه سمع ذلك من عبد الله هذا فلم يصدق قوله لغرابته وأساء به الظن لعلمه ان ابن ملجم من رجال دعوتنا ، ولكنه لم يسعه الا أن يستبقه ويحبسه في منزله ريثما يأتي الاجل المضروب لقتل على وقتله وهو يوم ١٧ رمضان ، فاذا تحقق صدق قوله أفرج عنه والا ضرب عنقه . فلما سمعت ما قاله الأمير استغربته كل الاستغراب وخفت أن يكون قد أساء الظن بي ، فأقسمت له الايمان المظلة اني لم أكن عالما بغير عزم ابن ملجم ، وسألته هل عرف اسم الرجل الآخر الذي تمهد بقتله فذكر لي ان الاموى الاسير لا يعرف الاسم »

قالت خولة : « وماذا تنوى أن تصنع ؟ » . قال : « الحق يا ابنتى اننى لم ادر كيف أوكد للأمير صدقى واخلاصى بخافة أن يبقى على سوء ظنه بي ، فبالغت في اظهار الغضب من ابن ملجم ، وقلت له : (انى لو عرفت خداع الرجل ما رضيت به صهرا ، وأنا منذ الآن مانعه من خولة) . ولما قلت له ذلك

التفت الى وقال : (لا يكفينى هذا الوعد وأنا اعرف خولة واعرف مقامها ،
وطالما كنت اريدها لأحد أولادى ، وأما الآن فانى اطلب اليك اذا صدق هذا
الاموى فى قوله أن تكون ابنتك خولة عروسا له ، لأن الرجل اموى وكان على
دعوتنا حتى أغراه بعض الناس بالتشيع لعلى) . . »

فلما وصل الى هذا الحد علمت خولة أن عبد الله لا يزال حيا ، واطمأن قلبها
وأدركت أنه لم يذكر اسم المتآمر الثالث على قتل معاوية مخافة أن يرسل عمرو
بخبيره الى الشام فينجو معاوية منه

ولكنها لما سمعت ذكر خطبتها له أطرقت حياء وسكتت وقلبها يختلج فرحا
بنجاتها من ابن ملجم ، ثم تذكرت حبها سعيدا وما بعثت به اليه مع عبدها
بلال ، فاحتارت فى أمرها على أنها لم يسعها الا كتمان كل ذلك والتظاهر
بالاستغراب فقالت وهى تهز رأسها استغرابا : « اصحيح أنهم تأمروا على
قتل عمرو ايضا أنها لمصادفة غريبة ؟ »

قال : « حقا أنها مصادفة نادرة ، ولكن ما قولك فى اقتراح عمرو ؟ »
فسكتت ولم تجب

فقال : « ما معنى سكوتك وأنت تعلمين أننا لانستطيع رد ذلك الاقتراح ؟ »
قالت : « دع هذا الآن ، فانه ليس بالامر المهم ، وما خولة الا جارية حقيرة
لا تستحق هذا الاهتمام ، ولنصبر الى الاجل المسمى لترى ما يكون »

فقال : « اننا صابرون ، وأرجو أن يكون خطيبك الجديد أهلا لك وليس مثل
ابن ملجم الخائن ، على انى أدركت من خلال حديث عمرو أن عبد الله رجل
كريم ، وهو اموى ربى فى منزل الخليفة عثمان ، ولكنهم أغروه بالتشيع لعلى ،
ثم عاد الى ما كان عليه . وأذكر انى رأيته ليلة قبضوا عليه فاذا هو شاب فى
مقتبل العمر وأظنك سترتاحين اليه »

فظلت خولة ساكنة ، فحسب والدها سكوتها قبولا فسكت ، وكانا قد
فرغا من الطعام فنهض ونهضت خولة ففصلت يديها وذهبت الى غرفتها
وهى تفكر فيما سمعته من ابيها وتحسب نفسها فى حلم



فلما خلت بنفسها تذكرت سعيدا وحبها له فتغاذفتها الهموم ، وهى تخاف
أن يحملها عمرو على الاقتران بعبد الله قبل أن تعلم مصر سعيد ومهمته فى
الكوفة ، وقد أعجبت بدهاء عبد الله لأنه باح بخبر المؤامرة على قتل عمرو
وكنتم امر المؤامرة على معاوية ، ولكنها خافت الا تتم نبوءته فلا يأتى القاتل فى
الاجل المعين فيقتله عمرو . وكانت اذا تصورت صدق نبوءته ونجاته من
القتل يخفق قلبها لاضطرارها عند ذلك الى قبوله زوجها لها وهى تحب سعيدا ،

فهلجت اشجانها واربتكت في أمرها ، وجعلت تبحث عن سبيل تنجو به من هذا التردد فلم تر خيرا من الصبر والتزول على حكم القدر
 اما عبد الله فكان قد جنح الى هذه الحيلة خوفا على حياته ، وكان يخشى ان يتأخر المتعهد بقتل عمرو عن المגיע لسبب من الاسباب فيذهب سعيه عبثا

وظل عمرو اياما لا يخرج للصلاة ، فلما كان فجر ١٧ رمضان شكى الما في بطنه فلم يخرج ، واتفق خروج خارقة بن ابي حبيبة صاحب شرطته للصلاة وهو لا يعلم بخبر المؤامرة ، ولم يأمره عمرو بالخروج ولو علم بخروجه لنعه ، على انه لم يكن يحسب ان القاتل يأتي لقتله في الفجر وهو يصلي ، بل كان يحسب انه سراقب خروجه في اثناء النهار في بعض شئونه . ولكن منية خارقة عاجلته فخرج فجر ذلك اليوم الى الجامع ليصلي بالناس ، ولم يكد يبدأ بها حتى هم به رجل من الوقوف وهو يحسب ابن العاص فضربه بالسيف فقتله فقبضوا عليه وساقوه الى عمرو . فلما رآه عمرو بغت وصاح به : « وبلك قد قتل صاحب شرطتي قتل خارقة بن ابي حبيبة » . فأجابه الرجل بقلب لايهاب الموت : « والله اني كنت أحسبه أنت »

فقال له عمرو : « اردتني واراد الله خارقة . من أنت يا غادر ؟ »

قال : « عمرو بن بكر » . قال : « ومن أنت ؟ » . قال : « من تميم »

فقال : « اقتلوه » . فقتلوه ، وقد حزنوا لمقتل خارقة ولكن ما قدر كان اما خولة فانها باتت ليلة ١٧ رمضان على مثل الجمر وهي تتوقع ان تسمع خبرا جديدا في اليوم التالي ولم تكن تتوقع ان يفعل الفادر فعلته في الفجر فاصبحت وقد ضجت الفسطاط بخبر خارقة وجاءها ابوها فأخبرها به ولسان حاله يقول : « لقد صحت أقوال عبد الله فتأهبى للاقتران به »

تحققت وقوع المحذور ولم تعد تدري ماذا تفعل وندمت لانها لم تفادر بيت ابيها سرا قبل ذلك اليوم على انها لم تكن من الجهة الاخرى موقنة من ان سعيد يبادلها ودا بود ، فانها لما لقيته في الفسطاط لم تتحقق ميله اليها . فوقع في حيرة ولكنها كانت مع هذا في قلق على الامام على لا تدري هل نجا كما نجا عمرو ام ذهب فريسة ابن ملجم وتمنت لو ان عبدها يعود في ذلك اليوم بالخبر اليقين



تركنا سعيدا وبلالا في الكوفة وقد اخذ الاخير يتأهب للسفر الى الفسطاط ، واخذ سعيد يفكر فيما يفعل بعده وكان هو الذي أمره بالذهاب الى الفسطاط ليعود اليه بالنبا اليقين عن عمرو . ثم رأى انه قد يطول به الانتظار ولا صبر له عليه . فقال لبلال : « كنت قد أمرتك بالذهاب الى الفسطاط ، ولكنى أرى

اجل عودتك بعيدا فلماذا رايت ان اذهب الى دمشق لانتظرك بها ، على ان توافيني الى مسجدك بعد عشرين يوما ، وسواء اتمكنت من الفتك بقطام ام لا ، فاني ساعرف هناك مصير معاوية »

وسافر بلال ، وصبر سعيد الى الغد ثم خرج قاصدا بيت قطام فراه مقفرا من اهله ، فوقف عند باب الخديفة يتأمل نخلاتها وطرقاتها ويفكر فيما مر به هناك من الاحداث وما انطلى عليه من مكر قطام غير مرة ، وتذكر آخر مرة زارها في ذلك المنزل ومعه ابن عمه عبدالله فازداد ميلا الى الانتقام منها . وفكر في المكان الذي عساها ان تكون قد ذهبت اليه ، فخطر له ان تكون قد سارت الى اهله في جوار الكوفة ، فمضى للبحث عنها هناك ، ولكنه لم يقف لها على اثر ، فعمل البحث وخاف ان ينقض الاجل الذي ضربه لبلال كيما يوافيه هذا في دمشق ، ولاح له ان قطام قد تكون سافرت الى دمشق لتلتجئ الى معاوية بعد ان نجحت في قتل الامام على منافسه ، فحزم امره وقصد الى دمشق على ناقه تسابق الرياح

اما قطام فكانت قد علمت من ريحان بقدومه في الليلة التي وصل فيها الى الكوفة ، اذ عاد اليها ريحان واخبرها بما دار بينه وبين بلال عبد خولة ، وحكى لها ما فضحه هذا من سره وكيف كان سببا في انكشاف امره لدى سعيد فلم يعد يصدقها ولم يرض المجيء معه الى بيتها ، فحنقت على بلال وعلى سيدته خولة ، وشعرت مع كرها لسعيد بالغيرة تاكل قلبها من اجل علاقته بخولة ، ولا سيما ان هذه كانت عوناً على عرقلة مساعيها لقتل الامام على ، فأضمرت لها السوء ولكنها شغلت عنها تلك الليلة بما كانت فيه من انتظار الفتك بعلي . وكان ابن ملجم باثنا عندها . فلما كان الفجر خرجت هي وعجوزها وعبدها ، وضربت قبعتها في المسجد كما تقدم . وفي ذلك من الجراءة ما فيه ، ولم تكن تخشى كشف حيلتها لما دبرته من ارسالها لبابة المحتالة بالصلك بعد تغييره الى قنبر حاجب الامام



نجاة معاوية

قتل الامام علي ، ورات قطام انه قد قبض على ابن ملجم كما توقعت فسارعت الى الفرار بعبدتها وعجوزها الى مكان خارج الكوفة ، وقد شفت حرازة صدرها بقتل الامام . ولكنها بقيت نائمة على سعيد وزادت نغمتها بعدما علمته من امر خولة ، فعزمت على الذهاب الى الفسطاط ، لتشي بها الى عمرو ابن العاص لاعتقادها انه لا بد مقدر لها ما انبأته به عن سر اجتماع العلويين . ولم يخامرها شك في نجاح وشايتها بخولة ، لانها من انصار علي ، فيقتلها اذا كان هو قدسلم . اما اذا كان قدقتل ، فانها لن تعجز عن تدبير حيلة اخرى . واستشارت لبابة فيما عن لها فاستحسن رايها ، وحسنت لها المسير الى الفسطاط . واستشارت ريجان فقال لها : « اني في ركابك ، اينما توجهت » . فاثنت على غيرته ، واصبحت في اليوم التالي قاصدة الفسطاط على ان تمر بدمشق وتستطلع حال معاوية وما كان من امره بعد ١٧ رمضان . فاذا كان قد قتل ، فتحمل الخبر الى عمرو ، وتحرضه علي طلب الخلافة لنفسه

فلما وصلت الى دمشق سمعت ان رجلا اسمه البرك بن عبد الله التميمي الصريمي ، قعد لمعاوية في فجر ١٧ رمضان في مسجد دمشق . فلما خرج معاوية للصلاة شد عليه بالسيف فوقع السيف في البيته . فلما اخذوه اليه قال له : « ان عندي خبرا اسرك به ، فهل يتفعنى ان انبئك به ؟ » فقال له معاوية : « نعم »

قال : « ان اخا لي قتل عليا هذه الليلة »

فقال : « لعله لم يقدر على ذلك »

قال : « ان عليا ليس معه احد يحرسه . فلا بد ان يكون قد قتله »

فامر به معاوية فقتل ، ومضى هو يطيب جرحه

فلما علمت قطام بنجاة معاوية لم يبق لديها الا الشخوص الى الفسطاط للايقاع بخولة



اما عبد الله فلبث في سحنه بمصر وقلبه واجف لما يخشى من حبوط

المؤامرة . وقد خطر له أن يحتاط لذلك ، فلما باح لعمره بالسر اشترط عليه الا يطلع احدا عليه لانه اذا شاع وبلغ خبره المتأمر فقد يعدل خطته ، فيقدم الميعاد او يؤخره ، واقتنع عمرو بهذا ، فكتم امر المؤامرة عن كل الناس حتى صاحب شرطته . اما ابو خولة فقد كان من أكثر الناس تقربا من عمرو ، واعظمهم غيرة عليه ، وكان عمرو يثق فيه ، على انه لولا رغبته في معاتبته على خيانة صهره ابن ملجم لما كشف له الامر

فلما كان ليل ١٧ رمضان أخذ القلق من عبد الله مأخذا عظيما لعلمه انه أصبح بين الحياة والموت . فلما كان الصباح وهو في سجنه يطل من كوة ليرى او يسمع ما يجري وصل الى اذنيه لفظ لم يفهم منه شيئا صريحا ، فانتظر حتى جاءه الحارس بالطعام على عادته ، فعلم منه ما حدث ، فاطمأن . وبعد العشاء جاء أحد رجال عمرو الى السجن فحل قيوده ودعاه الى مجلس الامير ، فمشى في أثره وهو يرى نفسه قد خرج بذلك من عداد الاموات . فقاده الرجل الى قاعة جلس فيها عمرو بن العاص على وسادة ، وفي يده درة (سوط) يلاعبها بين اصابعه ، وليس في القاعة احد سواه . فلما اشرف عبد الله على القاعة نزع حذائه ودخل توا الى مجلس الامير وهم بتقبيل يده ، فأمسكه ابن العاص بيمينه وأجلسه الى جانبه وهو يقول بصوت منخفض : « لقد كانت نجاتنا على يدك فحق لك علينا التكريم ، ولكن وقع صاحب شرطتنا في الشرك الذي كان منصوبا لنا ، ولو علمنا الساعة او المكان المعين لتلك الفعلة الشنعاء لاستطعنا تداركها ، او لاطلعت خارجة على سر الامر فربما كان نجا بنفسه ، ولكني لا اظنه كان يستطيع ذلك وهو لا يعلم الزمان والمكان المعينين »

فقال عبد الله : « ان حياتي كانت رهنا ببقاء الامر سرا ، ولو أنه شاع لغير الغادر خطته تأخيرا او تقدیما ، وكنت انا المقتول الآن بدلا من خارجه ، لأنك كنت تسيء الظن بى فتقتلنى »

ولم يتم كلامه حتى دخل خادم يقول : « ان اباخولة بالباب » . فقال عمرو : « ادخلوه »

فدخل ابو خولة ولم يكن من مصاف الامراء ولا من القواد الانداد حتى تكون له تلك المنزلة عند عمرو ، ولكنه نال الخطوة عنده عندما اطلعه على عزم ابن ملجم على قتل على . وظل يتردد على دار عمرو ويبدل وسعه في خدمته حتى عده عمرو من اصحابه

فلما دخل ابو خولة القاعة حيا ، وقبل أن يجلس قال له عمرو : « اغلق الباب ، ومر الخدم الا ياذنوا لاحد » . ففعل ودخل . فدعاه عمرو الى جانبه وعرف اليه عبد الله ، فاعجب ابو خولة به لانه كان شابا جيلامع نباهة وذكاء . وسر لما دبّره عمرو من مصاهرته له . واما عبد الله فكان خالي الدهن من كل هذا

فلما جلس الثلاثة التفت عمرو الى عبدالله وقال له : « لقد عرفتك بصاحبنا ابي خولة ، وايزيدك علما انه من امر اصدقائي ، وقد كتبت امر المؤامرة عن كل احد سواه ، ولكنني اشترطت عليه شرطا اظنه يعود عليك بالمنفعة ، وقد فعلته مكافأة لك على خدمتك لي »

فوقف عبد الله متأدبا وقال : « يا اذن لي مولاي في كلمة ؟ »
قال : « قل » . قال : « لا تحسب ابها الامير ان لي فضلا بما بحث لك به ، فاني والحق يقال انما فعلته استبقاء لحياتي ، فلا تظنني اخذتك أو اخذت نفسي »
فأعجب عمرو بصراحة عبد الله وقال له : « لم تزدني بما قلت الا رغبة في مكافأتك ، ان ابن العاص لا يجهل قدر الرجال وليس من السذاجة بحث لا يدرك انك لو لم تقع في يده وتشعر باخطر على حياتك وبلا نجاة لك بغير افشاء ذلك السر ، ما أقدمت عليه . ولكنني مع كل ذلك أقدر جيلك ، وايزيد مكافأتك . وقد رايت من صدق قولك ما أكد لي انك لو كنت من انصارنا لكان لنا بك نعم النصر ، وانت اموي على ما علمت فليس تشيعك للعوليين معقولا » . قال ذلك وفي صوته غنة استفهام كأنه يستفهم عن سبب تشيعه فسكت عبد الله . فقال عمرو : « ولكنك لم تسألني عن المكافأة التي أعدتها لك »

قال : « قلت اني لا استحق مكافأة »

قال عمرو : « امتزوج انت ؟ »

قال : « كلا يا مولاي »

قال : « اذن فاعلم ان في الفسطاط فتاة تتحدث بجمالها وتعقلها اهل هذه المدينة ، وهي ابنة صاحبني هذا (وأشار الى ابي خولة) . ولا أخفى عليك انها كانت مخطوبة لعبد الرحمن بن ملجم ، وهو احد المتآمرين علي قتلتي وقتل علي بن ابي طالب ، ولا ندرى ما كان من امره اليوم فانه الموعد المضروب »
ولما قال عمرو ذلك تذكر عبد الله ما كان قادمنا من اجله مع سعيد وكيف فشلت مهمتهما فانقبضت نفسه ولكنه تجلد وصبر الى آخر الحديث

فاتم عمرو كلامه قائلا : « ان خولة هذه كانت مخطوبة لابن ملجم ، على ان يتزوجها بعد عودته من الكوفة ، ولا ريب ان ذلك الخائن كان عالما بتواطؤ عمرو ابن بكر علي قتلتي فكتم ذلك ، وسار ولم يطلعني على شيء منه ، ولهذا عدته شريكا في قتلتي ، فحرمته من خولة ، ولي دالة على ايها لانها بمنزلة ابنتي ، وقد خطبتها لك منه ، ومتى رايتها تحققت ان قد ازوجناك زهرة الفسطاط وخير بناتها » . ثم التفت عمرو الى ابي خولة وقال : « ولا تظننا فرطنا في خولة ، فان هذا الشاب من سلالة الامراء ، ويكفي انه اموي وبينه وبين الخليفة معاوية نسب قريب . اما الخائن ابن ملجم فان عاد الينا فلا ابقاني الله ان ابقيته حيا . ولكنني لا اظنه الا مقتولا في دار ابن ابي طالب فاز في مهمته ام لم يفر » .

قال ذلك والغضب باد على وجهه ، فعزح عبد الله بما ناله من الحظوة في عيني عمرو ، وارتاح لما سمعه عن خولة ، ولكنه بقي قلقا على ابن عمه سعيد ، وما كان من أمره يعد أن فارقه في مسجد القسطنطين يوم اجتماع عين شمس . وحديثه نفسه أن يسأل عمرا عنه تخافة أن يكون وقع في أيدي رجاله ، ولكنه لبث ساكنا يتردد ، وقد نسي اقتراح عمرو . فظنه عمرو غير راض فقال : « ما بالك لم تجيب ؟ لعلك لم ترض بخولة ، والله اني ارضاها لأعز أبنائي »

فابتدره عبد الله قائلا : « عفوك يامولانا ، كيف لا ارضي بما رضىته انت لى ؟ وما سكوتى الا لأنى حسبت اقتراح الامير امرا نافذا لآخر لى فيه ، على انى ارجو أن تسألها هى راياها فى الزواج بغريب مثلى » فقال ابو خولة : « ان خولة جارية مولانا الامير ، وما يرضاه لها لامندوحة لها عنه ، وانا وهى طوع ارادته »

واستولى السكون عليهم لحظة ، ثم التفت عمرو الى عبد الله فقال : « كنت اظنكنا اثنين جننا معا الى القسطنطين ، ولكننى لم ار سواك »

فاضطرب عبد الله ، ونظر الى عمرو وقال : « هذا هو الامر الذى شغل بالى فى اثناء حديث مولاي . ان رفيقى هو ابن عمى ، وقد جننا معا الى هذه المدينة ولكننى يمت عين شمس وحدى وتركته فى المسجد على ان استطل المكان واعود اليه ، فقبضوا على ولم اعد اعرف شيئا عنه الى الآن . فهل عثر الشرطة به فقتلوه ؟ »

قال عمرو : « لم أسمع عنه شيئا ، ولا اخبرنى احد بخبره ، فقد يكون نجا بنفسه لما سجع بما وقع لكم فى ذلك الاجتماع »

فهذا روع عبد الله ، ولكنه ظل مشتاقا لاستطلاع حال سعيد وتمنى ان يسير توا الى الكوفة فيستطلع كل شيء ويتحقق ما وقع للامام على ، ولكنه خجل من ابداء رايه هذا لعمرو ، ورأى ان يتظاهر بالرغبة فى السفر للبحث عن ابن عمه فقال : « لقد اوضحت لمولاي ما انا فيه من القلق على ابن عمى هذا ، فهل يأذن لى الامير بالذهاب الى الكوفة لاستطلاع حاله ثم اعود ، واكون فى خدمتك الى الملمات فقد اوليتنى جيلا لا انساه ؟ »

قال عمرو : « يكون ذلك بعد عقد قرانك بخولة ، حتى اذا صرت من اصهارنا ، كان لك ان تسير الى حيث شئت »

وكان عمرو لدائه وحسن سياسته قد أدرك ان رجلا حرا صادقا مثل عبد الله لا يفرط فيه . لانه اذا اخلص الخدمة كان نفعه عظيما . فلم ير لى يقبده خيرا من أن يبادئه بالجميل ، وأن يزوجه ابنة صاحبه وهو بحسب خولة على دعوته فتجيب اليه الرجوع الى حزب الامويين . ولم يكن يعلم آنئذ هل نجح ابن ملجم فى مهمته بالكوفة أم لا . فلما اقترح على عبد الله عقد قرانه قبيل السفر ، قبل عبد الله واطاع ، فضرب عمرو ارجلا لذلك وقال :

« تقيم عندنا في أثناء ذلك ضيفا كريما ، فاذا آن الزمن عقدنا لك على خولة
ثم تنصرف للبحث عن ابن عمك »

فوقف عبد الله بين يدي عمرو وهم بتقبيل يده وقال : « لقد غمرني فضلك
ولست بمستطيع ان افي يدك على حقها » . وأستاذن في الخروج فأذن له

وخرج أبو خولة أيضا وهو يكاد يطير فرحا لما رأى من خلق عمرو . وسره
الخطيب الجديد لابنته ، فسار توا الى المنزل وكانت خولة جالسة هناك على
مثل جمر الغضا تتقاذفها الهواجس بعد ان تحققت نجاة عمرو وعلمت بما
فرضه من زواجها بعبد الله . بينما هي تؤثر البقاء على حب سعيد وهو أول
من وقع في نفسها مع عدم نفورها من عبد الله ، فلما كان المساء وأبطأ أبوها في
العودة الى البيت قلقته ولبثت تنتظره بفارغ الصبر لعلمها انه لا بد من مروره
بعمره على أثر ما كان من نجاته في ذلك اليوم . وحسبت لابطائه ألف حساب .
وأخوف ماخافته من ذلك الإبطاء ان يكون سببه البحث في أمرها وأمر عبد الله
وهي لا تريد ذلك



فلما انقضى العشاء ومضى بعده ساعتان سمعت قرع الباب فأسرعت دقات
قلبها وعلت وجهها صفرة الوجل ، وظلت مستلقية على الوسادة في حجرتها ،
وما لبث باب الدار ان فتح . فاتجه أبوها توا الى غرفتها فقرع الباب فنهضت
لتفتح له وركبتها تصطكان من الاضطراب . فدخل والمصباح في يده فوضعه
على مسرجة وجلس إليها وعلى محياه أمارات البشر والسرور ، وهو يحسب
ان قد جاءها ببشرى عظيمة . فراها مضطربة الحواس قلقة الخاطر رغم
تجلدها ، فقال لها : « ما بالك يا بنية ما الذي أزعجك ؟ »

قالت : « لم يزعجني شيء ، ولكنني قلقته لغيابك وأنا وحدي في هذا البيت
لا أرى فيه أحدا غير الخدم »

قال وهو يتسهم : « لقد دنا الوقت فلن تكوني وحدك بعد الآن »

فتجاهلت مراده وقالت : « يظهر انك علمت بما أقاسيه من الوحدة فعزمت
على ألا تتركني وحدي ؟ »

فضحك لسذاجتها وقال لها : « ليس هذا قصدي ياخولة ، ولكنني اذكرك
باقتراح الامير الذي أطلعتك عليه منذ بضعة أيام ، فانه قد تم اليوم بعد ان
صدق قول عبد الله الاموي ، فجمعني عمرو به الليلة في داره ، فرأته شابا
جيلا عليه مهابة الامراء ، تتجلى الشجاعة والانفة في وجهه . ويكفي ان الامير
سحر به وبالع في إطاره امامي . فهذا هو خطيبك ومتى عقد قرانكما لا تكونين
وحدك »

ولم يتم كلامه حتى صبغ وجهها حمرة الحجل وظلت صامتة ، ثم أخذ العرق ينسكب عن جبينها كاللؤلؤ المنثور وهي مطرقة لا تفوه بكلمة

ولم يكن الحجل وحده سبب اضطرابها كما ظن أبوها ، ولكنها أصبحت كريشة في مهب الريح حائرة بين أن تطيع عواطفها وبين أن تطيع أباه وأمرها . ولو أنها لم تبعث إلى سعيد مع بلال يخبر حبها له لكانت المفضلة أيسر ، وقد علمت أنها إذا رفضت عبد الله رفضاً باتاً تغضب عمراً وأباه . وهي مع ذلك لا تدرى مصير سعيد ولا ما آلت إليه مهمته بعد خروجه من القسطنطينية مع بلال ، ولم تر فرجاً إلا بالاضطرار فصبرت حتى يعيد أبوها السؤال فتستعمله أما هو فلما آنس فيها ذلك الاضطراب حله بحمل الحجل ، وهو أمر عادي في الفتيات في مثل هذه الحال . فوضع يده على شعرها المسدول على كتفها وقال لها : « لا تخجلي يا بنية ، إن أباك هو الذي يخاطبك ، وقد تم الأمر على يد الأمير وهو شرف كبير لنا لو تعلمين »

فأجابت وهي مطرقة وقالت : « وهل ضرب لذلك أجلاً ؟ »
قال : « لقد ضرب أجلاً لذلك أسبوعاً »

قالت : « فليكن ثلاثة أسابيع »

قال : « وما الداعي إلى هذا التأجيل فاني أخشى أن يغضب عمرو فأطيعيني وعلى تبعه ذلك . فان عبد الله فتى قلما يجود الزمان بمثله ، واني بمصاهرته لفخور فلا محل للاعتراض » . قال ذلك وفي كلامه شيء من الغشونة على عادته معها إذا أصر على أمر . فخافت سوء العقبى إذا جادلتها فسكتت وأظهرت الارتياح . فلما رآها هكذا قال لها : « بورك فيك يا بنية ، بعد أسبوع تتم معدات الزواج »

فظلت مطرقة وقد عولت على اتخاذ وسيلة أخرى للتأجيل



الزفاف الكاذب

اما عبد الله فآخذ في البحث عن بيت يقيم به ، وبينما هو في ذلك جاءه بعض رجال عمرو وأخبروه بأن الأمير قد أمرهم بأن يعدوا له منزلا في داره ضيفا عليه . فازداد عبد الله اعترافا بجميل عمرو ، وفرح لأنه غريب لا يدرى أين يذهب . وتبع الرجل الذي كلمه الى غرفة فيها فراش وغطاء وبعض الأتية ، وسأله الرجل : « هل تحتاج الى طعام ؟ » . فاعتذر وسار توا الى فراشه

ولما خلا بنفسه جعل يفكر في نجاته وصورة ابن عمه سعيد عالقة بذهنه لا تبرح ذهنه . على أنه اطمأن على حياته ، وأحب أن يتم ما أتى الفسطاط لأجله ويعلم ما حدث للإمام على

وكانت ذكرى خولة تعترض تصوراته واشتاق رؤيتها والتحدث اليها ، وقضى ليله هكذا

ولما أصبح سار الى المسجد فصلى وهو يتوقع أن يرى أبا خولة لعله يدعو له منزله فيتيسر له رؤية خولة ولو خلسة . وكان أبو خولة قد مر بالجامع في ذلك الصباح عمدا ، فلقى فسلم عليه ودعاه الى العشاء فقال له : « اني في ضيافة الأمير ولا يليق بي قبول الدعوة الا بعد استئذانه »

فقال : « أنا استأذنه عنك »

قال : « حسنا » . وافترقا . فمشى عبد الله في طرق الفسطاط وأسواقها ، فمر ببيت خولة وهو لا يعرفه . وكانت خولة قد أصبحت في ذلك اليوم مضطربة قلقة ، فخرجت تمشي في الدار فوقع نظرها على عبد الله وهو مار ، ولم تكن راثه من قبل ، ولكنها استنتجت من لباسه وقيافته وشبهه سعيدا أنه هو عبد الله خطيبها ، فاختلج قلبها في صدرها ونفرت لأول وهلة ، ولكنها أرادت أن تتبين حاله فتفرست فيه وهو ماش فرأته معتدل القوام رشيق الحركة فارتاحت لرؤيته وسرت به لمشابهته سعيدا ولكنها ما لبثت أن نفرت منه لما تذكرت أنه سيحرمها من حبيبها وما زالت تتبعه بنظرها حتى توارى ولم ينتبه

وعادت خولة الى غرفتها منقبضة النفس، وقضت نهارها لم تذق طعاما .
ولما كان الغروب آن موعد مجيء أبيها ، وكان الخدم قد اعدوا المائدة له ولضيفه
وخولة لا تدري . وما عثم أن دخل الدار ، وسعل على عاداته كأنه ينبه اهل
المنزل الى مجيئه . فتظاهرت خولة بارتياحها الى قدومه ولكنها تمارضت
ومالبت أن رات معه شابا عرفت أنه عبدالله فحقق قلبها وسادها الاضطراب،
وتوارت في حجرتها



واما ابوها فذهب بضيفه الى قاعة الضيوف ، واجلسه هناك ، وجاء الى
خولة فراها مستلقية على الفراش، وقد امتقع لونها فنحفت للنهوض وهي
تتظاهر بالضعف . فقال : « ما بالك ياخولة ؟ »

قالت : « لا شيء ، غير اني اشعر بانحطاط في قواي لا ادري سببه »
فدنا منها وهمس في اذنها قائلا : « شددى عزمك فقد جاءنا ضيف عزيز »
فاجابت متجاهلة : « مالي وللضيوف ؟ اني لا استطيع النهوض لمقابلة
الضيوف »

قال : « ان الضيف اصبح من انسبائنا ولا بأس من رؤيته نزولا على امر
الامير عمرو بن العاص »

فقالت : « ولكنني منحلة القوى . دعنى الآن وسأراه في فرصة اخرى
وانا في عافية ان شاء الله »

قال : « لقد كنت اظنك اكثر رغبة منى في رؤيته بعد ان ابلغتك امر خطبتك
له ، ايليق بنا الآن ان نظهر له الجفاء »

فتحيرت خولة ولم تدرك بماذا تجيبه وهي تخشى غضبه لما تعلمه من سوء
خلقه وحقه ، فظلت صامتة

فأمسك بيدها وانفضها ، فوقفت مرغمة وسارت معه مطرفة ، فلما وصلا
الى باب الغرفة وقف وقال لها : « ضعى خمارك على رأسك وتسجعى واستقبلى
الرجل بما يليق بامثالك ، لئلا يبلغ عمرا عنا ما يدل على عصيان أمره فيعضب »
فراحت خولة من الحكمة أن تتجلد وتصابر اشفاقا من غضب أبيها ، فخفت الى
خمارها فوضعت على رأسها وأصلحت هندامها وخرجت في أثر أبيها حتى
دخلوا على عبد الله

وكان عبد الله قد استنبط مجيئها فحمله على محمل الخفر والدلال ، وازداد
شوقا الى رؤيتها ولو المأمة . فلما اشرفت على الغرفة وتبين جالها واعتدال
قوامها انشرح قلبه وحمد الله على توفيقه بعد نجاته من الموت . فدخلت
وحيت بما يجدر بمثلها في مثل هذا المقام ، وجلست على وسادة بجانب أبيها

وكان عبد الله يسارقها اللحظ فلا يزداد الا اعجابا بها ، ولم تمض تلك الليلة حتى علق بها ووقعت من نفسه موقعا ساميا لما آتته من جلالها وذكائها وتعقلها في أثناء الحديث مما يندمر مثله في أمثالها من ربات الحدور . فخرج مأخوذا بخولة



قضى عبد الله بقية الاسبوع في مثل ذلك ، وهو يتردد على بيت خولة ويزداد تعلقا بها . ولما أرف يوم الزفاف دعاه عمرو اليه وقال : « أريد أن أعقد لك عليها في دارى ، وتقيما عندنا حتى يتراءى لكما غير ذلك » . فعل عمرو ذلك التماسا لما عزم عليه من كسب عبد الله الى حربه ، فشكر له عبد الله ، ولما حل الميعاد زفت خولة الى عبد الله ، وعقد قرانه بها على العادة المتبعة ، وعبد الله مغمم سرورا بهذا النصيب ، ولولا ما يجول في خاطره من القلق لغيب سعيد واخوف على الامام على لكان أسعد خلق الله لانه رأى في خولة ما طالما تافت اليه نفسه في النساء من التعقل والرزانة مع الجمال والذكاء فلما انفض حفل العرس دخل العروسان الى محجدهما

فلما خلا عبد الله بخولة تقدم لنزع الغطاء عن وجهها فأمسك النقاب ورفع فاعادته الى ما كان عليه ، فظنها تداعبه فضحك وقال لها : « بلوح لى انك لا تحبين عبد الله ؟ »

قالت وهى مطرقة : « يعلم الله انى لا اكرهه »

فمد يده الى النقاب ثانية وحاول رفعه فمنعته . فتحير في امره ، وأمسك يدها وقال بلهجة الجد ونفحة الحب العائب : « ما بال خولة تمنعنا مما احله الله ودعانا اليه القلب ؟ »

وكانت خولة واقفة بجانب القراش فابتعدت عنه وأسندت ظهرها الى الحائط تبالغ في غطاء النقاب مطرقة ولم تحر جوابا

فاستغرب عبد الله سكوتها وتمنعها وظن في الامر خديعة ، فاظهر الجد وهو لا يزال قابضا على يدها حتى وقف بجانبها وقال لها : « ما الذى اراه يا خولة ؟ ما الذى تحدثك به نفسك ؟ ان كنت انما تفعلين ذلك خفرا فهو غلو لا محل له وقد عقد قراننا بحضور امير مصر ونخبة الاعيان والامراء . وان كنت قد اكرهت على القبول وانت تحبين غيرى فقولى »

فلما قال ذلك رفعت رأسها اليه ، وجذبت يدها من يده بلطف وقالت : « نعم انى احب غيرك ، ولكننى قلت لك انى لا اكرهك بل احبك بحبة الاخ لا بحبة الزوج »

فبغت عبد الله وعلته الدهشة ، وكاد الغضب يغلب عليه لو لم يتجملد ليعرف جليلة الامر . فنظر اليها غاضبا وقال : « لقد رايت منك العجب ،

وأعجب منه احتقارك إياي مما لم أكن أتوقعه بعد عصبتيه . هلا كشفت عن السبب ؟ »

فأمسكت النقاب وأزاحتها عن وجهها وقالت : « انى لا أرى الحجاب واحد بينى وبينك ، و لآنا خائفة من اطلاعك على ما فى ضميرى . ولكننى أسأل سؤالاً اذا أجبتنى عنه بحث لك بسرى »

فقال : « أسألى فانى مجيبك »

قالت : « كيف رضيت عقد قرانك وابن عمك غائب ؟ »

فقال : « وای ابن عم تعنين ؟ »

قالت : « أعنى ابن عمك سعيدا الذى جئت معه الى الفسطاط ، الا يهكم أن تعرف ما آلت اليه حاله ؟ »

فاستغرب ذلك منها ، ولم يكن يعلم اطلاعها على شيء من ذلك فقال : « من أين لك أن تعرفى ابن عمى وما جئت من أجله الى الفسطاط ؟ »

فتنهدت وقالت : « عرفته بقدر من الله ، وانى أعجب من نسيانك تلك المهمة التى جئتما من أجلها . هل تظن الامام عليا نجا من القتل ؟ »

فازداد عبد الله استغرابا ، ونسى ما كان يعد به نفسه من قريبها وهاجت به اشجانه ، وتذكر ابن عمه فقال : « لقد أذهلتنى ياخولة بما سمعته منك ، فافصحى عما فى ضميرك واخبرينى كيف عرفت ابن عمى وما العلاقة بينه وبين تمنعك الليلة ؟ »

قالت : « أتعدين بالكتمان وحفظ الزمان ؟ »

قال : « نعم أعدك وعدا صادقا ، فافصحى فليس لى صبر على هذه الرموز »

فتنهدت وعلت وجهها حرة المحجل ، وهمت بالكلام فارتج عليها ، وعبد الله يتأمل ملامحها ويراقب ما يبدو منها صامتا ، فلما لم يسمع منها شيئا . قال لها : « بالله لاتطيلى السكوت فقد نفد صبرى ، قولى ما بدا لك وفرجى كربتى »

قالت : « أقول ولا أخشى لوما انى احببت سعيدا قبل أن أراك ، وهو أحيى على ما أظن ، وحبنا قائم على اشبراكنا فى الدود عن الامام على ما استطعنا . وقد ذهب سعيد ضحى الليلة التى أغرق فيها عمرو أصحاب عين شمس ، وهو يظنك فى جلة العرقى . ولا أظنه اذا عرف ببقاءك حيا الا طأثرا اليك من الفرح » . وقصت عليه حديثها مع سعيد من أوله الى آخره

ولم تكذ خولة تتم حديثها حتى اسنولت الدهشة على عبد الله ، وخيل اليه انه فى حلم ، ولما تحقق أن خولة تحب سعيدا وثابتة على حبه ، أحس لساعه انه لم يبق له حق فيها . وازدادت رفعة فى عينيه فقال لها : « اعلمى ياخولة انى أعدك أخا لى من هذه الساعة ، وانى سأبدل جهدى فى جمعك

سعيد فانه بمنزلة أخى . وقد اوصيت بكفالاته وصية مقدسة ، وقد احسنت انت بما بسطته من حقيقة حالك ، وعلى هذا سأسافر غدا الى الكوفة ، لابحث عنه واستطلع ماجرى للامام على »

فانتدبرته خولة قائلة : « لا تعجل يا عبد الله فى ذهابك ، لأننا لانلث بعد قليل أن نسمع الخبر من عبدى بلال الذى رافق سعيدا الى الكوفة ، فقد اوصيته بالعودة حالا واظنه يصل إلينا بعد أيام . وأما الآن فاکتم مادار بيننا واجعل كأنك زوجى ريثما نرى ما يكون »

فالتفت عبد الله اليها وقد ازداد اعجابا بحميتها وثبات جاشها ، وقال : « انى أهنىء أخى سعيدا بمثلك ، وأرجو أن يكون قد نجا من مكاييد القادرين . » وقد أراد بذلك قطام ، فانه ما زال يسىء الظن بها وقد أدرك أنها هى التى وشت بهما الى عمرو بن العاص

فقالت : « انى اتوقع رجوع بلال لاسمع منه ما آلت اليه حال الامام على ومعاوية ، هل نجا احدهمهما . أما عمرو فقد نجا والفضل فى ذلك راجع اليك » فقال : « ولكننى انما بحث بذلك لعمرو فرارا من الهلاك ، ولم اذكر له المؤامرة على قتل معاوية لئلا يبعث اليه بمن يحذره فينجو » قالت : « انى لم الملك قطء . فهذه مشيئة الله . فالآن لابد من الصبر فامض الى فراشك وأنا افترش هذا البساط »

قال : « لا والله انك لاتيتين الا على الفراش وأنا اولى بهذا البساط » وباتت تلك الليلة ، وقد سرت خولة بنجاتها مما كانت تخشاه . وأما عبد الله فانه بات معجبا بخولة كل الاعجاب وقد أسف لحرمانه منها بعد أن عرف فيها هذه الخصال . ولكنه فرح لأنها ستكون من نصيب سعيد

واصبحا فى اليوم الثانى والناس لا يعلمون الا أنهما زوج وزوجة ، وظلا مقيمين فى دار الامير حتى قدرت خولة دنو الوقت الذى كانت تتوقع رجوع بلال فيه ، فاستأذنت فى المضى الى بيت أبيها مخافة أن يأتى بلال فى أثناء غيابها فيطرده أبوها أو يتهدده فلا يراها هناك فيعود من حيث أتى

فوافقها عبد الله على ذلك ، واستأذنا عمرا فى الذهاب الى بيت أبيها فأذن لهما فاستقبلهما أبوها بالترحاب



ولم يمض يومان على مكثهما فى بيت خولة حتى قدم بلال ، وكان وصوله الى الفسطاط فى أثناء النهار ، وأبو خولة فى حانوته ، وكان بلال قد دخل الفسطاط متنكرا فمر بحانوت سيده ونظر اليه خلسة فلما وجده هناك هروا الى البيت ودخل توا الى غرفة سيدته بلا استئذان ، فوجد عندها

شابا لا يعرفه ، وراهبجانبيه كانها جالسة الى شقيق او قرين . فبغت لذلك ولكنه أخذ بما آتسه من ترحابها به فقالت له : « أغلق الباب وادخل » . ففعل ودنا منها وهو ينظر الى عبد الله شزرا . فادركت خولة ما يجول في خاطره فقالت له : « لانسء الظن ، ان هذا أخى بعهد الله فاقصص علينا خبرك ، وقل لنا بادية ذى بدء كيف فارقت الامام عليا ؟ »

فسكت ولم يجب ، فالتحت عليه وقد ذهلت ، فأجابها بصوت مختنق : « ان عليا ذهب ضحية الغدر »

فدقت خولة يدا ييد وضاحت : « والهنى عليك يا أبا الحسن » . وقال عبد الله مثل ذلك . ثم قالت : « وماذا جرى لابن ملجم ؟ » . قال : « انه قتل شر قتلة وأحرق بالنار لعنه الله »

فقال عبد الله : « وكيف فارقت سعيدا ؟ »

قال : « فارقت بخير وعافية وقد سار للبحث عن تلك الخائنة اللعينة »

قال عبد الله : « أو تعنى قطام ؟ »

قال : « نعم ، وما أدراك ، انى اعنيها ؟ وكيف عرفتها ؟ »

قالت خولة : « ألم تعلم من هذا ؟ » . قال : « كلا »

قال : « ألم يذكر سعيد أمامك انه فقد ابن عمه هنا »

قال : « بلى » . قالت : « هذا هو عبد الله ابن عمه »

فبهت بلال وغلب عليه البكاء من الفرح وصاح : « انت حى يامولاي ؟ من لى بمن يحمل هذه البشرى لابن عمك ؟ . والله انى حاملها اليه الساعة بعد ان أسر الى سيدتى كلاما أوتمنت عليه »

فالتفتت اليه وقالت : « قل يا بلال ، ليس على عبد الله سر ، فهو أخى كما قلت لك . قل كيف فارقت سعيدا ؟ »

قال : « فارقت يامولائى . وهومشتاق لرؤيتك ، ولم يات معى مخافة ان يكون عمرو قد نجا من المكيده فلا يامن على حياته . وقد علمت وانا مار فى الفسطاط الساعة انه نجا وقتل غيره خطأ ، ولا أدرى كيف حال سيدى معك فلا آمن عليكما منه »

قالت : « اعلم يا بلال ان ابن العاص تقم على ابن ملجم ورضى عنى ، وهو يجبنى حبه لأولاده . وهو لا يعرف سعيدا ولا أبى رآه ، فاذا جاء لم يكن عليه بأس وشأنه فى الفسطاط شأن كل غريب يدخلها . فاقصص علينا خبر ابن ملجم والامام على وكيف قتله »

ثم أمرته بالجلوس فجلس متادبا وقصص عليهما الخبر . فلما بلغ الى حديث قطام وما ارادته من قتل سعيد هاجت فى نفسها الغيرة والانتقام وقالت :

« فبح الله هذه المرأة ، انى أعرفها واسمع بدهائها فكيف انطلقت حيلتها على سعيد ؟ »

فابتدرها عبد الله قائلا : « انى والله توسمت فيها الشر عندما رايتها » وقص عليها ما كان من امره معها ، فانكشفت لهما الحقيقة وشكرا الله على نجاه سعيد ، ولكنهما حزنا على مقتل الامام على ، ثم استدركت في حديثها فقالت : « وهل سمعت شيئا عن معاوية ؟ »

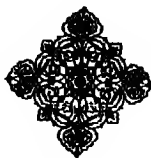
قال : « لقد مررت بدمشق في طريقى فعلمت انه نجا ايضا . وقص عليها خبره كما سمعه فعجبت لاحكام القضاء كيف تسمح بقتل على وتبقى على معاوية وعمره ، ثم قال عبد الله : « واين سعيد الآن ؟ »

قال : « هو في انتظارى بدمشق ، فاذا امرت مولاتى عدت اليه حالا وجئت به على عجل ، وأرجو أن يكون قد ظفربتك الخائنة وانتقم منها ، واذا لم يظفر هو بها فلسنت انا بئاركها حتى انتقم منها لما ارتكبته من الاجرام »

قالت خولة : « بورك فيك يا بلال ، فاذهب الآن وات بسعيد على عجل » فقال : « وهل آتى به الى بيتك هنا ؟ »

فاستصوبت خولة سؤاله ، لان مجيئه الى بيت ابيها يعقد الامور ، فنظرت الى عبد الله كأنها تستفتيه فى الامر فأشار اليها بأنه يريد البحث معها فى ذلك سرا

فالتفتت الى بلال وقالت : « اخرج الآن قبل أن يأتى أبى وهو ناقد عليك ، لاعتقاده انك فررت بالجملين من داره ، وانتظر عبد الله فى المسجد الليلة وهو ينبئك بما تفعل »



العزم على الكوفة

خرج بلال وبقي عبد الله وخولة على انفراد فقالت خولة : « وما العمل يا عبد الله ؟ اخاف اذا جاء سعيد وارادنا الطلاق أن يفتح علينا باب الأخذ والرد ونحن نود كتمان الأمر فما الرأي ؟ »

قال : « أرى أن نلتبس من عمرو الأذن بالخروج من الفسطاط والذهاب الى الكوفة ، فقد كنت طلبت منه ذلك فأخبرني الى ما بعد عقد القران . فهم لا يعرفون الآن الا انك امرأتى ، والرجل يذهب بامراته حيث شاء . فلذا نسرنا الى الكوفة واوصينا بلالا بأن يوافينا بسعيد الى هناك عقدنا قرانكما هناك ، ولا رقيب علينا ولا واش . واذا طاب لنا أن نعود الى الفسطاط عدنا بعد ذلك والا فاننا نقيم بالكوفة الى ما شاء الله »

فصممت خولة برهة تفكر في الأمر ، فرأت عبد الله مصيبا فقالت : « نعم الرأي رايك ، ولكننى اعتدت الحياة في الفسطاط والفت الإقامة بواديها ولى فيه الأهل والأصدقاء ، فاذا اتيج لى البقاء فيها كان أولى وأبقى »

قال : « لا أنكر ذلك ، وهو ميسور لك فيما بعد ، وأما الآن فلا أرى خيرا من الذهاب الى الكوفة »

قالت : « وأخشى الا يأذن أبى في ذهابنا الى الكوفة فهو يريدنى أبدا بقربه ، وليس له سواى فلا أخاله يرضى بغير أقامتنا هنا »

قال : « نحتال ونتملقه حتى يأذن لنا ولو بعد حين ، ونوصى بلالا بأن يخبر سعيدا ان يبقى بانتظارنا حتى نأتيه »

قالت : « أفعل ما بدالك وعلى الله التوفيق »

قال : « فلنعد الآن الى دار الأمير ، فان خروجنا من عنده أسهل ، لانه هو الذى وعدنى باخلاء سبيلى للبحث عن ابن عمى سعيد ، فأذكره بوعده ولا اظنه يمنعنا من السفر »

قالت : « نبيت الليلة هنا ونصبح الى دار الأمير »

قال : « حسنا » . فلما كان العصر خرج الى المسجد ، فوجد بلالا فى انتظاره فأوصاه بأن يذهب بسعيد الى الكوفة ويبقى بها حتى يأتيها اليه ، فسر بلال وابتسم وقال : « هذا ماكنت أرجوه من مولائى ، لآنى أقدر على الانتقام من قطام اللعينة اذا كنت بالكوفة »

فضحك عبد الله وقال : « وأوصيك اذا ظفرت بها بالآ تعفون عجزوها
لبابة فانها شر منها »



ولما رأى عبد الله نفسه بباب المسجد ، والصلاة قائمة والناس يدخلون
افواجا ، دخل مع الداخلين . فرأى ابن العاص على المنبر يعظ الناس وهم
صامتون ، فوقف حتى انتهى عمرو من خطبته وانقضت الصلاة ، فهم بالخروج ،
ولم يكذب يارج صحن المسجد حتى اعترضه بعض الشرطة قائلا : « تمهل
بامولاي أن الأمير يستوقفك لأمر يريد أن يخاطبك في شأنه » .
فقال : « وابن الأمير ؟ »

قال : « كان في المسجد ، وقد ذهب الآن الى داره من باب في المحراب »
قال : « وهل يريد مقابلتي الآن ؟ » . قال : « نعم »

فاضطرب عبد الله وخاف أن يكون قد وشى به أحد ممن اطلعوا على
مهمته في الفسطاط ، ومشى حتى أقبل على مجلس عمرو ، وكان اذا وصل الى
المجلس دخل بلا استئذان . فلما هم بالدخول اعترضه الحاجب قائلا : « تمهل
حتى نستأذن لك » . فوقف عبد الله ودخل الحاجب ثم عاد فقال : « ان الأمير
يريد الخلوة بك هذه الليلة ، فاذا اتيت في العشاء تعال وحدك »

فاستقر عبد الله ذلك الشرط ، وأشكل عليه المراد منه ، فاستزاد الحاجب
ابضاحا وسأله : « هل المراد أن آتى وحدي من غير خولة ؟ »

قال : « اظن هذا هو مراده ، فانه قال : (ليأت وحده لكلام سألقيه اليه
على انفراد) . »

فعظم الامر على عبد الله وحسب لذلك الف حساب . ولم تكن الشمس
قد مالَت الى الغروب فعاد الى البيت والهواجس تتقاذفه وظهرت عليه علامات
القلق ، فلما أقبل على خولة ورأت على وجهه آيات الاضطراب ابتدرته قائلة :
« ما بالك يا عبد الله ؟ ماذا أصابك ؟ انى أرى في وجهك قلقا ، قل رعاك الله
ما أوجب ذلك ؟ »

قال : « ليس هناك ما يوجب القلق » . واعتذر وأبهم
فلم تقنع ، ولكنها سكنت على أن تستطلع السر بلباقة بعد قليل . فقالت :
« وهل رأيت بلالا ؟ »

قال : « نعم وقد أوصيته بما يقوله ليعيد » .

قالت : « وهل سافر ؟ »

قال : « أظنه يستريح الليلة خارج الفسطاط ويرحل في الغد مبكرا »

وفيما هما يتحادثان جاء أبوها والغضب باد عليه وكانت خولة تعرف حاله
 هو النظر اليه . فلما رآته هكذا ازداد اضطرابها وجعلت تفكر في غضب
 الاثنين . فخطر لها أنهما تخاصما ولكنها لم تجد سببا لذلك . ولم تجسر على
 سؤال والدها ؛ ولم ترد أن تلج على عبد الله فتركت ذلك الى الاختلاء به

وبعد قليل حضر الطعام فجلسوا اليه وليس فيهم من يتكلم الا تفضلا
 فلما انتهى عبد الله من طعامه نهض وقال لخولة ولأبيه : « اني ذاهب في
 حاجة تقتضى غيابي ساعة » . وكان قوله جاء طبق ما يرجوه أبو خولة ، فلم
 يسأله عن سبب ذهابه ولم يطلب منه التعجيل بالعودة

فازدادت خولة حيرة وظلت ساكنة ، ولم يخطر لها أن للذهاب عبد الله علاقة
 بما بدا لها في وجهه من الانقباض . ولكنها رافقته الى باب الدار وتوسلت اليه
 ألا يطيل الغياب . فاجابها بأنه لا يدري متى يعود ، ولم يشأ أن يبوح لها
 بسبب ذهابه ولا ترك لها فرصة للاستفهام ، فودعها وخرج وهو يسرع في
 مشيته ، وأفكاره تائهة فيما عسى أن يكون غرض عمرو من دعوته اليه في مثل
 هذا الوقت

ولما وصل الى دار عمرو خفق قلبه مخافة أن يسمع من الحاجب خبرا جديدا
 يزيد بلبale فلم يزد الحاجب على قوله : « ان الامر في انتظارك في غرفته »

فعمشى عبد الله يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، حتى وصل الى الباب فلما هو
 مغلق فصرعه ووقف ينتظر فتحه فسمع خطوات تسرع نحو الباب يتخللها
 همس لم يفهم منه شيئا . وبعد هنيهة فتح الباب فاذا بعمرو نفسه يفتحه
 بيده ، فبغت لما رآه أمام عينيه وعلى وجهه دلائل الغضب . فحياه عبد الله فلم
 يزد عمرو على قوله : « وعليكم السلام » . وسار الى صدر الغرفة فتبعه
 عبد الله وهو ينظر الى جوانب المكان لعله يرى أحدا . فلم يجد . فالتبس
 عليه الامر لما سمعه من الهمس وهو واقف خارجا . ولكنه رأى في جدار من
 جدران الغرفة بابا عليه ستار والباب يستطرق الى غرفة أخرى فظن أن إحدى
 نسائه كانت عنده فلما علم بقدومه صرفها من الباب الآخر واستقبله . وظل
 يفكر في ذلك وهو ماش في أثر عمرو . فلما جلس هذا على مقعده وقف
 عبد الله بين يديه ينتظر أمره بالجلوس ، فأشار اليه فجلس على وسادة بالقرب
 منه وهو ينتظر ما يقوله وقد نفذ صبره

سكت عمرو لحظة وهو يعبث بكرة (سوط) كأنه يتشاغل بها عن قلق
 بخامر ذهنه ، ففتح عبد الله الحديث قائلا : « كيف حال مولاي الأمير ، وما
 الذي يأمر به عبده فقد لبيت دعوته وأنا راج أن يكلفني امرا اقوم بقضائه
 جزاء لبعض ماله من اليد على ؟ »

فالتفت اليه عمرو وهو يمشط لحيته وقال : « انما دعوتك لاسالك سؤالا
 واحدا ، وأرجو أن تصدقني الجواب بما أحسبني أجزله لك من الجميل

وابقيت عليك بعد ان رايت الموت، راى العين «
فوقف عبد الله احتراماً وقال : « يعلم الله انى لا انسى جيلاً اوليتنى اياه ،
باغضائك عن جريمة اقترفتها ، ثم بأنعامك على بحياتى وهى خير هبة ؛ فكيف
لا اصدقك القول ؟ » . قال ذلك وقلبه يخفق خوفاً من سماع ما قد يكون
سبب تقمته عليه

فأقعدته عمرو وقال : « بلغنى اليوم من مطلع على احوالك انك انما جئت
الفسطاط مع رفيقك سعيد للفتك بى فهل هذا صحيح ؟ »
فنهض عبد الله ثانية وقال ولهجة الصدق بادية على وجهه : « كلا يا مولاي ،
ان ما بلغته كذب واقتراء »
قال : « وما الذى جاء بكما اذن ؟ »

قال : « اما وقد سألتنى ، فاسمح لى بأن اقول الحق وارجو منك ان
تصدقنى »
قال : « قل الصدق ولا تبال ، فلا بأس عليك الا اذا رايت فى كلامك عوجاً
فلا تلم الا نفسك »
قال : « اقسم برأس الامير انى لا اقول غير الحق ، ولكن حديثى طويل فهل
أبسطه كله ؟ »

قال : « اجنى أولاً عن سؤالى موجزاً ، فاذا رايت ما يدعو الى التفصيل
طلبتك . سالتك عما دعاكما الى المجئ الى الفسطاط والاجتماع بتلك الزمرة
المعادية ؟ »

قال : « انما جئت للبحث عن الفادر الطامع فى قتل الامام على »
قال : « ولماذا ؟ » . قال : « لكى أبذل جهدى فى زجره واتقاذ الامام من
الموت ؟ »

قال : « كيف تفعل ذلك وانت اموى على ما اعلم ؟ »
قال : « لقد الجأتنى يا مولاي الى بعض التفصيل . ألم تعرف جدى
ابا رهاب ؟ »

قال : « بلى أعرفه وقد سمعت بوفاته قريباً »
قال : « نعم انه مات وقد كان الى يوم مماته يكره عليا ويدعو الى قتله ،
ولكنه فى يوم مماته استخلفنى واستخلف ابن عمى سعيداً الانبى شراً بعلى ،
بل اذا رأيتنا سبيلاً الى الدفاع عنه ان نفعل ، فلما سمعنا بالوامة علمنا أن
التأمر من اهل مصر ، ولكننا لم نعلم من هو فجئنا للبحث عنه وردعه بالتى
هى احسن . ولم نر سبيلاً لمعرفة الا عن طريق اصحاب عين شمس لانهم
على دعوة على »

فقال : « ألم تكن عالماً ايضا بتأمر رفيق ابن ملجم على قتلى ؟ »

فقال : « بلى . ولولا ذلك لم استطع اطلاقك عليه »
قال : « وكيف لم تطلعي عليه حال قدومك ؟ الا تعلم انك تعدد شريكا مع
القاتل ؟ » . قال ذلك ولحيته ترقص غضبا ولسان حاله يقول : « لقد لزمك
الحجة وتبينت خيانتك »

فقال : « نعم اعلم ذلك ، ولكن حلمك قد وسعني من قبل فعفوت عما مضى
وغمرتني بانعامك ، فاذا رأيت أن تعود الى مطالبتي به كان لك الأمر . ولكنني
لا أخال مولاي الأمير اذا عفا عن مذنب يعدل عن عفو »
فلما سمع عمرو كلامه أفحم وسكت

وشعر عبد الله عند ذلك بقوة أثبت فيه ، واثارت الحمية في راسه فهم بان
يستأنف الكلام فابتدعه عمرو قائلا : « لقد علمت انك عرفت خولة قبل أن
أخطبها لك ، وأنها كانت عالة بخير المؤامرة فكيف لما ذكرتها لك ليلة الخطبة
نجاهتها ؟ »

فارتبك عبد الله ولم يدر كيف يجيب ، ولكنه ما لبث أن استرد رباطة
جاشه ، فاعتزم التزام الصدق على طول الخط فقال : « حاش يامولاي أن
أخدعك ، فاني ورأسك وكل غال عندي ، لم أكن أعرف هذه الفتاة قبل أن
تذكرها لي »

قال : « وما تقول في اطلاعها على خير المؤامرة ؟ »
فتحير عبد الله في الجواب ، ولكنه تخلص فقال : « ليس لي أن اجيب عنها ،
فهي جاريتك وزهن اشارتك ، فادعها للمثول بين يديك وأسألهما ، ولا أشك في
أنها تقول الصدق . ولكنني أرغب الى مولاي أن يخبرني بمن وشي بنا اليه
لعلنا نكذبه بين يديك »

قال : « سأجمعكم جميعا وأسمع حجتكم جهارا ، فاذا سمعت أقوالكم
حازيت كلا بما يستحقه . اذهب الى فراشك عندنا ، وعد الينا غدا » . قال ذلك
ونادى « ياغلام » . فدخل حاجبه فقال له : « خذ عبد الله الى غرفة بييت
فيها الليلة وأتني به غدا متى دعوته » . فقال الحاجب : « سمعا وطاعة »

وخرج عبد الله والحاجب يسير امامه ، حتى دخل به غرفة في دار الأمير
التمس فيها النوم ، ولكنه لم يغمض له جفن طول ذلك الليل

وأصبح عبد الله حائرا ، لا يدرى أخرج الى الأمير أم ينتظر حتى يدموه
اليه . ولبث جالسا حتى الضحى واذا بالحاجب قد جاء يدموه الى مجلس خاص
عقده الأمير في غير مكان مجلسه العادي ، فمشى وهو يفكر فيما عسى أن يكون
امر تلك الجلسة ، ومن هو الراشي ، وهل تستطيع خولة الدفاع عن نفسها بما
بضمن نجاتها

ولاحظ منه التفاتة الى ساحة الدار ، فرأى عبدا تذكر أنه وآه فيما مضى ،

ولم يلبث ابن عرف انه ربحان عبد قطام فاختلج قلبه وقال في نفسه : « انه والله وشاية هذه الخائنة » ، واظنها أرسلته الى عمرو »

وما زال ماشيا يفكر في ذلك وقد زلزل زلزالا عظيما ، حتى رأى الحاجب دخل من باب ، فدخل هو في اثره ، فاذا هو في قلعة تصدرها الامير عمرو بن العاص ، كانه جالس للقضاء وعليه جبة بيضاء ، وعلى رأسه عمامة كبيرة ، وقد قعد الاربعاء على وسادة من الدمقس ، وفي يده الدرة والسبحة معا . فتقدم عبد الله نحوه وحياء دون أن يلتفت الى سواه . فامرهم عمرو بالجلوس ، في فتور لم يعهده فيه في مقابلاته الاولى . فجلس عبد الله في بعض جوانب الغرفة ، وأرسل نظره فرأى الى جانبه أباخولة ، وعن يسارهم ثلاث نسوة قد أرسلن النقاب على رؤوسهن فلم يظهر منهن غير العيون من ثيوب فيه .

فعرف منهم خولة ولم يكن يجرؤ على التفرس في الآخرين حياء . فجلس وهو يسترق اللحظ ويفكر ، فخطر له أن أحدهما قطام ، جاءت هذه المرة لانفاذ حيلتها بنفسها . ثم ما لبث أن عرف الاخرى فاذا هي لبابة المعجوز ، فتتحقق انهما وشتا به وبسعيد . وكانت قطام قد خلعت الحداد على أيها واخيها بعد قتل الامام علي ، فارتدت كساء من الحرير الاحمر القاقع المزركش بالقصب ، من صنع فارس ، لا يستطيع لبسه الا الاغنياء . وكان نقابها مزركش الاهداب يدل على يدخ وترف . وتصور عبد الله جالها وفصاحتها وحيلتها فعلم انها قلبت عمرا على رايه ، فاخذ يتأهب للدفاع

ومضت برهة والكل صامتون ، وعمرو ينظر الى الارض والدرة في يده كانه ينكت السياط بها ، ويده الاخرى على لحيته بداهب شعرات منها بين أنامله ، والاهتمام باد في وجهه . ثم رفع بصره ونظر آلى الباب ونادى غلامه ، فدخل فقال له : « لاتاذن لأحد » . قال : « سمعا وطاعة » . وخرج

ثم التفت عمرو الى أبي خولة وقال : « اهدأ جزء احسانى اليك يا أباخولة ؟ » فوقف أبو خولة وقد عرته دهشة وقال : « ماذا حدث نامولاي ؟ . انى ما زلت مخلصا لك ، خادما لمقاصدك »

قال : « ربما كنت كذلك ، ولكن خولة هذه (وأشار اليها) : تواطىء الناس على قتلى ، وتسعى في انقاذ ابن أبى طالب »

فلما سمع أبو خولة قوله ، مشى مسرعا حتى امسك ابتته وقال : « انى لا أعرفها إلا جارية من جوارى مولاي ، فاذا ارتكبت شيئا من ذلك فانى أذبها بين يديك » . قال ذلك وجذبها كانه يريد تقديمها لعمرو

فقال له عمرو : « عد الى مكانك ، ودعها تتكلم ، فانى لا أريد أن أعاقبها الا بعد مقاضاة ، فاذا صح ما قيل عنها كان القتل أخف قصاص لها »

فلما سمع عبد الله تلك اللهجة الشديدة ، اختلج قلبه في صدره ، وخاف عاقبة تلك الجلسة ، ولكنه تجلد وصبر

دعوى قطام على خولة

ثم التفت عمرو الى خولة وقال : « ما قولك يا خولة ؟ »
فوقفت وقالت بصوت رائق وجاشى ثابت : « ماذا أقول يا سيدى ؟ وأنا
لا أعرف التهمة التى وشى بها اليك الواشون . فاذا صمعتها ذكرت لك
الحقيقة ، ولك الامر بعد ذلك ، فاذا استوجبت القتل فما أنا خير ممن قتل
من رجال الاسلام فى هذه الفتنة ! »

فعجب عمرو لتلميحتها الى الأحداث التى وقعت اخيرا فقال لها : « مالك
ولهذا الكلام يا خولة ؟ قولى ما جوابك عن سؤالى »

قالت : « اذا كان الأمير حرسه الله قد جعل دى حلالا أن ثبتت التهمة
على فلا اقل من أن أسمع التهمة الموجهة الى »

قال : « صدقت وسأمد لك فى حبل الدفاع حتى تبدي كل ما لديك منه ،
ولا أظنك الا مقرة بجنايتك ، لانها ثابتة ثبوت النور فى النهار » . قال ذلك
ثم أمرها بالجلوس ، فجلست

فقال عمرو وقد وجه حديثه الى قطام : « ما قولك يا قطام فى خولة ، وما
تعرفينه عنها ؟ »

وكانت قطام لما ارتاح بالها من امر على وقتله ، وعلمت مما دار بين خادمها
وبين بلال خادم خولة أنها تحب سعيدا وهى التى وجهت عندها معه
واستحثته فى الوصول الى على قبل انقضاء الأجل المضروب لقتله ، قد حملتها
الفيرة ، وهاجها حب الانتقام وطاوعها خلق السوء الذى فطرت عليه أن تأتى
الفسطاط لتشى بها وبسعيد ، وهى لا تشك أنها تثبت الخيانة عليهما فتتقرب
بدلك من عمرو فتنال حظوة فى عينيه ، فتقيم عنده مكرمة أو يتزوجها أحد
أبنائه . وكان عمرو يعرفها من قبل ، فأسرعت الى الفسطاط ومعهما عجوزها
وعبيدها ، فوصلت اليها أمس ، وأسرعت الى عمرو وبشرته بمقتل الامام
على ، ووشيت اليه بخولة وأنها كانت متواطئة مع سعيد على انقاذ الامام
على ، وأنهما كانا يعلمان خبر المؤامرة على عمرو وسكتا عنها ، وقد كانا
يستطيعان لو أخلصا له أن يطلعا عليها . فأعارها عمرو أذنا صاغية ، وبعت
الى عبد الله كما تقدم . ثم رأى من الحزم أن يجمعهم ويسمع أقوالهم قبل
اصداره حكمه

فلما قالت خولة قولها ، وطلب عمرو من قطام أن تبسط التهمة ، نهضت ومشت خطوتين نحو الأمير ، وثوبها المزركش يجر وراءها تيهًا وبدخًا . ثم وقفت وقالت بلسان مبین : « أما ما يسألني الأمير عنه فلا احتاج في إثباته الى دليل . وتفصيل الأمر أن مولاي الأمير يعلم إخلاصى له ورغبتي في خدمته ، حتى اننى عندما سمعت بمجتمع العلويين في عين شمس بعثت اليه رسولا يخبره خبره . ولو لم أجد من أبعثه في تلك المهمة لجئت بنفسى . ولم أذكر هذا الدليل الصغير الا تذليلا على إخلاصى . أما خولة واطلاعها على خبر المؤامرة فأمر لا شك فيه لانى أعلم علم اليقين أن سعيدا ورفيقه هذا (وأشارت الى عبد الله) لما قدما الفسطاط كانا عالمين بخبر تلك المؤامرة ، وقد سمعت ذلك منهما بأذنى . وهما انما أتيا للاجتماع بالعلويين . وبعثت يومئذ عبدى بخبر ذلك الى مولاي الأمير ، فلما عاد عبدى أخبرنى أن جند الأمير قبضوا على العلويين ، وأن عبد الله وسعيدا في جلتهم . ولم يكن يعلم أن سعيدا نجا بمساعدة خولة هذه . أما انا فأنى عرفت ذلك لما عاد سعيد الى الكوفة مسرعا ، لاطلاع على بن أبى طالب على خبر المؤامرة ، غيرة منه عليه . وقد ترك حياة الأمير عمرو بن العاص في خطر . وكان رفيقه في عودته بلالا خادما خولة هذه ، فانه صحبه الى الكوفة ، وهناك التقيا وعبدى ربحان ، واتضح له من خلال الحديث أن بلالا وخولة عالمين بسر الأمر . ولما لم ينجح مسعاهما في انقاذ على ، فنعما بأن يكون مولاي حرسه الله قد أصيب بما أصيب به ذاك . ولكن الله سبحانه وتعالى انقذه من مخالب الموت وحرسه بعين عنايته . فترى يا مولاي مما قدمته أن خولة كانت عالمة بخبر المؤامرة ، كما كان يعرفها عبد الله وسعيد ، فلو كانت مخلصه لمولانا الأمير ما كتمتها عنه »

فقال عمرو : « وما الذى يثبت لنا أن سعيدا وعبد الله كانا عالمين بالمؤامرة على قتلى لما أتيا الفسطاط ؟ »

وكانت لبابة العجوز صامئة الى تلك الساعة ، فلما طرح عمرو هذا السؤال ابتدرته هى قائلة : « لا شك انهما كانا عالمين لأنهما أخبرانا بها ليلة سفرهما الى الفسطاط »



كانت قطام تتكلم وخولة مطرقة تفكر بماذا تجيب . أما عبد الله فانا لعن الساعة التى أتت فيها تلك الحادثة ، وخاف على خولة أن تتلعثم أو تفحم بالأدلة التى قامت على اتهامها

أما أبو خولة فلم يكذب يسمع حديث قطام حتى استشاط غضبا ، وصاح في خولة بأعلى صوته : « الله عليك يا خائنة ، لقد فهمت الآن تلاعبك ونفاقك ! »

ثم التفت الى قطام وقال : « متى لقي عبدك عبيد مع ذلك الرجل في الكوفة ؟ »

قالت : « ليلة ١٧ رمضان »

فاطرق برهة ثم اقترب من خولة وجذبها بيدها الى وسط القاعة وقال لها : « لقد انكشف لي القناع الآن وعلمت سبب سفر بلال ، فقد ارسلته مع حبيبك ليساعده على انقاذ ابي تراب (على بن ابي طالب) . وقلت لي : (انه فر بالجملين) . والواقع انه اخذهما معه ليركب هو ورفيقه « . ثم التفت الى عمرو وقال : « ان ابنتي يا سيدى تستحق القتل ، فاقتلها او دعنى اقتلها بين يديك »

فوقف عبد الله وقد تارت فيه الغيرة على خولة ، وهو يظن سكوتها خوفا او ارتياكا ، لانه لم ير ملاحظتها من وراء النقاب ، فامسك اباها وقال برزانة وسكينة يخاطب عمروا : « الشمس من مولاي الامير وقد امر ان تكون خولة زوجة لي ، ان يوقف اباها عند حده ، فهو الآن لا يملك من امرها شيئا . اما اذا اقترفت هى ذنبا يستوجب قصاصا فالامر فيه لمولاي وليس لاحد سواه »

وكان عمرو قد اقتنع بثبوت الجريمة على خولة ، ولكنه احب ان يسمع دفاعها ، وراى عبد الله يتكلم بحق موعدل ، فقال لابي خولة : « دع خولة فانت كما قال عبد الله لا تملك من امرها شيئا »

فتنحى ابو خولة وهو يلهث ويدمدم ، ولحيته ترتعش على صدره . وتنحى عبد الله ايضا وخولة لا تزال واقفة . اما قطام فقد ازاحت خمارها فبان الابتهاج على وجهها لنجاح مهمتها

فقال عمرو : « ما بالك يا خولة لا تدافعين عن نفسك ؟ . اليس ما قالته قطام عنك صحيحا ؟ هل كنت عالمة بخبر المؤامرة على قتلى ؟ »

قالت : « نعم »

قال : « وهل عاونت سعيدا على انقاذ الامام على ، فارسلت معه خادماك وجليك ؟ »

قالت : « نعم كل ذلك صحيح »

فتعجب عمرو وسائر الحاضرين من صراحة اقرارها ، وقد كانوا يتوقعون انكارها او تلغيمها او سكوتها . فلما رآها تجيب بهذه الصراحة قال لها : « وكيف تظهرين الغيرة على صاحب الكوفة (على) مع علمك ان اباك لا يريد ذلك ، ثم لا يخطر ببالك ان تخبرى اباك بالمؤامرة على قتلى لسكى يطلعنى عليها ؟ . الا تعلمين ان عملك هذا يعد خيانة تستوجب عليهما القتل ؟ . وها انتى لا ازال اطليل لك حبل الدفاع لاسمع كل اقوالك ، فاخبرينى كيف

تكونين على غير ما يريدك وأمر البلاد ؟ وكيف تسمين في انقاذ على بن
أبي طالب ولا تسمين في انقاذ أمير مصر ؟
وقبل أن تهم خولة بالجواب اعترضتها قطام قائلة : « أرى مولاى الأمير
يتعب نفسه بما لا طائل تحته . هل بعد اقرارها الصريح شيء ؟ . وهل
لهذه الخائنة من دواء الا القتل ؟ »



قالت خولة وهى تنظر الى قطام شذرا : « سوف يتضح من هى الخائنة ،
وقد كان يجدر بك التادب في حضرة الأمير ، فانه أعلم منك بقواعد الحكم »
ثم وجهت خولة خطابها الى عمرو وقالت : « أرجو من الأمير أن يطلق
للسانى الحرية لأقول كل ما يجول في خاطرى »
قال : « قولى ما بدا لك »

قالت : « اما سبب مخالفتى أبى في رأيه وتحزبى للامام على ، فلانى صادقة
مخلصة في فكرى وقولى ، وهو المنحرف المتقلب . وما كنت لاصف أبى بهذا
العيب لو لم يضطرنى الى ذلك »
قال عمرو : « وما معنى هذا ؟ »

قالت « يعلم مولاى الأمير أن أبى ربه في نعمة الامام على ، وأنا في حجره ،
مع ايماننا بأنه ابن عم الرسول (صلعم) وانه على الحق في أعماله » . فأراد
أبوها أن يقطع حديثها ، فاعترضه عمرو وألزمه السكوت فقالت : « فلما
كانت وقعة صفين كان أبى في جملة من خالفه من الخوارج في امر التحكيم .
فهو الذى انحرف عنه . أما انا فضلت على رأيى ولا أزال عليه الى اليوم »
فقال عمرو وهو معجب بشجاعتها : « ولكن عليا شارك الجهال في قتل
الخليفة عثمان ، فقتلوه ظلما ونحن انما قمنا نطالب بدمه »

قالت : « اما مقتل الخليفة عثمان فارجو من مولاى الأمير الا يلجئنى الى
الخوض في شأنه ، لانى ربما اضطرت الى ما اتجنب ذكره »
قال : « وما الذى يخيفك بعد ما أبديته من الجرأة »

قالت : « يخيفنى غضب الأمير لأمر يعلمه »

قال : « قولى كل ما يبدو لك ولا تخافى »

قالت : « اما مقتل الخليفة عثمان فلا أظن مولاى عمرا الا من الراضين به »
فبغت عمرو وقال : « كيف تقولين ذلك يا خولة ؟ »

قالت : « ألم يكن مولاى في جملة المحاصرين لعثمان ؟ ألم تقل له : (قد
ركبت يا عثمان أمورا ركبناها معك ، تب يا عثمان وارجع الى الله) . فاسمعك

هو كلاما جارحا . ثم لما قال لك : (انى تأب) . قلت له : (رأيناك تتوب ثم تعود) .. »

قال : « وهل يؤخذ من ذلك انى كنت اريد قتله ؟ »

قالت : « كلا ولكنه يدل على أنك كنت ناقما عليه »

قال : « انما كنت ناقما عليه ليرجع عن اعماله ويبقى على خلافته »

قالت : « لو كان هذا قصدك فقط لما فرحت بقتله »

فذهل عمرو من سعة اطلاعها على خفايا الأمور فسألها : « وما دليلك على ذلك ؟ »

قالت : « دليلى قريب اذا أمننى الأمير قتله »

قال : « قولى »

قالت : « الم تكن فى فلسطين يوم قتل عثمان ؟ فكنت اذا لقيت احدا حرصته على قتله ؟ الم تحرض عليا وطلحة والزبير عليه ؟ . ثم لما جاءك رجل أخبرك بمقتل عثمان ، الم تقل : (أنا عبد الله اذا حككت قرحة نكأها) . ؟ »

فلما سمع عمرو قولها استغرب جراتها وغضب لتصريحها بأمور كان يود كتمانها ، ولكنه كان قد أمنها . وكان ذاهية يحول الكلام كيف يشاء فقال لها : « لقد أعجبني دفاعك يا خولة ولكننا لسنا فى معرض الدفاع عن على أو عن عثمان ، ولا يهمنا انحرافك أو انحراف أبوك ، وانما يهمنا اطلاعك على خبر المؤامرة على قتلى ثم سكوتك الى آخر ساعة وأبوك بين يدي كل يوم فكأنك اشتركت فى المؤامرة » . قال ذلك وهو يحسب أنه سد عليها ابواب الدفاع . وكان اشد الناس خوفا عليها عبد الله وقد خيل اليه أنها لم تعد تستطيع دفاعا بعد اقرارها السابق

اما هى فهمت بالكلام فاذا بقطام تقول : « انى لأعجب من حلم الأمير ، وما يرجوه من دفاعها عن ذنب اعترفت به صريحا »

فلم تعبأ خولة بكلام قطام ولكنها أجابت عمرا قائلة : « انى لا أنكر عليك عظم هذا الذنب بالنظر الى ما كنت ترجوه من قيامى بأمر الحوارج وموافقة أبى على تأييد أمركم وتصديق دعواكم ودعوى معاوية من انكم على الحق ، وقد قدمت لمولاي انى فعلت ذلك وانا على دعوة الامام على فذنبى من هذا القبيل لا يعد شيئا بالنظر الى ذنب هذه المرأة (وأشارت الى قطام) التى انما جاءت بهذه الوشاية غيرة عليك وضنا بحياتك فاتهمتنى بالخيانة لانى كنت عالمة بخبر المؤامرة ولم أخبرك بها . فما الذى منعها هى عن اخبارك بذلك يوم ارسلت عبدها عبد السوء للوشاية بأصحاب عين شمس . فادا كانت هذه المرأة صادقة فى دعواها الم تكن هى اولى منى باطلاعك على ذلك الأمر ؟ اسألها وانظر فى جوابها »

فانتبه عمرو وكأنه صحا من ذهول فرأى خولة على حق في دعواها
فالتفت إلى قطام لفظة استفهام فلم يسمع منها جوابا . فقال لها :
« ما تقولين يا قطام ؟ لماذا لم تخبريني بخبر تلك المؤامرة »
فارتبكت وأجابت مترددة وقالت : « لاني لم اكن عالمة بخبرها يومئذ »
فظهر لعمرو التلاعب في كلامها ، ولكنه أراد تحقيق ذلك فقال لها :
« ولكنك قلت الآن أنك سمعت خير المؤامرة منهما ، فهل سمعته قبل
إرسال عبدك الينا أو بعده ؟ »
فانخدعت قطام بسؤاله فأجابت على الفور : « لم أسمعها الا بعد سفر
عبدى وكنت عازمة على إرسال غيره فلم اتمكن لمشاغل انتابتني »
فتقدم حينئذ عبد الله وهو يكاد يرقص فرحا بخذلان قطام وقال : « ولكن
عبدك يا مليحة لم يسافر من الكوفة الا بعد سفرنا ، لانه انما قدم الفسطاط
ليخبر الأمير بخروجنا من الكوفة »
فأشار عمرو إليه فسكت ، وعاد هو إلى السؤال فقال : « ان هذه العجوز
ذكرت أنكما سمعتما الخبر متهما ليلة سفرهما . فما تقولين ؟ »
فغلب الحنق على قطام فقالت : « هذه عجوز حقاء غلب عليها الخرف فلا
يعتد بقولها »
فغضبت لبابة لعقوق قطام واهانتها إياها على هذه الصورة ، وهى تعتقد
فضلها عليها فقالت لها : « انا لم أقل ذلك الا بعد قولك ، بما لك من خائنة .
كيف تقولين ان الخرف غلب على وائت انما غلب عليك النفاق ؟ »
فاشتد حنق قطام ولم تعد تسمى ما تقول لفشلها وخجلها فقالت : « اخرجنى
يا مجنونة ولا تتكلمى بين يدى »
فقالت لبابة : « بل أنت المجنونة وائت الخائنة ، واذا لم تلزمنى حدك اطلمت
الأمير على سرائرك وفضحت أمرك »
فقالت : « وماذا عسى ان تقولى وائت خادمة لا يعتد أحد بأقوالك ؟ »
وكانت لبابة قد تحققت وقوع قطام في شر أعمالها ، فأرادت ان تخلص
نفسها وتنجو بحياتها ، فلم تر أهون عليها من التخلي عن قطام بفضح
أسرارها فقللت على الفور : « ان أسرارك كلها فى يدى ، واذا اذن مولاي
الأمير كشفت له عن كل شيء »
فسرت خولة وعبد الله بذلك الخصاص . أما عمرو فرأى لدهائه وتعقله ان
خولة ممن يحرص على صداقتهن ، وانها اذا كانت على دعوته لا يخشى
انقلابها . واما قطام فانها اذا اخلصت له اليوم لا يأمن ان تخونه فى الغد
فقال للعجوز : « قولى ياخاله ماذا تعرفينه ؟ »

فاخذت لبابة تسرد حديث قطام مفصلا من اوله الى آخره ، والكمل مصفون صامتون ، ففضحت اسرارها ، وعرف عمرو ان ارسالها عبدها اليه لم يكن حبا له ولا نصرة لحزبه ، بل انتقاما من سعيد وعبد الله . وتبين لديه ان هذين انما اندفعا للدفاع عن على بوصية جددهما ابي رحاب ، وانضح له طليا ان قطام خائنة لا يوثق بقولها ولا يعتمد عليها ، وان بقاءها على قيد الحياة شر على العالمين . ولم يكن اعتقاده في لبابة بأحسن من ذلك لانه رأى خيانتها رأى العين فصمم على التخلص من كليهما وكانت قطام في اثناء حديث لبابة واقفة وقوف الصنم ، وقد جد الدم في عروقها واصطكت ركبناها . وكانت في اول حديث لبابة تهم بتكذيبها وعمرو يسكتها ، ثم سكنت من تلقاء نفسها . فلما فرغت لبابة من حديثها نادى عمرو : « يا غلام » . فلما جاء حاجبه امره ان يسوق قطام وعجوزها الى السجن



فلما خرجتا من المكان ساد السكوت هنيهة ، وقد غرق عمرو في التفكير في خولة وشهامتها وصدق مودتها فرأى انها اذا كانت على دعوته لا يخشى ضررها بل قد تكون اكبر عون له اذ يندر مثالا بين النساء ، وغلب على اعتقاده انها بعد مقتل الامام على لم يبق لها سبيل لنصرته ، فلا مانع يمنعا من الاخلاص له هو ، ولا سيما اذا عفا عنها وعن زوجها عبد الله وبعد السكوت هنيهة خاطبها قائلا : « والان ما قولك ياخولة ، ما الذى نصنعه بك ؟ »

قالت : « لا ابالى يا مولاي ان تصنع بى ما تصنع بعد ان بسطت لك الحق فقد صدقتك القول ، فاذا امرت بقتلى فانى لا أزيد عدد الموتى ولا اقلل عدد الاحياء ، ولا فائدة من بقائى ولا ضرر من مماتى ، وقد ذكرت لك في اول حديثى انه قد قتل ودرج تحت التراب من لا اقاى بأنملة من أنامله . فهل انا افضل من ابي بكر وعمر وعثمان ؟ ام انا خير من ابن عم الرسول ؟ (صلعم) . فاذا شئت فاقتلنى وارحنى من حياة لاعدل فيها ولاحق . ولكننى اطلب اليك اذا قتلتنى الا تعفو عن تلك الخائنة الفادرة » . قالت ذلك ودمعت عينها

فتأثر عمرو من صدق لهجتها وثبات جأشها فقال لها : « واذا عفوت عنك ؟ » قالت : « واذا عفوت فالعفو من شيم الكرام ، وتكون حياتى هبة من عندك » فتقدم عبد الله للحال وجسا بين يدي عمرو وقال : « أرجو من مولاي ان

يهبني حياة هذا الملاك الطاهر ، كما وهبني حياتي فتكون بدا تضاف الى
أيديه السابقة »

وكان ابو خولة واقفاً وقد سحر بما أبدته ابنته من الحمية والشهامة ،
وخجل لأنه لم يكن صادقا في اخلاصه لعلی مثلها . فلما رأى عبد الله يلتمس
العفو لابنته تقدم هو ايضا وقبل بدي عمرو وقال : « لقد كنت ياسيدى أشد
نقمة منك على خولة ، ولكننى أراها والله خيرا منى ، وارانى أصغر منها
فألتمس لها العفو ايضا » . قال ذلك ونادى خولة فدنت فقال لها : « قبلى
يد الأمير واستغفرى لذنبك » . ففعلت

وتصافح أبو خولة وعبد الله ، وعادا الى مقعديهما ، وقد تذكر عبد الله ابن
عمه سعيدا وعلاقته بخولة ، فقال في نفسه : « انها فرصة لا ينبغي ضياعها » .
ثم خاطب عمرا قائلا : « أما وقد وهبتنا حياتنا جزاء لصدق لهجتنا ، فلا
يسعنى والحالة هذه الا أن اتم الصدق بكشف سر لا يزال مكتوما »

فلما قال ذلك علمت خولة انه سيتكلم بشأن سعيد ، فحقق قلبها وغلب
الحياء عليها ، فانزوت في بعض جوانب الغرفة
أما عمرو فقال لعبد الله : « قل ما بدالك »

قال : « انت تدعونى الآن زوج خولة ، وما انا والله الا اخوها »

فبغت عمرو وابو خولة ، وقال عمرو : « كيف ذلك وقد عقد قرانكما ؟ »
قال : « نعم انها زوجتى في الظاهر ، ولكنها لاتزال بكرا وقد أختيتها فهى
أختى بعهد الله والرجل لايتزوج أخته »

فازداد استغراب عمرو وقال : « وكيف ذلك ؟ أفصح يا عبد الله »

قال : « ان خولة أحببت ابن عمى سعيدا قبلى ، ولابد انكم لحظتم ذلك من
خلال حديث قطام ، ولكننى لم أعلم ذلك الا بعد عقد قراننا ، ونظرا الى حبنى
الشديد لابن عمى ، وقد كفلته للى جدى أبى رحاب ، فقد أمسكت نفسى
عن خولة وأختيتها . وأعترف لمولاي الأمير ، أننا تواطأنا على الخروج بحيلة من
الفسطاط الى الكوفة وسعيد ينتظرنا هناك فازف له خولة »

فلما سمع عمرو كلامه ازداد اعجابا بشهامته وصدق مودته ، ونظر الى
ابى خولة كأنه يستطلع رايه في الامر ، فاذا هو لم يكن أقل اعجابا بتلك
الشهامة ولكنه لم يتمالك عن أن ينهض ويضم عبد الله الى صدره وقبل رأسه
وقال : « بورك فيك من صديق صادق ، أما وقد صارت خولة أختا لك فاقضى
لها ما أنت قاضى »

فقال : « اذا أمر مولاي بعثنا الى سعيد في الكوفة مع بلال العبد ، فيقدم
الينا »

فقال عمرو : « على الرحب والسعة » . وأمر غلامه أن يمد عبد الله بما يريد ليتمكن من استقدام سعيد

فجهز عبد الله رسولا وكتب الى سعيد يستقدمه ويبسط له واقعة الحال ، وأوصى الرسول بأن يجعل طريقه على دمشق ، فسعيد كان فيها فلعله لا يزال هناك

واستأذن أبوخولة وابنته في الانصراف الى بيته ، فأذن لهما فخرجا وخولة تفكر في قطام ، وكانت قبل هذه الجلسة تريد الانتقام منها ، ولكنها لما رأت ماكان من فشلها انفضت حاة انتقامها . على أنها تذكرت أن بلالا أقسم أن يقتلها ، ناهيك بحقد سعيد عليها ، فعولت أن تستعطفه لكي يعفو عنها ويكتفى بما أصابها من الفشل والاهانة

وأما عبد الله فاستبقاه عمرو عنده بقية النهار ، وبات تلك الليلة ضيفا في دار الأمير ، وقد ارتاح باله من كل جهة . ولكنه كان يفكر في قطام وما أصابها من البلاء وكيف سيقى الى السجن مهانة وقد انكشف أمرها وافتضح سرها ، فخفت نغمته عليها واكتفى بأن تبقى مسجونة حتى يرى ما يكون من أمرها بعد قدوم سعيد

وفي الصباح التالي بعث عمرو اليه ليتناول الطعام معه فذهب ، وفي أثناء حديثهما في شأن قطام وعجوزها ، ذكر عبد الله ما يجول في خاطره من الشفقة عليها فقال له عمرو : « والله انه حلم لم يسبقك اليه معن . وما ظنك بخولة هل تقول مثل قولك ؟ »

قال : « لا أظنها إلا على رأيي »



الجرمة والعقاب

أحب عمرو أن يعرف رأى خولة في قطام فلما جاءت سالها عن رأيها فيها ، فقالت مثل قول عبد الله

فقال لهما عمرو : « انى والله لا عجب من هذا التوارد في خواطركما ، وانه دليل صريح على طيب عنصركما ، وقد كنت قاتلها لو اردتما قتلها لأنها شريرة تستحق القتل . فأرى اذن أن أسجنها في سجن مظلم لتذوق جزاء ما جنته يداها »

ثم نادى غلامه فحضر فأمره أن ينقل قطام الى سجن مظلم وأن يأتي بالعجوز اليه

فذهب الغلام ثم عاد مضطربا وجلا

فقال له عمرو : « ما وراءك هل فعلت ما أمرت به ؟ »

قال : « لا يا مولاي » . قال : « ولماذا ؟ »

قال : « لأنى وجدت الغرفة مفتوحة ، وليس فيها غير جثة المرأة العجوز »

قال عمرو : « وقطام ؟ » . قال : « لم أقف لها على أثر »

فصاح عمرو : « تبأ لتلك اللعينة الخائنة ، هيا بنا ننظر في الأمر بأنفسنا »

ونهبض لساعته ، وتبعه عبد الله وخولة ، حتى اتوا باب الحجرة التى كانت قطام مسجونة فيها . فاذا بالعجوز صريعة لأحراك بها . فأرسل عمرو الى طبيبه ليرى رأيه فى وفاتها فجأة ، ففحصها هذا وقال : « انها ماتت خنقا بعد جهاد وعراك فان فى قمها حجرا ملفوفا بمنديل سد القاتل به فاها لثلا تستغيث فيسمعها الحراس فينكشف أمره »

فقال عمرو : « ومتى كان ذلك ؟ »

قال : « اظنه وقع فى منتصف الليل أو نحوه »

ففحص عمرو باب الحجرة وعاین خلفه ، فتبين له انه خلع من الخارج لأنه رأى آثار الاداة التى عولج بها ظاهرة فى ظهر الباب فقال : « يظهر أن لقطام

شريكا ، لأن يدا عاجلت الباب وفتحته ، فمن فعل ذلك ياترى ؟ »

وكان عبد الله يشارك عمرا في الفحص ، فلما سمعه يشير الى خلع الباب انتبه لساعته وقال : « لقد كشفت الغامض وعرفت القاتل ، انه ريحان عبد قطام ، فقد رأيته في دار الامير امن ، ولم اسمع ان الامير امر بالقبض عليه ، فلعلم اندس وخلع الباب وساعد سيده على قتل العجوز انتقاما لها أو خوفا من لسانها »

فقال عمرو : « لقد أصبت ، انه ذلك العبد بعينه ، ثم امر بالجثة فحملت ودفنت ، وعاد الجميع آسفين لقرار تلك الخائنة من أيديهم

وامر عمرو رجاله ان يبحثوا ويأتوه بها

أما بلال فانه لما بعثه عبد الله لينتظره مع سعيد في الكوفة ، سار الى دمشق ولقى سعيدا فروى له ما قر القرار عليه ، واستنهضه للمسير الى الكوفة ، فاستمعه يومين ريثما يقضى بعض حوائجه . وفي اصيل اليوم الثاني حملا أحامهما وخرجا على جليهما ، على ان يبيتا في غوطة دمشق ويستأنفا سفرهما الى الكوفة في الصباح

وبينما هما امام باب المدينة المؤدى الى الغوطة اذ لقيهما رسول عبد الله القادم للذهاب بهما الى القسطنطينية ، وهو يعرف بلالا فأوقفه ودفع الكتاب الى سعيد فقرأه وهو لا يكاد يصدق لعظم فرحه بالقبض على قطام وبرضاء عمرو وشوقه الى خولة

وأما بلال فأسف للقبض على قطام في غيبته ، مخافة ان يعفى عنها أو ان يقتلها أحد سواه وهو يريد ان يتولى أمرها بيده

فقال سعيد الرسول : « كنا في طريقنا الى الغوطة لنبيت فيها ونصب ووجهتنا الكوفة ، فارى بعد ان حملنا أحامنا ان نظل في طريقنا الى الغوطة فنبيت هناك ، ونصبح في الغد نتمس القسطنطينية ، فصاروا جميعا حتى وصلوا قبيل الغروب الى بحيرة صغيرة حولها اشجار الحور تهب عليها ريح ناعمة فيسمع لأغصانها حفيف يمتزج بتغريد الطيور مما يشرح الصدر ولا ترى مثله الا في تلك الغوطة

وبعد المغرب حطوا أحامهم ، واشتغل بلال ورفيقه بأعداد العشاء

وكان بلال يعرف صاحب البستان ، وقد نزل عليه ليلة قدومه من القسطنطينية ، فترك سعيدا والرسول ومشى بين الاشجار في الظلام يتلمس طريقه الى بيت البستاني فما لبث حتى ضل الطريق لتكاثف الاشجار ، وجعل يتلمس على غير هدى ويزداد بعدا عن رفيقيه حتى أصبح بينه وبينهما ميل وبعض الميل وهو لا يدري ، فوقف ينظر من بين الاشجار لعله يرى نوراً أو

يتبين المنزل . ولبت برهة يعمل فكره ويحاول ان يعرف الجهة التى ترك فيها رفيقه لكى يعود اليهما

وفيما هو فى ذلك اذا بصوت أجفله وهو هدير جل ، أعقبه هدير جل آخر ، فعلم ان القادمين ركب أسى عليهم المساء قبل الوصول الى المدينة . فمكث ينتظر وصولهم ليستأنس بهم ويسألهم عن الطريق . فأسند ظهره الى شجرة وتطاول بعنقه ليحقق الجهة التى منها الصوت . فسمع لفظا وكلاما فأصاح بسمعه فاذا بقائل يقول : « دهنأ نزل هنا ياريحان ، فاذا اصبحنا دخلنا دمشق لأنى اخاف أن يشك فى امرنا اذا دخلناها فى الظلام ، الا تظننا فى امان هنا ؟ »

وسمع الجواب : « نعم يامولاتى »

فأقشعر جسمه عند سماعه ذلك الصوت اذ عرف فيه صوت قطام تخاطب ريحان وهى خائفة ، وتأكد انها آتية فرارا من سجن الفسطاط



وكانت قطام لما ارسلت الى سجنها حقدت على لبابة كما مر . ونظرا الى ما فطرت عليه من اللؤم والقسوة لم يكن أسهل عليها من قتل لبابة . وكان ريحان يومئذ واقفا فى دار الامارة ، فلما رأى سيدته ولبابة سائرتين مخفورتين علم انهما فى ضيق ، فراقب القوم بيصره حتى عرف الحجرة التى حبسوهما فيها . وأعمل ذهنه لاتقادهما ، وكانوا عند وصولهم الى الفسطاط قد نزلوا فى دار الامارة فاحتال فى اخراج الجمال والامتعة الى مكان خارج الفسطاط . ولما توسط الليل غافل الناس وجاء الى سجن قطام وأخذ يعالج الباب ، فسمع لفظا فاذا هو خصام احتدم بينها وبين خادمتها . فاستعجل فتح الباب بالعنف ودخل ، فلما رآته قطام أشارت اليه ان يساعدها فى قتل لبابة فصاحت هذه : « تبا لك ياظالمة يا فاجرة ، انى أتوب الى الله عما ركبت فى سبيلك من الذنوب . واما أنت فلا نجاك الله من عواقب آثامك و » . فابتدرها ريحان ففسد فاهها وخنقها ، وخرج بسيدته من باب كان قد أعده باسترضاء بوابه . فلما بعدا عن الفسطاط تحول بها الى مأمن كان قد أعده عند موقف الجمال . فركبا وهى تثنى على شهامته . فخيرها فى الجهة التى تسير اليها فاختارت دمشق ، لأن فيها نفرا من أهلها كانوا قد هجروا الكوفة بعد وقعة النهروان وفشل الحوارج وأقاموا بدمشق

فسارا حتى اتيا الغوطة فى تلك الليلة بعد وصول رسول عبد الله بوضع ساعات كما مر

فلما تأكد بلال أنهما قطام وريحان لم يعد يقر له قرار من مراحه . وقال في سبه : « لقد أجاب الله سؤالى . والله انى سأذيقها الموت بيدي هذه . وجس لقمته فرائى الخنجر فيها . فلبث مستظلا بالشجرة ليرى ما يكون منهما . فهاذا هما قد سارا خطوات قليلة حتى أتيا الى قناة لانحدار مائها خزيرو بجانب شجرة من الصفصاف يستظل بها المارة في أثناء النهار . فنزلا عن الجملين بحان القبة كالعادة وأوقدا النار ثم قال لمولاته : « استريحى ياسيديتى . استانى وأتى اليك ببعض الزاد والفاكهة وأنت هنا فى مأمن ولا تطل الغياب » . فانصرف



وكان بلال واقفا ينظر اليه . فلما رآه توارى نظر الى قطام على بصيص النار فإذا هى قاعدة وقد كشفت عن وجهها وعنقها وشمرت عن ساعديها ، ثم رآها نهضت وضفائرها مدلاة على كتفيها وظهريها وفى أطراف الضفائر دنائير معلقة اذا تصادمت فى أثناء المشى سمع لها رنين . ومشت الى حافة القناة ودمالجها وخلاخلها تخش خشيشا . فخاف بلال اذا أبطل أن تفوته الفرصة ، فوثب عليها وهى تهتم بالجلوس على حافة القناة وأمسك بطوقها وجذبها اليه فوقعت على قفاها فجثا على صدرها . فصاحت : « ريحان » . وقبل أن تتم كلامها وضع بلال قبضته فى فمها وقال لها : « لم يبق لك فى هذه الحياة الا دقائق قليلة ، فاعلمى قبل أن تغارقها انى بلال خادم خولة وسعيد ، وانى منتقم للامام على » . فأشارت اليه انها تريد الكلام فاستل الخنجر وصوبه الى عنقها وقال لها : « تكلمى بهدوء ، واذا رفعت صوتك اغمدت هذا الخنجر فى عنقك »

قالت : « ارحمنى يا بلال واشفق على حياتى »

قال : « لا يرحمنى الله ان رحمتك ، فقد ضاقت ابن ملجم وحرسته على قتل شابين من خيرة الشبان . ولكن حيلتك فيهما لم تنجح . وأخيرا جئت الفسباط لاغراء أميرها بخولة . كيف ارحمك يا خائنة ؟ »

قالت : « ذلك قد مضى يا بلال وأنا تائبة بين يديك ، فاعف عني ، ولك كل ما أملكه »

قال : « هل يتوب الهر ؟ ! . أما العفو عنك فوالله او عرفت قصاصا أعظم من القتل لقاصصتك به ، لان القتل قليل على فاجرة خائنة مثلك »
فهمت ان تجيبه فأدرك انها تماطله ريشما يعود ريحان

فقال لها : « اعلمي يا قطام اني قاتلك انتقاما للإمام على » . قال ذلك واضع
خنجره في عنقها وأسرع فاحتز رأسها وترك الجثة ولها شخير رن في أذنيه إلى
مسافة بعيدة . وكان لما رأى القناة قد تعرف الطريق المؤدى إلى مقره
فانسل بين الأشجار وقد أمسك الرأس من جذائله وتركه يتدلى والدم يقطر
منه



وكان سعيد ومعه الرسول قد استبطا بلالا ، وشغلا عليه
وقع أقدامه صاح سعيد فيه قائلا : « أين الفاكهة يا بلال ، لقد
علينا الجوع »

فلم يجبه بلال ، ولكنه ظل ماشيا حتى وقف أمامه ورمى الجمجمة بين يديه
وقال : « هذه فاكهتي »

فاجفل سعيد ونظر فاذا هو رأس قطام بأقراطه ووضفائره ، فاستغرب
الأمر ، وسأله عن تفصيل الخبر

فقال : « ليس هذا وقت السؤال ، هلم نخرج من هذه الغوطة الآن ، فإذا
أمننا عيون الحكومة أخبرتكما الخبر »

فنهضوا ولم يذوقوا طعاما ، وركبوا جالهم واستحثوها جهدا طاقتهم ،
وهم تارة يصفدون تلا ، أو ينزلون غورا ، وآونة يغوصون في الماء ، وطورا
يدوسون الأشواك أو تتصادم رؤوسهم واكتافهم بغصون الأشجار . نحتي
أنتصف الليل فانتهوا إلى سهل قليل الأغراس وقد بعدوا من دمشق فواصلوا
السير إلى القجر ، وتحققوا أنهم أمنوا العيون

جلسوا للاستراحة على مصطبة بالقرب من عين ماء جارية ، وسعيد في
شوق شديد إلى سماع تفصيل مقتل تلك المرأة

فقص بلال حديثه وقلبه يرقص فرحا . واتماما لأسباب سروره أخرج
الجمجمة من جراب كان قد خباها فيه ووضعها على المصطبة بين يدي سعيد
وكان شعرها قد تجمد بالدم ، والعينان مطبقتان والشففتان مفتوحتان
أسنان كاللؤلؤ ، ومسحة الجمال لا تزال تتجلى في محيا تلك المرأة مع صفاء اللون
واصفراؤه وما تلتطخ به من الدماء



مد سعيد يده إلى جبين جمجمة قطام ، ولمسه فاذا هو بارد كالثلج فقال :
« آمنت بالله كأنه سبحانه وتعالى قد كتب لي ألا أمس هذا الجبين ألا وهو

ميت وقد كنت اشتاق لمسه منذ اعوام . ثم وجه خطابه الى الجمجمة وقال « انت قطام بنت شحنة ؟ وقد جاز دهاؤك ومكرك على مئات من الرجال ابهاتين العينين فتنت ابن ملجم كما فتنتني ؟ وبهاتين الشفتين اغربته بقتل الامام كما فعلت معي . انك ستلاقيه عاجلا في مكان لا تخفى فيه خافية . في مكان تنال فيه كل نفس جزاء ما قدمت »

ثم التفت الى بلال وقال : « ماذا نعمل بهذه الجمجمة ؟ »
قال : « نحملها الى القسطنطينية لضعها بين قدمي خولة ذلك الملاك الطاهر »
قال : « لا اظنها تسر بهذا ولا انا سررت به . وزد على ذلك ان هذه الجمجمة لاتصل الى القسطنطينية الا بعد ان تنتن وتتصاعد منها رائحة تنفر منها النفس »
فأطرق بلال هنيهة أسفا لحرمانه حمل الرأس الى خولة ثم قال : « فاسمع لي اذن ان أحمل اثرا منها »

قال : « وما هو هذا الاثر ؟ »
قال : « اقطع الاذنين وفيهما الاقراط واقص هذا الشعر وفيه الصفائر الذهب »

قال : « لك ذلك فافعل »
ثم قرروا ان يسنريحوا هناك ويتناولوا القداء ثم يبرحوا المكان الى القسطنطينية

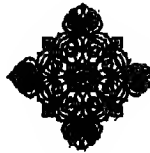


عاد ريحان من عند البستاني وقد أعد كل ما ترتاح اليه سببته من الفاكهة والاطعمة وأمر البستاني ان يشوى بعض اللحم . ولما دنا من الخيمة سمع شخيرا كشخيرا النائم وكانت قطام اذا نامت شخرت وهو يعرف فيها ذلك . فقال في نفسه لعلها غلبها النوم على امرها من شدة التعب . ودنا منها فاذا هي بجانب القنطرة والظلام حالك والنار التي أوقدها قد خمدت فلم ينتبه لخالها . فقال في نفسه : « لانيرن الشمع وأعد الطعام ريثما يفيق » . فانار الشمع . ولاحظ منه التفاتة الى سيدته فراها تتحرك فأقبل اليها فاذا هي لختلج اختلاج النزاع وقد أصبحت جثة بلا رأس ، ورأى دمها قد عكر القنطرة . فبغت ولطم وجهه ووقف لحظة يفكر فيمن عسى ان يكون قد فعل ذلك ، فقال في نفسه : « لابد ان يكون قد حدث هذا بايعاز من عمرو بن العاص ، والقاتل قد فر الآن ولا سبيل اليه . فاذا انا صحت وجمعت الناس تقع التهمة على رأسي »

فتجبر في امره ثم تذكر ما ارتكبته قطام من الفظائع كأنه يحاول أن يلصق
لنفسه عذرا اذا تخلى عنها . فرأى انها اقدمت على جرائم تستحق القتل على
كل واحدة منها . وتذكر ما وراءها من المال الكثير والحلى الثمين ، وانه هو
وحده يعرف مخبأاتها في الكوفة . فطمع في الميراث وصمم على اغتنام الفرصة
فهم بما عليها من الحلى فنزع الاساور والدمالج من يديها والعقود من عنقها ،
وجمع ما في جيوبها وصناديقها من غالى الثمن وخفيف الحمل . وتركها غارقة
في دمها ولسان حاله يقول : « ذلك جزاء القوم الظالمين » . ودخل الشام في
الصباح التالي فاشترى اثوابا تنكر فيها ، وقصد الكوفة فأخرج ماخبأته قطام
هناك من الاموال ، وابتاع لنفسه ضيعة اقام بها

وأعد البستانى الطعام وحله وفيه الجبن والفاكهة والخبز في كيس
من القش ، وجاء الى موضع الخيمة وهو مسرور بتلك الضيفة لأنها كانت
كريمة تعطى الناس بسخاء . ولكنه ما وصل الى الخيمة حتى رأى
الحال كما ذكرنا ، وليس هناك الا جثة قطام وكانت قد همدت وسكن
شخيرها واختلاجها . فلا تسئل عن رعبه لما رآها في تلك الحال . فقال في
نفسه : « لا شك أن جماعة اقوياء تجرأوا على هذا العمل ، وقد فعلوا ما فعلوا
ونجوا بأنفسهم ، واذا انا اظهرت هذه الجثة جلبت على نفسى البلاء ، فعالى
الا أن احتفر لها حفرة اخفيها فيها »

فاشتغل بالحفر وهو يحاذر أن يراه احد أو يسمع فأسه . ثم دفن الجثة
واخفى آثار اللماء وحمل كل ما بقى من الامتعة الى بيته ، وساق جلا كان
باقيا هناك ، وكنتم خبر تلك الحادثة عن كل انسان



طلاق . . وزواج

أما وفد الفسطاط فلما أشرفوا عليها من سفح المقطم ظهر لهم جامع عمرو في وسط المدينة كالبدريين الكواكب ، فأرسلوا الرسول إلى عبد الله لينبئه برجعهم ، وأوصوه بأن لا يذكر له خبر قطام

وكان عبد الله قد خلا له الجو ، وصفا قلب الأمير له ، ولكنه بقي مبليلاً الخاطر على سعيد ، وكلما تذكر فرار قطام من سجنها انقبضت نفسه ، وكلما لقي خولة تحدثا بما مر بهما وذكرا سعيدا وتمنيا سرعة وصوله ، وعبد الله يدبر أسلوبا يخبره به عن حقيقة حاله مع خولة

وفيما هو جالس ذات صباح في غرفته بدار الأمير ، إذا برسوله قد أقبل فصاح به : « ما وراءك ؟ »

قال : « ورائي سيدي سعيد وبلال »

قال : « واين هما ؟ »

قال : « تركتهما في سفح المقطم قادمين ، وجئت لأبشركم »

قال : « أهلا بالقادمين » . ونهض لساعته وخرج على فرس اسرج له ، ولم يكذ يخرج من الفسطاط حتى التقى بسعيد وبلال على جلين ، فترجل بلال للحال وهم بيد عبد الله فقبلها

فقال عبد الله : « يورك فيك يا أسمر وبورك بشهامتك » . وهم سعيد بأن يترجل فأشار إليه عبد الله أن يبقى على جله لينزلا معا في دار الامارة فساروا وسعيد يتسم فقال له عبد الله : « ما الذي يضحكك ؟ »

قال : « يضحكني أننا ذاهبون إلى دار عمرو بن العاص ، وقد كنا بالأمس نحاذر أن يسمع بنا أو يرانا »

قال : « لله في خلقه شؤون » . ثم قال بصوت خافت كأنه يحاذر أن يسمعه احد : « لو أراد الله نجاح مسعانا ونجا الامام على كرم الله وجهه لما أهمنا النزول بهذه الدار »

فقال بلال : « لا تذكرني بذلك الحادث الفظيع فقد شهدته بنفسى ، ورأيت ابن ملجم اللعين بأم عيني يضرب الامام بذلك السيف المسموم ، وقد كان بيننا وبين انقاذه لحظة لو أراد الله لعجلها . ولكن الأجل موهنة بأوقاتها »

قال : « ولكن الله سيجزى الظالمين ، أما نحن فقد صرنا الآن من حاشية ابن العاص ، وهو الحق يقال من دهاة العرب وكرامهم وكبار قوادهم »



وبقيا في مثل هذا الحديث حتى اقتربا من الدار فقال عبد الله : « لم أسمعك تذكر خولة . هل نسيتها ؟ »
فابتسم سعيد وقال : « كيف أنساها وأنا إنما جئت التمسها »
قال : « وماذا تلتبس منها ؟ »
قال : « لا أدري ... »
قال : « أظنك تدري ، ألا فاعلم أن خولة الآن زوجتى ، وقد زوجنى بها عمرو »

فضحك سعيد وهو يظن ابن عمه يمازحه ...
فتظاهر عبد الله بالجد وقال : « يلوح لى أنك لم تصدق قولى ، فاقسم بالله وتربة أبى رحاب أن خولة قد زفت الى ، وعقد قراننا على يد الأمير . وإذا كنت لا تصدقنى فاسأل كل من فى هذه الدار عن ذلك »
فغلبت الشهامة على سعيد ولم يسهه إلا أن قال : « وما يمنع أن تكون زوجة لك ؟ بورك لك فيها . الست أخى ورفيقى وابن عمى ؟ »
قال ذلك وهو لا يزال يشك فيما سمعه من عبد الله

ووصلا الى الدار ، فترجلا وسارا توا الى غرفة عبد الله ، وبعثا الى عمرو ينبئانه بقدمهما ، فأمر بأن يستقبل سعيد فى غرفة خاصة ، وبعث الى خولة وأبيها ، فلما جاءا أقبل عمرو الى الغرفة وقد اجتمع فيها الجميع وبلال واقف خارجا ، فلما دخل عمرو تقدم سعيد لتقبيل يده والسلام عليه ، فرحب به ودعاه للجلوس

فقال سعيد : « اذا أذن مولاي فليأمر عبده بلالا بالدخول ليحضر هذه الجلسة »

فأمر بدخوله فانزوى فى بعض جوانب الغرفة متأدبا وفى يده جراب من جلد

وكان سعيد ينظر الى خولة من تحت النقاب ، ويفكر فيما سمعه من عبد الله وهو يتردد بين الشك واليقين

فلما استتب بهم الجلوس خاطب عمرو سعيدا قائلا : « أظنكم تتوقعون ان تر ا قطام سجيئة ؟ »

فقال سعيد : « نعم يا مولاي »

قال : « ولكنها فرت من السجن ورادت ذنبها اجراما بقتل خادمتها . وكنا قد اردنا استبقاءها مسجونة . أما الآن فاذا ظفرنا بها فلا قصاص لها عندنا غير القتل »



فلم يتمالك سعيد عن الابتسام ، وقد ندم لانه لم يصرح بالأمر بادىء بدء ، وهم بالكلام فاعترضه بلال مستأذنا . فسكت فتقدم بلال الى عمرو وجثا بين يديه والجراب بيده وقال : « هل يأذن لى مولاي بكلمة أقولها ؟ » . قال : « قل »

قال : « كيف ترجون القبض على قطام وأنتم لا تعرفون مقرها ؟ »

قال : « نطمع الناس في البحث عنها بمال كثير »

قال : « وكم تعطون من يقبض عليها ؟ »

قال : « نعطيها مائة دينار »

قال : « اتشترطون أن يؤتى بها حية ؟ »

قال : « سواء علينا . جاء بها حية أم ميتة »

قال : « واذا جاء بخبر قتلها »

قال : « نقبل منه ذلك على أن يأتينا بما يثبت موتها »

فاخذ بلال يحل الجراب وهو يقول : « فليأمر مولاي الامير باعطائي مائة دينار » . وما أتم قوله حتى أفرغ الجراب بين يدي الامير ففاحت الرائحة وظهر الشعر الملطخ بالدماء وبلال يبحث فيه بأصبعه حتى وجد الأذنين وفيهما الأقرط

فأجفل عمرو وسائر الحضور لذلك المنظر واشمازت نفوسهم من تلك الرائحة الكريهة وصاح فيه عمرو : « ويلك ما هذا ؟ »

قال : « هذا هو شعر قطام ملطخا بدمها . وهذه أذناها وأقراطها .

واذا أخرجتموني جئكم براسها . فاني انما تخليت عنه اجابة لأمر مولاي سعيد » . قال ذلك ووقف وهو يشير الى سعيد

فقال سعيد : « نعم يا مولاي ، انا أشهد أن بلالا قتل قطام وحده ، واحتز راسها وجاءني به وهو ينوى حله اليكم ، فاشرت عليه بأن يكتفى بهذا الاثر تخلصا من نتن الرمة »

وكان الحضور قد بهتوا وهم ينظرون الى الشعر والاذنين فأشار عمرو الى بلال ان احمل هذه الاقدار من هنا . فأعادها الى جرابه وتحنى فقال له عمرو : « لك عندنا مائة دينار »

فشكر واثني وقال : « انى اشكر مولاي الامير على نعمته وأمترف بين يديه بانى لم اقتل هذه الخائنة لئال ، وانما قتلتها انتقاما للعبد » . وأراد ان يفصل ما اجله فانتبه الى انه لا يجوز ذكر الامام على فى المجلس فاكتمى بما قال وتذكرت خولة ان اباه كان قد غضب عليها من اجل بلال ، فاعتنمت هذه الفرصة لاكتساب رضا ابيها عنه فقالت : « يا بلال تقدم وقبل يدى سيدك » . وأشارت الى ابيها ، فتقدم بلال وقبل يده فلمسا هم القوم بالافصراف وقف عبد الله ووجه كلامه الى عمرو وقال : « أشهد ابيها الامير ان امرأتى هذه طائفتى منى ثلاثا » . وأشار الى خولة

فأدرك سعيد ان ما قاله له صحيح وانه كان قد عقد قرانه عليها . ولمح الامير عمرو الاضطراب على وجهه فقال : « طب نفسا يا سعيد انما كان الزواج سوريا وقد صح الموقف الآن بالطلاق » . والتفت الى ابي خولة وقال له : « انى اخطب خولة منك لسعيد ؟ »

فقال ابو خولة : « هى جاريتك يا مولاي فاصنع بها ماتشاء » فاطرقت خولة حياء ، وعندما آن الاوان عقد قران سعيد بخولة فى مجلس عمرو فبارك لهما وهنأهما بالزواج

وبعد ايام استأذن عبد الله ابن عمه سعيدا فى الذهاب الى مكة للاقامة بها مع ذويه ، ووعد خولة والأصدقاء وسار الى مكة واقرن هناك بابنة عم له وعاش الجميع كل فى مقامه عيشة لا يشوبها كدر الا حين يذكرون مقتل الامام على . ثم حين سمعوا بعد ذلك عن تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية بن ابي سفيان . فخرجت الخلافة من اهل البيت وصارت الى بنى امية . وانما فعل الحسن ذلك حقنا للدماء ، ولم يتول الخلافة الا ستة اشهر ، فالتقل كرسيا من الكوفة الى دمشق ، وبقي فيها الى انقضاء دولة بنى امية



روايت تاريخ الإسلام صدّ رمنها

الانضلاب العثماني	فتاة القيوان
العباسية أخت الرشيد	الأميين والمأمون
استبداد المماليك	عزاة كربلاء
أبومسلم الخراساني	الملكوت الشارو
شجرة الدر	عرويس فرغانة
شارل وعبد الرحمن	عبد الرحمن الناصر
أحمد بن طولون	عزراء قریش
فتاة غسان	فتح الأندلس
أسيار المتشدي	أرمانوتة المصريّة
الحجاج بن يوسف	جساد الحببين
١٧ رمضان	صلاح الدين الأيوبي